جامعة الجزائر " 2 "

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ

قضية مدينتي سبتة ومليلة في العلاقات المغربية الإسبانية

1956 1497

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ المعاصر

قائمة اللجنة	
د قنان جمال	رئيسا
د بوعزة بوضرساية	مقررا
د محمد بلقاسم	عضوا

السنة الدراسية 2011/2010

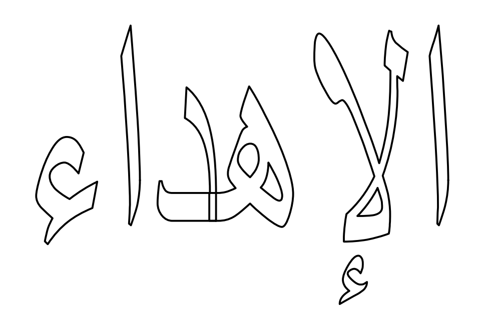
بسم الله الرحمن الرحيم

وعلى الله فليتوكل المومنون

صدق الله العظيم

سورة ال عمران

الاية 160

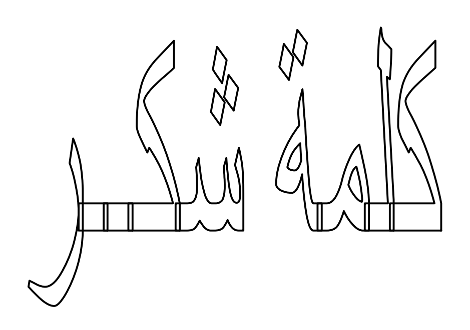


إلى اعز الناس على قلبي الوالدين الكريمين

"حفظهما الله"

إلى كل من تلقيت على يديه قسطا من العلم

إلى كل الاصدقاء الذين تمنوا لي التوفيق في الدراسة



اشكر كل من ساهم في إنجاز هذا البحث، واخص بالذكر الاستاذ المشرف االدكتور" بوعزة بوضرساية " على كل المجهودات التي بذلها ، رغم الظروف التي مر بها في الاونة الاخيرة ، فجزاه الله عني خير الجزاء وجعلها في ميزان حسناته إن شاء الله.


مقدمة

مقدمة:

إن إيجاد أي قضية للبحث في التاريخ المعاصر حاليا ، تتطلب جهدا معتبرا ، ذلك لأن كل المواضيع أصبحت تقريبا مدروسة ، وبالتالي تزيد على الطالب صعوبة إيجاد موضوع لدراسته الجامعية .

وبعد اطلاع وبحث طويل ، لفت انتباهي قضية هامة في التاريخ المعاصر مازالت غامضة لدى بعض الجزائريين،الطلبة منهم والعامة، وهي قضية سبتة ومليلة، والاحتلال الإسباني لهما .

ويعود سبب اختياري موضوع سبتة ومليلة ، إلى الرغبة الخاصة في دراسة تاريخ المغرب الأقصى لأصالته وتنوعه ، وكذلك محاولة دراسة إيضاح قضية احتلال الإسبان لمدينتي سبتة ومليلة للطلبة الجزائريين ، والبحث عن السبب الرئيسي لبقاء هاتين المدينتين محتلتين إلى حد الآن .

وفي ظل غياب المراجع الرئيسية المتعلقة بتاريخ هذه القضية ، قمت بزيارة خاصة إلى المغرب الأقصى في ماي 2010، حيث طفت بالمدن المغربية وجامعاتها والمكتبة الوطنية بالرباط ، وكذلك المكتبات، لجمع أكبر قدر من المراجع والوثائق حول الموضوع ، حيث وجدت تسهيلات من المسؤوليين بالجامعات هناك ، مما سهل عليّ مهمة البحث عما أحتاج إليه.

لقد اخترت العنوان الرئيسي لهذا الموضوع ، هو قضية مدينتي سبتة ومليلة في العلاقات المغربية الاسبانية (1497- 1956)، الهدف منها هو دراسة القضية بصفة عامة ضمن انعكاساتها على العلاقات المغربية الاسبانية ، طيلة هذه الفترة الممتدة من الاحتلال الاسباني لمدينة مليلة سنة 1497،وخضوع المدينة الأخرى سبتة تحت التاج الإسباني سنة 1580، بعدما كانت تابعة للاحتلال البرتغالي منذ سنة 1415، ونهاية الدراسة بتاريخ استقلال المغرب الأقصى .

وتقوم إشكالية البحث حول قضية احتلال سبتة ومليلة وانعكاساتها على العلاقات بين المغرب الأقصى وإسبانيا ، على عدة تساؤلات جوهرية منها : لماذا بقيت تلك المدينتين تحت الاحتلال الاسباني لحد الآن ؟ ، ومدى سعي المغرب الأقصى لتحريرهما ضمن الفترة المدروسة والتي تفوق الأربعة قرون ونصف ؟ . وما هو مصير القضية حاليا وما تأثيرها على العلاقات المغربية الاسبانية؟.

للإجابة عن هذه التساؤلات وضعت الخطة التالية:

قمت بتقسيم الدراسة إلى أربعة فصول رئيسية ، إضافة إلى ملاحق خاصة بالمعاهدات ومجموعة من الخرائط ، بشكل أكاديمي اتبعت فيه المنهج التاريخي التحليلي ، لتعلق الدراسة بطبيعة العنوان الذي يتعرض للقضية من حيث العلاقات بين الدولتين .

يعتبر الفصل الأول من هذا الموضوع كفصل تمهيدي ، تطرقت فيه إلى المدينتين قبل الاحتلال الاسباني ، بإعطاء نبذة تاريخية عنهما وإبراز أهميتهما التاريخية ، والمراحل التي مرت بهما ، تحت عنوان : نبذة تاريخية عن مدينتي سبتة ومليلة قبل الاحتلال الاسباني .

أما الفصل الثاني فقد عنونته بالاحتلال الإسباني لسبتة ومليلة والعلاقات المغربية الاسبانية (1497- 1859)، تناولت فيه الاحتلال الإسباني للمدينتين ، إضافة إلى المقاومة المغربية لهذا الاحتلال ، إلى جانب طبيعة العلاقات المغربية الإسبانية في هذه الفترة.

و بالنسبة للفصل الثالث تناولت فيه وضعية مدينتي سبتة ومليلة من بداية حرب تطوان إلى استقلال المغرب الأقصى (1860- 1956)، فالتاريخ الأول وقع فيه حدث هام في تاريخ المغرب الأقصى وهو حرب تطوان سنة 1860 بين المغرب الأقصى وإسبانيا، والتاريخ الثاني استقلال المغرب الأقصى وعلى ضوئه تمت الإشارة إلى العلاقات المغربية الاسبانية من خلال عدة عناصر أساسية وهي مرحلة التفوق

الإسباني ، وكذلك وضعية سبتة ومليلة تحت الحماية ما بين (1912 و 1956)، كثاني مبحث مع إبراز الحماية والانتفاضات الشعبية منها: مقاومة عبد الكريم الخطابي ، وأحمد الريسوني ، والنزاع الاسباني الفرنسي على المدينتين في هذه الفترة، إضافة إلى مرحلة النضال السياسي ونتائجه ، وأخيرا وضعية المغاربة داخل سبتة ومليلة خلال حكم فرنكو.

أما الفصل الرابع من هذه الدراسة ، فيعتبر فصل تكميلي لأنه يعالج القضية ما بعد استقلال المغرب الأقصى سنة 1956، لذلك أعطيت له العنوان التالي: طبيعة العلاقات المغربية الاسبانية بعد الاستقلال ، وقمت بتقسيمه إلى ثلاث مباحث ، المبحث الأول خصصته لموقف المغرب الأقصى من استرجاع المدينتين بعد الاستقلال ، والمبحث الثاني لوضعية المدينتين في الوقت الراهن ، وأخيرا دراسة بقية الأقاليم المستعمرة من طرف الإسبان بما في ذلك قضية جبل طارق .

ولقد عدت في وضع أقسام هذه الدراسة إلى مجموعة من الكتب المهمة والأساسية التي تناولت الموضوع منها:

إدريس أحمد خليفة ، صاحب كتاب التاريخ المغربي لمدينة سبتة ، درس فيه تاريخ المدينة من العهد القديم إلى العهد الموحدي.

أما تاريخ مليلة فتناوله كتاب حسن الفكيكي بعنوان المقاومة المغربية للوجود الاسباني بمليلة (1697- 1859م) تطرق فيه إلى تاريخ المدينة مع المقاومات المغربية للاحتلال الاسباني وهو مرجع مهم أيضا.

كذلك محمد بن تاويت وكتابه تاريخ سبتة ، وهو مصدر مهم حول تاريخ المدينة إضافة إلى مصدر آخر مهم هو كتاب اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار لمحمد ابن القاسم الأنصاري السبتي الذي يشهد له المؤرخون في لعلمه وتأليفه.

وهناك مجموعة أخرى من الكتب تطرقت إلى العصر الحديث والمعاصر منها على سبيل المثال ، ب،ج .روجرز ، تاريخ العلاقات المغربية الانجليزية حتى عام 1900 وهو الأخر مصدر هام .

كذلك مصدر آخر حول مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب لعبد الرحمن بن منصور ، مؤرخ المملكة المغربية ، والتهامي الوزاني ، **المقاومة المسلحة والحركة الوطنية بشمال المغرب** ، وجرمان عياش ، **أصول حرب الريف** مع مرجعين آحرين هما : محمد بلهاشم ، **العلاقات المغربية الأمريكية (1786-1912)، ومحمد العربي صاحب كتاب الساقية الحمراء ووادي الذهب** مع وجود عدة مراجع ومصادر أجنبية نذكر منها كتاب **Edouar Muha** بعنوان: **Les relations Hispano-Marocaines** أي تاريخ العلاقات المغربية الاسبانية.

أما بالنسبة للمشاكل التي واجهتني في إعداد هذا البحث ، فأهمها عدم وجود المراجع ذات الصلة بالموضوع المختار داخل التراب الوطني ، مما اضطرني إلى السفر إلى المغرب ، وهي بالتأكيد مهمة صعبة .

والصعوبة الأخرى هي اتساع الفترة المدروسة ، حيث فاقت الأربع قرون ونصف، ضف إلى ذلك الفصل التمهيدي الذي يدرس تاريخ المدينتين من العهد القديم،العهد الفينيقي حتى الغزو الاسباني ، والذي يفوق الألفي سنة تقريبا ، وهو عمل متعب بالتأكيد.

وهنا لا يفوتني أن أشكر كل من ساهم في هذا العمل المتواضع، وبالخصوص الدكتور بوعزة بوضرساية ، الأستاذ المشرف على هذه الدراسة، الذي لم يبخل علي بتوجيهاته ونصائحه القيمة.

وكذلك أخص بالشكر كل الأساتذة الذين أشرفوا علينا في السنة التحضيرية، والذين أمدونا بالعديد من الجوانب المهمة للدراسات الأكاديمية،خاصة طرق البحث ومنهجية كتابة البحوث والدراسات،بالإضافة إلى كل زملائي في الدراسة سواء في

الاختصاص المعاصر أو غيرها من الاختصاصات،إذ وجدنا تكافلا كبيرا بين مختلف الباحثين في مختلف الاختصاصات وهو الأمر الذي يبعث البهجة في النفس.

وأشير كذلك إلى ذلك التعاون الكبير، الذي وجدته في مختلف المكتبات المغربية، خاصة مكتبة الرباط، وفاس، إذ وجت لديهم كل التسهيلات في إعارة الكتب والمساعدة في البحث عنها، دون أن أنسى الملحق الثقافي للسفارة المغربية.

دون أن أنسى كل العاملين بالمكتبات الجامعية الجزائرية.

كل هذه الأمور كان لها دورها الفعال والايجابي في هذه الدراسة المتواضعة التي حاولت من خلالها الإلمام بمختلف جوانب التساؤلات المطروحة في الإشكالية،متمنيا من عزّوجلّ أن أكون قد وفقت في إنجاز هذا العمل المتواضع.

الفصل الأول

الفصل الأول : نبذة تاريخية عن مدينتي سبتة ومليلة قبل الاحتلال الإسباني

القسم الأول : مدينة سبتة

المبحث الأول : التعريف الجغرافي بالمدينة

المبحث الثاني : تاريخ مدينة سبتة قبل الإسلام

المبحث الثالث : المدينة من الفتح الإسلامي إلى الاحتلال البرتغالي

المبحث الرابع : الاحتلال البرتغالي للمدينة

القسم الثاني : مدينة مليلة

المبحث الأول : التعريف الجغرافي بالمدينة

المبحث الثاني : تاريخ مدينة مليلة قبل الفتح الإسلامي

المبحث الثالث : مليلة في العهد الإسلامي

القسم الأول : مدينة سبتة

القسم الأول : التعريف بالمدينة

تعتبر مدينـة سبتــة من أعرق المدن المغربيــة ، كان لموقعها الاستراتيجي ذا الحصانــة الطبيعيــة دور هام في صياغـــة تاريخها الخاص ، وتاريخ المغرب الأقصى عامـــة.

فهي تقع على الساحل الشمالي للمغرب الأقصى، على البحر الأبيض المتوسط ، يحيط بها البحر من جهاتها الثلاث ، الجنوبية والشمالية والشرقية مشكّلة شبه جزيرة في البحر متصلة بالبر من الجهة الغربي، ويبلغ طولها من الشـــرق إلى الغرب 2000م، ومن الشمال إلى الجنـــوب 1500م، وتبعد عن الشواطئ الأندلسية بـ 21كلم، وعن جبل طارق بـ 28كلم، من جهتها الغربية ، وإلى الجنوب منها مدينة تطوان بمسافة 40 كلم [(1)]، وغير بعيد عن المدينة من الغرب يوجد جبل موسى الذي ينسب إلى موسى بن نصير ، فاتح الأندلس ، بنحو الميلين [(2)].

وبالرجوع إلى أصل التسميــة فقد تضاربت الروايات التاريخيـــة حوله ، وانقسم المؤرخون و الجغرافيون العرب في شأنه إلى قسمين:

فبعضهم يرى ، أنه مشتق من كلمة سبت النعل نظرا لموقعها في البحر ، وشكلها الذي يتصل بالبر من جهة واحدة ، أما القول الثاني، فيرجع التسمية إلى مؤسسها ، الذي يزعمون أنه سبت بن سام بن نوح عليه السلام[(3)].

وذكر المؤرخ الاسباني "لويس مرمول " أن تأسيس المدينة يعود إلى حفيد نوح عليه السلام بعد حوالي 250سنة بعد الطوفان وسماها سبت ، ومعناها بالكلدانية قاعدة الجمال، وكانت أول مدينة تؤسس بإفريقيا [(4)].

ولقد أعطاها المؤرخ الفلكي اليوناني "كلاوديو بلوطوميو" الذي عاش بالإسكندرية سنة 135ق.م اسم : ESSILISS في جغرافيته، كما وضع " إبراهيم أورتيتيو" في كتابه ألواح جغرافيـــة اسم ESSILISSA في موقع جبل طارق ، وهو المكان الذي تحتله سبتة حاليا [(5)].

---

1) محمد المعزوزي وجعفر بنعجيبة , **سبته ومليلة حتى لا ننسى**،ط1 ، شركة الهلال العمومية للطباعة والنشر،الرباط،1986، ص19.

2) أحمد المقري , **نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب**, ج1، تحقيق: إحسان عباس ،دار صادر1968 ،بيروت, ص159،160

3) إدريس أحمد خليفة , **التاريخ المغربي لمدينة سبتة** مطبعة ومكتبة الأمنية , المغرب ،1988، ص20

4) نفسه ،ص21

5) نفسه ،ص22

وكان الإغريق يعرفونها باسم EPTADEFOS يشيرون بذلك إلى جبالها السبعة، وعرفت لديهم بأسماء أخرى، وهي: ESTELA .LIBY .ACILAX .APYLA .ABILIX. ولا يعرف عن هذه الأسماء أنها كانت تطلق على مكان واحد، أو هي تسمية لأجزاء من المدينة ، أو تكون مجرد صفة لها فقط[1].

ولقد عرفت المدينة بعدها باسم septum fretres ، يقصد به الإخوان السبعة نسبة إلى روابيها, وسميت بعدهاseptum وcivitas ، وهو الاسم الذي اشتق منه العرب الفاتحين لبلاد المغرب اسمها الحالي سبتة [2].

أما عن سكان المدينـة ، في الفتــرة ما قبل الإسلام ، فهم ينتسبون إلى قبائل غمارة ، سكان المنطقة الجبلية من الريف المغربي، ويعود أصلهم إلى غمار ابن منصور وقيل غمار بن مصطاف بن مليل بن منصور، أو غمار بن أصار بن منصور. في حين يطلق اسم غمارة حاليا على تسع قبائل فقط واقعة إلى الشرق من مدينة تطوان تمتد عبر سلسلة جبال الريف الساحلية [3].

ومع قدوم العرب الفاتحين إلى المغرب الأقصى ، دخلت الموجة الأولى إلى مدينة سبتة مع بدايــة القرن الثاني هجري الموافق للثامن ميلادي ، والمشكّلــة أساسا من الجند العرب ، الذين سيطردون منها بعد ثورة الخوارج من بربر طنجة وصاحبهم ميسرة [4].

أما عن الأهميــة البحريــة لهذه المدينة ، فهي معروفة للخاص والعام بحكم موقعهـا الاستراتيجي ، في شبه الجزيرة الطنجية والمطل على الواجهة الأندلسية ، وقربها من مضيق جبل طارق ، مما جعل منها المرفأ الأهم على الشواطئ المغاربية.

1) إدريس أحمد خليفة ، المرجع السابق ،ص 22
2) نفسه , ص 23 .
3) أبو عبيد البكري , **المسالك والممالك** , تحقيق: علي عبد الرحمان الحجي ط 1 دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع , بيروت، 1968 ، ص 204.
4)نفسه ،ص204

المبحث الثاني : تاريخ مدينة سبتة قبل الاسلام:

يبدأ التاريخ القديم للمدينة ، مع قدوم الفينيقيين من بلاد الشام ، وتأسيسهم مدينة قرطاجة بتونس سنة 880ق.م ، وطغى على هذه الإمبراطورية البحرية سمة التوسيع عبر السواحل الإفريقية و الإيبرية ، بإنشاء قواعد تجارية على أطرافها ، والتي بلغ عددها ثلاثمائة مركزا، ويذكر المؤرخون أنهم جهزوا سنة 350ق.م أسطولا بحريا يضم خمسين سفينة لاستكشاف شواطئ إفريقيا المغربية. ويشهد لهم التاريخ أنهم هم من أسس مدن: روسا دير (مليلة) وابيلا(سبتة) ، وطنجيس (طنجة) وزليس(أصيلا) ، ولكسوس(العرائس)، على سواحل المغرب الأقصى ، كما ازدهرت مدينتي سبتة ومليلة في عهدهم وخصتها بعناية خاصة

وأول إشارة حقيقية إلى مدينة سبتة ترجع إلى سنة 240ق.م إثر المعركة التي جمعت بين الأسطول القرطاجي وخصمه الروماني في الصراع الذي كان بينهما على السيادة في البحر المتوسط والتي وقعت في مضيق جبل طارق ، حيث انهزم فيها القرطاجيون واجتمعوا بعدها بسبتة لحصانتها الطبيعية. (1).

استطاعت روما بعدها وفي فترة وجيزة من أن تصبح قوة مرهوبة في البحر المتوسط وتزاحم الأسطول القرطاجي وتتغلب عليه لتمد بعدها أنظارها إلى الشواطئ المغربية. وحاولت عبر عدة قرون إخضاعها، ولم تسيطر في بلاد المغرب ، إلا على بعض السهول والشواطئ وهو المثلث الذي يضم مدن طنجة ، سبته، فاس والرباط ، إضافة إلى شبه الجزيرة الإيبرية (2).

ورغم سيطرت الرومان على إفريقية بعد سقوط قرطاجة سنة 146ق.م ، فإنهم لم يتمكنوا من السيطرة على سكان المغرب البربر إلا في عهد الملك كلود قيصر سنة 42م، وعرف المغرب الأقصى وقتها بموريتانيا الطنجية (3).

ويذكر المؤرخون أن الإمبراطور الروماني (أوغسطو) منح أهل سبتة ومليلة وطنجة الجنسية الرومانية ، وذلك في الربع الأخير من القرن الأول قبل الميلاد ، ورفع لقب المستعمرات عن موريتانيا الطنجوالرعايا الرومان ، واهتموا بعمارتها ، واستبدلوا حينها التسمية القديمة للمدينة ESSILISS بالتسمية CIVITAS ROMANORUM أي المدينـة الرومانية (4)

1) إدريس أحمد خليفة ,المرجع السابق ص.69.68
2) نفسه ،ص69.
3) عبد الله كنون , **مدخل إلى تاريخ المغرب**, ط:03 مطبعة كريما ديس, 1958 ، تطوان , ص13.12
4) نفسه ص 17.

عرف المغرب بعدها وصول الوندال القادمين من إسبانيا سنة 429م ، مع قائدهم "جنسريق " واستطاعوا بعد مساندة السكان المغاربة ، القضاء على الحكم الروماني بالمغرب مع موجة من الدمار التي تعقب تحركاتهم لتعود بلاد المغرب إلى حكامها الأصليين من البربر

تأتي بعدها المرحلة الأخيرة من التاريخ المغربي القديم قبل الفتح الإسلامي برضوخ المغرب تحت الحكم البيزنطي إثر حركة استرداد المستعمرات الرومانية بعد الخراب الذي حل بها بعد هجمات الوندال في عهد الملك "جوستنيان الأول" ، (565.527)م . [1].

أرسل الملك البيزنطي في هذه الحملة قائده المحنك "بليزار" بجيش قوامه 180000 رجل فاحتل قرطاج حتى وصل إلى المحيط الأطلسي وقبل رجوع هذا الأخير إلى القسطنطينية وضع القائد : "دون خوان" على المغرب الأقصى ، والذي أعاد بناء مدينة سبتة وتحصينها وأصبحت بذلك مفتاح الإمبراطورية البيزنطية من الجهة الغربية. [2].

وكانت مدينة سبتة عند الملك "جوستينيان" مكانة خاصة فقد أمر بأن تشحن بالجنود وأقام فرقة عسكرية بها لمراقبة مضيق جبل طارق لتبليغ أي تحرك إلى حاكم قيصرية "شرشال" كما أقام بها كنيسة سيدتناالعذراء الإفريقية وعنى ببناياتها ذات المظهر البيزنطي [3].

غير أن النفوذ البيزنطي انحصر في مدينتي طنجة وسبتة ، وعند الفتح الإسلامي لبلاد المغرب لم تبق غير مدينة سبتة تحت قيادة الكونت جوليان الذي أعلن استقلاله عن بيزنطا ، وكان وقتئذ متحالفا مع ملك القوط بالأندلس أما بقية البلاد المغربية فسلمت إلى أهلها البربر [4]

---

1) EDOUARD MOHA. LES RELATIONS HISPANO- MAROCAINES(:EDITIONS EDDIF MAROC . MAI 1994) –P23

2) إدريس احمد خليفة المرجع السابق ص 77.

3) نفسه ،ص77.

4) عبد الله كنون . المرجع السابق ص ص،17 -18

المبحث الثالث : المدينة من الفتح الإسلامي إلى الاحتلال البرتغالي

يبدأ تاريخ المدينة الإسلامي مع بداية دخول الفاتحين إلى المغرب الأقصى وإفريقية في عهد الأمير عقبة بن نافع الحارثي الفهري في ولايته الثانية على إفريقية عام 62هـ. في خلافة يزيد بن معاوية الأموي ، قدم في مقدمة جيشه القائد زهير بن قيس البلوي ، يقاتل البربر حتى وصل إلى طنجة وكان حاكمها يوليان، الذي صالح عقبة وناصحه على قتال البربر، فانصرف عنه إلى قتالهم ، وهم من قبيلة أوربة ، الذين هزموه واستشهد رحمه الله عام 63هـ [1].

وبعد وفاة عقبة بن نافع لم يدخل المغرب الأقصى أحد من ولاة بني أمية بسبب انشغال المشرق بفتنة ابن الزبير. لكن مع هذا فقد انتشر الإسلام في إفريقية في عهده، ودخل كثير من البربر فيه دون قتال .

ولّى عبد الملك بن مروان ، موسى بن نصير على إفريقية سنة 78هـ ، وسار معه جند من مصر ، فتوجه بعدها إلى فتوحاته بالمغرب الأقصى يعاونه مولاه طارق بن زياد النفزي ، فواصلا بفتوحاتهما إلى قصبة طنجة ، فأسلم أهلها وولى عليها طارق وكتب إلى الوليد بن عبد الملك بذلك ، كان ذلك سنة 89هـ .و سار بعدها موسى بن نصير إلى سبتة وكان يحكمها يوليان ، الذي كان متحالفا مع ملك القوط بإسبانيا (غبطشة) فلم يقدر على افتتاحها لحصانتها الطبيعية والمدد الذي كان يأتيها من الأندلس فرجع عنها [2].

أدت الظروف الموالية بالأندلس إلى تحالف يوليان مع موسى بن نصير ضد ملك القوط الجديد (رذريق) واتفق سنة 90هـ على غزو الأندلس لصالح المسلمين ، وكانت السرية الأولى في رمضان 91هـ ، يقودها المولى طريف ، وبعدها عبر طارق بن زياد بجيشه لفتح الأندلس عام 92هـ ، أما بخصوص مصير مدينة سبتة بعد فتح الأندلس ودخول يوليان كمساعد لموسى بن نصير ، فيذكر المؤرخون أنها رجعت إلى حكم الولاة المسلمين ، كما يذكر كذلك أن يوليان صاحب موسى إلى عاصمة الخلافة دمشق سنة 95هـ عندما عزله الوليد بن عبد الملك ، واستقر أخيرا في الأندلس بقرطبة محاطا باحترام المسلمين وتقديرهم له حتى توفي بها وخلف أولاد حسُن إسلامهم [3].

---

1) المؤلف مجهول , **كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها** , تحقيق وتعليق : إسماعيل العربي , المؤسسة الوطنية للكتاب ،الجزائر, 1989 ص 96....97

2)نفسه ،ص ص93،94

3) نفسه ،ص ص 95،96

1) سبتة في عهد الخلافة الأموية:

عندما تسلم المسلمون زمام الأمور بالأندلس والمغرب ، أصبحت سبتة تابعة لسلطة الأمويين بدمشق وقد ترك موسى بن نصير قبل اعتزاله سبعة عشر رجلا من العرب يعلمون البربر أصول الدين ، منهم شاكر صاحب الرباط ، كما بعث الخليفة الأموي عمر بن عبد العزيز بعده عشرة من التابعين ، من أهل العلم والفضل كعبد الرحمن بن نافع ، وسعد بن مسعود لنفس الغرض [1].

وتبرز سبتة في أحداث المغرب الإسلامي ، مع ثورة الخوارج ، حيث تعرضت للتخريب على أيديهم ذلك بعد ظهور ميسرة المذغري صاحب المذهب الصفري الخارجي سنة 123هـ مع البربر ، الذين توجهوا إلى طنجة وقتلوا عاملها عمر بن عبد الله المرادي ، ثم دخلوا سبتة فخربوها ، وأخرجوا من كان بها من العرب ، فبقيت خرابا [2].

لتظهر بعدها في ذلك الحصار الذي فرضه ميسرة وأتباعه على جند الشام، الذي تحصن داخلها حيث عزم الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك إخماد ثورات البربر بالمغرب ، خاصة بعد مقتل قائده كلثوم بن عياض القيسي سنة 123هـ في مواجهات مع ميسرة ليتولى قيادة هذا الجيش الشامي البالغ عشرة آلاف إلى بلج بن بشر الذي لجأ إلى مدينة سبتة بعد هزيمة كلثوم.

بعدها قام البربر بحصار سبتة فلجأ بلج بن بشر إلى طلب العون من الأندلس من عبد الملك بن قطن ، لكنه تماطل عليهم خوفا من سلطته بالأندلس ، وكاد الجيش الشامي الموجود بسبتة يهلك جوعا ، لولا إغاثة زياد بن عمر اللخمي بمركبين يحملان مؤونة ، ولم يفك هذا الحصار إلا بعد ظهور ثورة البربر بالأندلس ، بعد سماعهم بثورة إخوانهم بالمغرب بعدها سمح عبد الملك بن قطن للمحاصرين بسبتة بالنزول عنده ، وشرط عليهم عدم الإقامة بالأندلس أكثر من سنة، لكن بعد تمكنهم بالأندلس وذكرهم مع فعل معهم في محنتهم ، قتلوه في ذي القعدة سنة 123هـ [3].

---

1) عبد الرحمان بن خلدون , **العبر وديوان المبتدأ والخبر** ،مج دار الكتاب اللبناني , بيروت، 1968) 1 , ص48
2) نفسه ص 48.
3) لمؤلف مجهول ، المصدر االسابق ،ص ص 110 – 117.

وتضاربت الأنبـاء حول الخراب الذي حل بمدينـة سبتــة ، فمنهم من يربط تاريخــه بخروج الجيش الشامي منها ودخول ميسرة وأصحابه إليها ، أو أنها خربت من فتنة الخوارج الأولى سنة 123هـ التي حدثت بنواحي طنجة[1].

2) سبتة في عهد الأدارسة

عرف المغرب الأقصى عهدا جديدا غاب فيه الحكم المركزي للخلافة الإسلامية بالمشرق العربي ، بقيام دولة الأدارسة سنة 172هـ 788م ، وفي عهد هذه الدولة عاد العمران إلى مدينة سبتة بفضل قبيلة مجكسة الغمارية التي كانت تقيم على مقربة من مدينة تطوان ، وتؤدي الطاعة للأدارسة بفاس ، يرأسها أحد وجوهها وهو: (ماجكس) ، الذي أعاد بناءها وجمع الناس إليها وكان صاحب علم وفضل. ليتولى أمر سبتة بعد ماجكس أبناؤه عصام، ثم مجبر بن عصام، فالرضى بن عصام وبقيت المدينة في أيديهم حتى دخول الناصر الأموي إليها سنة 319هـ 931م [2].

3) التدخل الأموي في سبتة :

دخلت بلاد المغرب في أواخر القرن الثالث هجري في المد الشيعي الذي قضى على دولة الأغالبة والدولة الرستمية والدولة المدرارية سنة 296هـ وواصلوا زحفهم إلى ناحية المغرب الأقصى معتمدين على قبائل صنهاجة ومكناسة الزيانية، بعدما صدتهم جيوش العباسيين عن مصر في الفيوم والإسكندرية سنة 301هـ ليدخلوا فاس بعدها سنة 307هـ في عهد يحيى بن القاسم الإدريسي واضطروه إلى مبايعة عبيد الله الشيعي ، الذي جعل عليها موسى بن أبي العافية عمل بعدها هذا الأخير على تمكين سلطته بالمنطقة وأجلى الأمراء الأدارسة إلى شمال المغرب الأقصى ، لكن العبيد يون عندما أحسوا بخطر ابن أبي العافية ، وبداية استقلاله عنهم ، ومد أنظاره إلى ناحية المغرب الأوسط ، جندوا لمحاربته . خاصة بعد ما قتل عاملهم على فاس عبد الله بن ثعلبة بن محارب [3] .

---

1) ابن خلدون , المصدر السابق , ج 6 , ص.243

2) نفسه ،ج 6 ، 436 .437

3) أبو مروان بن حيان , **المقتبس** , تحقيق: شالميطا، ج05، كلية الآداب ، الرباط ، 1979 , ص 258 .

اضطر بعدها موسى بن أبي العافيــة إلى التحالف مع عبد الرحمن الناصر الأموي بالأندلس ، ومع محمد بن خرز أمير زناتة بالمغرب الأوسط سنة 317هـ، لصد الخطر الشيعي(1).

لقد كانت سبتة في هذا الصراع الأموي الشيعي تابعة للأدارسة ، يتولاها نيابة عنهم الرضى بن عصام بن ماجكس الغماري ، حتى دخلها الناصر بأسطوله مع قائده نجاح بن عفير يوم الجمعة الثالث ربيع الأول 319هـ سلما بدون قتال (2)، وأثر هذا الفتح على سلطة الأمويين داخل المغرب الأقصى ، فوصلوا إلى طنجة ومليلة، وقلعة حجر النسر ، وفي أيام الحكم الأموي ، دخلوا مدينة فاس في مواجهة المد الفاطمي ، وأولى هذا الأخير أهمية كبيرة بمدينة سبتة فقد أمدها بالجند والسفن،ورفع عن أهلها جميع المغارم سنة353هـ. أما في زمن الخليفة الأموي هشام المؤيد، ودولة المنصور بن أبي عامر بالأندلس، فقد اقتصر الاهتمام بمدينة سبتة دون البلاد المغربية(3).

4) سبتة في العهد الحمودي:

انتهت الدولة العامرية بالأندلس سنة 399هـ بمقتل عبد الرحمن بن محمد بن أبي عامر ، على يد البربر ، وتولية سلمان بن الحكم الأموي، وخلع أخيه هشام المؤيد لتدخل الأندلس بعدها فيما اصطلح عليه بفترة ملوك الطوائف .

كانت سياســة الخليفــة الأموي الجديد تتمثل في تولية زعماء القبائل على الأقاليــم المسترجعة مكافأة لهم على المساعدة المقدمة له، كان عدد هذه القبائل ستة فأعطى الجزيرة الخضراء المواجهة لسبتة للقاسم بن حمود الإدريسي، وسبتة وطنجة لعلي بن حمود، وكان هذين الأخوين يعملان كقادة لجند سلمان في إقليم شقندة (4).

أصبحت سبتة في هذه الفترة التي عاش الأندلس خلالها من الاضطرابات والفوضى، نقطة عبور الخلفاء إلى كرسي الحكم بقرطبة، ولعب نسب الحموديين الإدريسي دوره في جلب الولاء لهم لتولي الحكم. حيث نجد في سنة 403هـ أن البربر بقرطبــة طلبوا من علي بن حمــود الذي كان بسبتة وطنجـة لتولي الحكم بدل سلمان الأموي الذي قتل في المعركة الفاصلــة بين الطرفين (5).

---

1) بن حيان , **المقتبس** ، المصدر السابق ص 259.
2) نفسه , ص 289 , 290.
3) ابن عذارى المراكشي , **البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب** ,تحقيق: ليفي بروفنسال، ط 02 ج01 ،دار الثقافة ، بيروت،1980, ص 322- 327.
4) نفسه , ج 02 , ص 113.
5) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج03 ، ص 122-130 .

دامت خلافة علي بن حمود بقرطبة سنة وتسعة أشهر, ضبط خلالها أمور الدولة لكن ساءت سيرته مع الأمويين بها، ليقتل على يد غلمان له من الصقالبة بقصره سنة 409ه .
تولى الحكم بالأندلس بعد مقتل علي بن حمود , رجلان من بني حمود ، القاسم صاحب الجزيرة الخضراء ويحيى بن علي بن حمود الذي شق عصى الطاعة على عمه سنة 412ه وأخذ مدن سبتة ومالقة وشرسيش والمرية ، لنجده يقتل في كمين إثناء حصاره اشبيلية سنة 427ه 1035م[1].

استمرت بعد ذلك حركة التولية من مدينة سبتة إلى كرسي الخلافة بالأندلس ، فبعد مقتل يحيى بن علي الذي سبق ذكره تولي أخوه إدريس حتى سنة 431ه وبعده إلتحق ابن أخيه الحسن ابن يحيى من سبتة إلى الأندلس[2].

ونجد بعدها أن مدينة سبتة أصبح يحكمها رجلان من برغواطة البربرية، إضافة إلى مدينة طنجة هما: رزق الله , وسكات يدينان بالولاء لبني حمود بالأندلس . وفي سنة 453ه ساءت العلاقة بين الرجلين فيقتل سكات رزق الله واستأثر بالحكم وحده ، وحدث في عهده نزاع مع حاكم اشبيلية المعتمد بن عباد , الذي نزل بأسطوله بالجزيرة الخضراء سنة 446ه وأخذها من صاحبها القاسم بن حمود ، وطلب بعدها من سكات تسليمه سبتة أو الدخول في طاعته , فلم يجبه لطلبه بل زاحم الأسطول الاشبيلي على الجزيرة الخضراء , لكنه عجز عن أخذها[3].

5 سبتة في العهد المرابطي :

ظهرت في منتصف القرن الخامس هجري دولة المرابطين الصنهاجية القادمة من الصحراء الكبرى والتي وحدت المغرب ، وقضت على ما تبقى من دولة زناتة من مغراوة وبني يفرن , في الوقت الذي حل فيه الضعف بالمسلمين بالأندلس ، واصبحوا فريسة سهلة أمام النصارى, في خضم الفوضى التي عصفت بدول ملوك الطوائف .

ليعرف المغرب ظهور رجل قوي قامت على يده دولة المرابطين, وهو يوسف بن تاشفين , الذي تولى الحكم مابين سنتي (453 500)هـ[4].
وكان المعتمد بن عباد ملك اشبيلية والجزيرة الخضراء , أول المستنجدين به، حيث كانت دولته تعاني الضعف من ضربات ملك النصارى "ألفنسو السادس"، وانضم إليه

1) ابن عذاري ، المصدر السابق ، ج03 ، ص130 144.
2) نفسه ج 03 , ص 289.
3) ابن خلدون , المصدر السابق , ج04 , ص457،456 .
4) ليفي بروفنسال , **نخبة تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى** ، مطبوعات لاروز, باريس ،1948 ، ص، 30 32.

عدد من أمراء الأندلس وفقهائها, منهم أمير غرناطة ، وأمير بطليوس ، ويؤرخ لهذه الحادثة سنة 467هـ 1074م . لكن يوسف بن تاشفين طلب من أمراء الأندلس مساعدته في اخذ مدينتي سبتة وطنجة من يدي سكوت البرغواطي قبل المرور إلى الأندل وافقه على هذا ابن عباد بمساعدته بأسطوله ، ومع رفض سكوت البرغواطي طلب يوسف التنازل عنها سلما بعد إسرار المعز ضياء الدولة على أبيه مقاومة الاحتلال ألمرابطي لملكهم ، جرت المعركة الفاصلة في أهواز طنجة في وادي منى، حيث انتصر يوسف ودخل طنجة بينما قتل سكوت البالغ من العمر ستة وثمانين سنة , وفر ابنه المعز إلى سبتة،و كان ذلك سنة 470هـ . لكن يوسف بعدها وجه سنة 477هـ 1084م أسطوله إلى سبتة لأخذها من المعز وعاونه أسطول ابن عباد من الجهة الشمالية وبمحاصرتها من الجنوب من ناحية البر سقطت أخيرا في يد المرابطين، وقتل المعز بن سكوت بعد عملية الفتح هذه[1].

بعد هذا الفتح وقعت معركة الزلاقة الشهيرة يوم الجمعة 11رجب 479ه الموافق لسنة 1088م بين المسلمين والنصارى بالأندلس، والتي كسرت فيها شوكة النصارى بقيادة يوسف بن تاشفين ليعود بعدها إلى عاصمته مراكش ليقضي سنة 483ه على ملوك الطوائف , ويوحد الأندلس والمغرب تحت حكمه . وولد ليوسف بمدينة سبتة عام 477ه ابنه وولي عهده علي الذي نشأ بالمدينة وتلقى بها علومه ، واخذ له ولاية العهد بقرطبة سنة 496ه وخلف والده سنة 500ه , وكان أمر سبتة في عهده إلى أخيه إبراهيم بن يوسف الذي استمر واليا عليها حتى سنة 511ه، بعدما اسند إليه أمر اشبيلية [2].

ومن أشهر وجوه قرطبة في عهد المرابطين القاضي الشهير،الذي كانت له مكانة عند يوسف بن تاشفين وأولاده بعده، القاضي عياض اليحصبي، ولقد كان ليوسف العون في متابعة دراسته بالأندلس، ليعود بعدها إلى سبتة عام 508ه ليسند إليه القضاء بها عام 515ه،عاد بعدها سنة 531هـ إلى غرناطة ، وفي سنة 519ه عاد للقضاء مرة أخرى بعد وفاة علي بن يوسف بعامين ليعاصر أخاه إبراهيم بن يوسف، ويبقى في منصبه إلى قيام دولة الموحدين[3]

---

1) أبو الحسن علي بن بسام الشنتريني, **الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة** , تحقيق: إحسان عباس ، مج 02 – ق02، الدار العربية للكتاب, بيروت، 1979, , ص 660،663 .
2) إدريس أحمد خليفة ، المرجع السابق ، ص 140- 142.
3) نفسه ،ص 143- 144.

6) سبتة في العهد الموحدي:

انتهت دولة المرابطين بالمغرب الأقصى بدخول عبد المؤمن بن علي العاصمة مراكش سنة 542ه 1147م، وكانت مدينة سبتة آخر المدن التي تدخل تحت الحكم الموحدي بمقاومة أهلها مع قاضيهم عياض الذي كان اشد المدافعين عن المذهب المالكي ومخالفا لمذهب الموحدين الشيعي المبتدع .

وتعرضت المدينة للحصار من عبد المؤمن بن علي واستعان في ذلك بقبائل غمارة ،حيث قرر أهلها بعدما دان المغرب كله لهذه الدولة الجديدة الإنضمام إليها سنة543ه ،وحمل القاضي عياض البيعة إلى الخليفة بسلا ، وأرسل إليهم يوسف بن مخلوف عاملا عليها [1].

لكن مع قيام ثورة محمد بن هود السلاوي في المغرب ضد الموحدين نقض أهل سبتة البيعة السابقة برأي قاضيهم عياض ،وقتلوا عاملهم عليها واستعانوا من قرطبة بابن غانية ، فبعث اليهم يحيى بن أبي بكر الصحراوي ، الذي قام بحرب عبد المؤمن لكن بعد هزيمته عاد أهل سبتة بعهد أمان جديد إلى الموحدين ، ليستدعي بعدها عبد المؤمن القاضي عياض عنده بمراكش سنة 543ه ،وقام بتكريمه ، كما أبعده عن مدينة سبتة خوفا من ثورة جديدة، حتى توفي بعد سنة من ذلك اللقاء[2].

وفيما يخص العناية العمرانية بمدينة سبتة، فنجد أن عبد المؤمن بن علي أمر قبل وفاته سنة 557ه بإنشاء مركز لصناعة السفن بسبتة وبقية المدن الساحلية للمغرب[3] ، في الوقت الذي أصبح التنافس حاميا بين البرتغال والمغاربة في البحر المتوسط .

لعب فيما بعد الأسطول السبتي في خلافة يوسف بـن عـبد المؤمن دورا هاما في مقاومة الضربات البرتغالية ،ففي عام 575هـ اشتدت ضربات الـبرتغال عـلى وادي اشبـيلية، فـوجه الخليفة يوسف أسطوله السبتي بقيادة غانم بن مردنيش فغزاهم، ثم عـاد لغزوهم مرة أخـرى، إلا أنـه وقـع أسيرا لديهم ، لكن البرتغاليون حاولوا بأسطولهم مهـاجمة الأسطـول السبتي، فيخرج إليـهم مـن ميناء سبتة القائد عبد اللـه بـن جامح ليواجهـه فـي عـرض البـحر وينضم إلـيه الأسطول

1) إدريس احمد خليفة , المرجع السابق , ص148-147.

2) احمد الناصري , **الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى** , ج 02 ، تحقيق: جعفر الناصر ي ومحمد الناصري ،دار الكتاب, الدار البيضاء ،1954 , , ص 206-207

3) أحمد المقري , المصدر السابق , ج04 ,ص 378.

الإشبيلي بقيادة أبو العباس الصقلي،ليلتقي الأسطولان بثغر قادس،انتصر فيها الموحدون بعد معركة بحرية ضارية [1] ،حيث قتل فيها عدد كبير من النصارى واسر نحو ألف وثلاثمائة منهم ، وحجز عشرين سفينة كما تم افتداء القائد الأسير غانم بن مردنيش [2].

ومن سبتة كذلك عبر الخليفة يوسف بن عبد المؤمن سنة 580ه إلى بلاد الأندلس لمواجهة البرتغاليين، فوصل إلى اشبيلية ،ومنها إلى مدينة شنترين شرق لشبونة، وكانت هذه المدينة أهم قواعد البرتغال ،حيث تم له الاستيلاء عليها مع استشهاده بعد جروح أصيب بها في هذه الحملة ،وكان استيلاء المسلمين على هذه القاعدة الضربة القاسمة لملك البرتغال "ألفونسو هنريكي" [3].

لكن مع بداية الاضطرابات التي حلت بالدولة الموحدية في أيامها الأخيرة، وجدنا أولى أقدام النصارى الاسبان تطأ مدينة سبتة، وذلك في ذي القعدة سنة 626ه 1228م حين استعان المأمون الموحدي بملك قشتالة في سبيل عودته إلى السلطة بمراكش . وجرى اتفاق مسبق بين المأمون والملك القشتالي بحيث يتنازل المأمون على بعض الحصون بالأندلس، ومكن النصارى من بناء كنيسة لهم بمراكش بعد دخولها مقابل إمداد الملك القشتالي لهذا الأخير بجيش قوامه 12 ألف جندي لحرب يحيى بن الناصر الموحدي .

ونجحت هذه الحملة بدخول المأمون العاصمة مراكش، وقتل أبناء الموحدين في مجزرة رهيبة بلغ عدد القتلى فيها 4 آلاف قتيل ونفذ شروط النصارى سابقة الذكر[4]. ،انقطعت مدينة سبتة في هذه الظروف عن الموحدين بالمغرب الأقصى، وكذلك عن محمد بن هود بالأندلس الذي محى اثر الوجود الموحدي بها، لتعيش المدينة العزلة طول خمس سنوات مابين 630ه إلى 635ه، يحكمها احمد البياسي البنشتي[5].

أصبحت المدينة بعدها عرضة للاستفزازات قراصنة جنوة حيث تم حصارها عدة مرات من قبلهم ،ففي 632ه حاصرها الجنويون بغية احتلالها لكن مقاومة أهلها حالت دون ذلك، وكبدت أهل جنوة خسائر في الأرواح والمراكب[6].

وكانت العلاقات التجارية بين سبتة وجنوة همزة الوصل بينهما، ومع إرسال سفارة "سور ليون بيغر"سنة 633ه 1236م عادت العلاقات التجارية إلى سابق عهدها ،

1) محمد بن تاويت , **تاريخ سبتة** , ط 01 ، دار الثقافة , الدار البيضاء ،1982 , , ص 71, 72
2) ابن عذارى , المصدر السابق , ج 03 , ص 117 , 118 .
3) محمد بن تاويت ، المرجع السابق , ص 72 , 73 .
4) إدريس احمد خليفة , المرجع السابق , 176 , 177 .
5) محمد بن عبد المؤمن الحميري , **الروض العطار في خير الأقطار** , تحقيق : إحسان عباس ، ط 02، مكتبة لبنان , بيروت ،1984، ص 622.
6) ابن خلدون , المصدر السابق , ج 06 , ص 601 .

ويعود التجار الجنويون إلى فنادقهم القديمة بمدينة سبتة [1].

تعود سبتة بعدها إلى طاعة الموحدين في رمضان سنة 635ﻫ 1237م ، بعدها اشبيلية في شوال من السنة نفسها مع ضياع قرطبة لصالح ملك الاراغون [2].

حل بالمغرب والأندلس مرحلة حاسمة بسبب ضعف الدولة الموحدية من جهة، واستقلال الحفصيون بتونس بزعامة أبي زكريا، الذي مد نفوذه باتجاه المغرب الأقصى إضافة إلى ظهور بني مرين كقوة جديدة ،هذا بالنسبة لبلاد المغرب ،اما في الاندلس فبدأ سقوط الإمارات الإسلامية هناك على أيدي نصارى قشتالة والأراغون , وبداية الهجرة الأندلسية إلى بلاد المغرب الكبير . دفعت الظروف الجديدة عامل سبتة الحسن بن خلاص، الذي كان تابعا للدولة الموحدية تغييرولائه للحفصيين مدة ثلاث سنوات حتى سنة وفاته646ﻫ 1248م [3] وقد ساهم الأسطول السبتي خلال هذه الفترة في الدفاع عن اشبيلية بعدما احتل الملك القشتالي " سان فرديناند" سنة 644ﻫ 1246م مدينة جيان الأندلسية، ثم مدينة اشبيلية بعدها بعامين، بعد عجز الحفصيين عن الدفاع عنها ،فهجر الاشبيليون بعد ذلك إلى مدينة سبتة . قرر بعدها قائد الأسطول السبتي أبي العباس الرند احي وقاضيها أبي القاسم العزفي خلع طاعة بني حفص،والدخول في بيعة الموحدين مرة أخرى سنة 647ه في عهد الخليفة المرتضى، الذي عهد سبتة إلى أبي القاسم العزفي ، يسيرها دون متابعة منه ،لتدخل المدينة في العهد العزفي ويرثها أولاده بعده حتى سنة 728ﻫ 1328م[4].

7) سبتة في العهد المريني :

رغم امتلاك بني مرين الزيانيين معظم جهات المغرب فإنهم لم يحاولوا الاستيلاء على مدينة سبتة ،ومحو ملك العزفيين بها، إلا بعد تعرض المدينة للغزوا الخارجي من مملكة بني نصر بالأندلس ، لذلك قرروا التدخل لاسترجاعها منهم، وذلك في خلافة أبا سعيد المريني سنة 728ﻫ 1328م ،بمساعدة أهل سبتة الذين أرادوا التخلص من حكم العزفيين،وانطوت بذلك صفحة العزفيين التي امتدت قرابة القرن من الزمان[5].

1) محمد الشريف , **سبته الإسلامية " دراسات في تاريخها الاجتماعي والاقتصادي , عصر الموحدين والمرينيين "** ط02, تقديم: أحمد بن عبود ،منشورات أسمير , الرباط ، 2006، ص89.
2) احمد الناصري , المصدر السابق , ج 02 ، ص 245.
3) ابن خلدون ، المصدر السابق , ج 06 , ص 540.
4) نفسه , ج 07 , ص 383 . 384 .
5) محمد بن تاويت , المرجع السابق , ص 134- 136.

أسند أبا سعيد أمر سبتة بعد هذا الفتح إلى عمر بن فتح الله السدراتي،كما أمر ببناء بلدة افراك، بالقرب من المدينة في السنة الموالية[1].

وفي عهد الخليفة أبا الحسن المريني الذي تولى الحكم سنة 731ه 1331م،كانت الأساطيل الراسية بميناء سبتة تقارب المائة، قادمة من بجاية وطرابلس وفاس وعنابة، توجهت سنة 740ه لمحاربة النصارى بالأندلس بقيادة محمد بن علي العزفي قصد منعهم من المرور عبر مضيق جبل طارق، مما أدى إلى نشوب معركة بحرية، كانت الغلبة فيها إلى الأسطول السبتي،وأصبح هذا الحدث من اعز أيام المسلمين ودولة بني مرين[2] .

وبعد وفاة الخليفـــة المريني أبو عنان سنة 759ه 1358م, عاش المغـرب الأقصى موجة من الفتن والتي سببها تنافس الأسرة المرينية على الحكم،حيث أصبح أفرادها يستغيثون بالنصارى وبأهل غرناطة للوصول إلى غايتهم ، وصارت سبتة في هذا الصراع مقصد الفارين والمنازعين للخلافة على حد سواء, كما شهد تاريخها من قبل في عهد الأدارسة . وأول من امتلكها هو: أبو سالم اخو الخليفــة السابق أبو عنان، بمساعدة ملك قشتالة الذي كان عند النصرانيين بغرناطـــة،فاستغل هذه الاضطرابات الحاصلـة بالمغرب واستولى سنة 760ه – 1359م على طنجة وسبتة[3] .

لعب الأسطــول السبتي بعـدها دورا هاما في استـــرجاع الجزيرة الخضراء من الاسبان سنة 770هـ ،التي سلمت بعدها لبني الأحمر بغرناطة،وفي سنة 773ه استولوا بني الأحمر على سبتة وجبل طارق،مستغلين فرقة بني مرين ليستردها أخيرا أبو العباس المر يني سنة 788ه 1386م ،لتشهد المدينة حالة من الكوارث والطواعين ،أتت على خلق كثير قبيــل الغزو البرتغالي في سنة 818ه 1415م[4] .

---

1) محمد بن تاويت , المرجع السابق , ص 136 -139 .
2) نفسه ،ص 144.
3) محمد بن تاويت , نفسه , ص 145
4) نفسه، ص 146 -147.

- **المبحث الرابع: الإحتلال البرتغالي للمدينة**

في صبيحة يوم الجمعة 15 جمادى الثانية عام 818 ه الموافق لـ 21 أوت 1415م احتل البرتغاليون مدينة سبتة بعد حصار طويل دام ستة سنوات في عهد السلطان أبو سعيد عثمان المريني المتوفى سنة 823ه ،وهو ما قبل الأخير من ملوك بني مرين وكان يحاصره آنذاك على عرش لشبونة الملك "جوان الأول" الذي قاد الجيش البرتغالي في عملية الاحتلال[1].

كانت المقاومة محصورة في المتطوعين الذين قاوموا تقدم البرتغاليين بعد استيلائهم على سبتة نحو الغرب الى قصر مصمودة و طنجة،كانوا من أهل الجبال و القبائل المجاورة من أنجرة و الحوز وواد رأس و بني يدر و غيرها[2]،ولم تكن لمقاومة أهلها من صدى إلا بعد موت السلطان أبي سعيد و اعتلاء ابنه عبد الحق الخلافة عام 823ه آخر ملوك بني مرين ،حيث قدموا إليه بفاس برسالة استغاثة رد عليهم بعجزه و استسلامه[3] .

لكن هذه الظروف لم تمنع المغاربة من مواصلة مقاومة الاحتلال فكان المتطوعون يأتون من فاس لنصرة إخوانهم،و يقومون بخطف بعض البرتغاليين اسرى عندهم، فنجد أن المغاربة سنة 841ه 1437م اوشكوا على تحرير المدينة بعدما وقع في أيديهم قائد الجيش البرتغالي "فرناندو" أسيرا مع جماعة من أصحابه الذي كان متوجها من سبتة إلى طنجة لاحتلالها بجيش قوامه ستة ألاف جندي حاولوا بعدها المساومة بين فداء هذا القائد و تحرير سبتة لكن شاءت الأقدار أن يتوفى هذا الأخير بمعتقله بسجن فاس و يلغى الاتفاق بين الطرفين[4] .

وبعد سقوط مملكة غرناطة عام 1492م دخل حوض المتوسط مرحلة جديدة حيث كانت قوة البرتغال و إسبانيا تتزايد بفضل الكشوفات الجغرافية في أمريكا ، أصبح بعدها الساحل الشمالي المغربي في خطر و عرضة للمد الصليبي الجديد[5].

و كانت معاهدة " تورد سياس " سنة 1493م التي قسم فيها البابا الممتلكات الإسبانية و البرتغالية إلى خط 60° غربا فاصلا بين الإمبراطوريتين،ليصبح العالم الجديد عدا البرازيل تابعا للإسبان،في حين أصبحت إفريقيا برمتها تابعة للبرتغال[6].

---

1) محمد المعزوزي , المرجع السابق ص 24.
2) محمد بن تاويت , المرجع السابق ص 177...180.
3) محمد بن القاسم الانصاري السبتي **إختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سنيّ الأثار** ، ط2، تحقيق عبد الرحمن بن منصور المطبعة الملكية ،الرباط ،1983 ، ص 76 -80 .
4) محمد المعزوزي , المرجع السابق ص 24...25
5) محمد صفي الدين , **إفريقيا بين الدول الأوربية** , ط،1 ، دار مصر للطباعة , مارس، مصر ,1959 ، ص75
6) نفسه، ص75.

وقد استولى البرتغال قبل هذا التاريخ على القصر الصغير سنة 1458م القريب من جبل طارق ،و من المحيط الأطلسي على طنجة و أصيلا عام 1471م، و بذلك أصبحوا يملكون نقاط هامة على الساحل المغربي مكنتهم من الإستقرار و التجارة البحرية بالمنطقة[1] .

و قام النازحون الأندلسيون بعد سقوط غرناطة بتأسيس مدينة تطوان الجديدة و لعبوا دورا كبيرا في وقف توسع البرتغال و الإسبان داخل المغرب، و كانوا يهاجمون سبتة و طنجة و القصر الصغير و يأخذون أسرى من البرتغاليين،ففي سنة 929ه- 1523م افتدى حاكم سبتة "جوا ن دي كرونا" بعض الأسرى البرتغال من أهل تطوان الجديدة و حملتهم السفن من سبتة إلى إشبيلية[2].

تظهر سبتة في الأحداث مع معركة وادي المخازن الشهيرة التي كانت يوم الإثنين جمادى الأولى عام 986ه الموافق لـ04 أوت 1575م عندما قهر جيش السعديين بقيادة عبد الملك جيش البرتغال بقيادة الملك"جون سيستيان" الذي بلغ عدده 80ألف جندي ،حيث قدم بحجة مساندة محمد المتوكل لاسترجاع عرشه من عمه عبد الملك الذي غلبه عليه،واستغلها فرصة للتدخل في شؤون المغرب و أخذ السواحل بعد الإنتصار على خصمه ،لكن جرت مذبحة بذلك الوادي بالقرب من القصر الكبير أبيد فيها معظم الجيش البرتغالي و قتل فيها الملك البرتغالي الذي نقل إلى مدينة سبتة ليدفن فيها، و كذلك هلك محمد المتوكل مع عمه عبد الملك الذي توفي قبل نهاية المعركة لذلك عرفت هذه المعركة بمعركة الملوك الثلاث [3].

لم يكن للملك البرتغالي المقتول في معركة وادي المخازن ولد يخلفه على العرش فخلفه عمه الكاردينال "هنري" الذي كان يناهز 87 من عمره ،والذي توفي بعدها بفترة وجيزة في 31 جانفي 1580م فأبدى الملك الإسباني "فيليب الثاني" الأحقية في تولي العرش بصفته حفيد الملك البرتغالي السابق "إيمانويل" ،فسارع بجيشه سنة 1580م إلى برشلونة و ضم الممتلكات البرتغالية إليه بما في ذلك مدينة سبتة[4].

لتطوى بهذه الحادثة حقبة التواجد البرتغالي بمدينة سبتة و بداية عهدها مع التواجد الإسباني بالمدينة.

---

1)-èdouard moha,op cit,p48 1

2) محمد بن تاويت , المرجع السابق ص.181.

3) عبد الله كنون , المرجع السابق ص (101...102).

4) ب , ج , روجرز , **تاريخ العلاقات الانجليزية – المغربية حتى عام1900** , ط 01، ترجمة و تعليق :يونان لبيب رزق (: دار الثقافة الدارالبيضاء, 1981) , ص 48...49

- **القسم الثاني: مدينة مليلية**

- **المبحث الأول: التعريف بالمدينة**

مدينة مليلية إحدى المدن الساحلية بالمغرب الأقصى المطلة على البحـــر الأبيض المتوسط، تقع بشرق المغرب بين خطي طول (2°و52°)،و بين خطي عرض (21°و35°) ،تقـدر مساحتها بـ 12 كلم$_2$ تقـريبا، يأخذ جانبها المحاذي للبحــر شكل قوس نصف دائري طوله 3.9 كلم تبلغ حدودها البحرية حوالي 10 كيلومترات و هي واقعـــة على صخرة كلسية وأقرب مدينة لها هي مدينة الناظور إلى الشرق بحوالي 10 كيلومتر [(1)].

أما عن أصل تسمية هذه المدينة بهذا الاسم فيرجع إلى السكان الأوائل لهذه المنطقة "الورتدي" الذين سموها "مليلت" أي البيضاء، وذلك بعد تراجع النفوذ البيزنطي على هذه المنطقة،و التي تحولت بعد الفتح الإسلامي إلى الكلمة العربية "مليلية" أو مليلة[(2)].

و عن أصل سكان هذه المنطقة فهم "ورتدي" الذين ينتمون إلى قبيلة بطوية التي كانت مستقرة في منطقة جبال الريف و المنطقة الساحلية قبل مرحلة الفتح الإسلامي إضافة إلى فلول من قبيلة نفزة، وأخرى من غمارة المعروفين حاليا ببني واغمران،و كانت هذه الجماعات السكانية مكون أساسي لمنطقة مليلة قبل الفتح الإسلامي[(3)].

هذه الناحية من السلسة الجبلية الشرقية تعرف ببلد النكور و تعرف حاليا بمنطقة الريف و هو الشريط الساحلي الممتد بين قبيلة بني سناسن شرقا وغمارة غربا[(4)].

وأما الواجهة البحرية لهذه المدينة فمميزاتها الطبيعية البارزة على الساحل الممتد بين مصب واد ملوية إلى مصب واد النكور كانت مجال الروابط التجارية بين الأندلس الإسلامية طوال تسعة قرون متوالية و مسرحا للصراع الأندلسي خلال القرن الرابع هجري و محط الأطماع القشتالية في مستهل القـرن العاشر هجري[(5)] .

---

1) محمد المعزوزي , المرجع السابق , ص 89.
2) حسن الفكيكي , **المقاومة المغربية للوجود الإسباني بمليلة (1697 1859م)** ، ط 01، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،1997, ص .30.
3) المرجع السابق , ص 33،31
4) أحمد البوعياشي , **الريف بعد الفتح الإسلامي** ،: معهد مولاي الحسن , تطوان ،1954 ص 9،16.
5) حسن الفكيكي , المرجع السابق , ص 23.

- **المبحث الثاني: تاريخ مدينة مليلة قبل الفتح الإسلامي**

كما سبق ذكره في القسم الأول من هذا الفصل بأن تاريخ مدينة مليلة ظهر بقدوم الفينيقيين من الشرق و تأسيسهم لقاعدتهم قرطاجة عام 880 ق.م،و يرجع لهم الفضل في تأسيس المدينة التي أعطوها اسم "روسادير" .

و كان لموقعها الساحلي و طبيعة الصخرة المشكلة لها حافزا قويا دفع الفينيقيين إلى اختياره كأحد المواقع الهامة لإستقرارهم،قصدوا به للملاحة و التجارة في البحر المتوسط لكونهم كانوا يعتمدون على السواحل لنشاطهم الاقتصادي. و في العصر الروماني تم وضع سور يحيط بالمدينة،وذلك لتعلق الرومان بالحاميات التي كانوا يضعونها في الشمال الإفريقي لحماية ممتلكاتهم بها، لكن مع ظهور الوندال بالمنطقة و القضاء على نفوذ الرومان بسواحل المغرب تعرضت إلى عملية تخريب شاملة سنة 430 م على يد ملك الوندال "جنسريق"و جيشه البالغ 20 ألف جندي، لم ترى المدينة بعدها النور إلا بعد حركة الإسترداد البيزنطي للممتلكات الرومانية بالساحل المغربي، فبعد حملة الترميم للمدن الساحلية لشمال إفريقيا حل بالمدينة "جوان الأرميني"سنة 534م بجيش و عدة سفن و عمال لإعادة بنائهاممّا يؤكد الأهمية التي كانت عليها لدى الملك البيزنطي[1] .

أما الحديث عن المرحلة الفاصلة بين تراجع النفوذ البيزنطي بالمغرب الأقصى وبين بداية دخول الفاتحين إليه الخاص بتاريخ مدينة مليلة فيبقى غامضا، والمرجح أن تكون الأمور قد استقرت لدى السكان الأصليين لهذه المنطقة الورتدي بالمقارنة مع مدينة سبتة، التي استقل بها "يوليان الغماري" و ذلك لأن النفوذ البيزنطي تراجع من الغرب للشرق لوجود الصعوبات التي كانت في مصر و طرابلس و إفريقية على عاتق الإمبراطورية البيزنطيــة ممّا جعلت جيوشهــم تتراجع عن المنطقة الغربية لإفريقيــا والجلاء من القواعد الساحلية هناك و منها مدينة مليلة[2].

1) حسن الفكيكي , المرجع السابق , ص27-28.
2) نفسه , ص 30 .

<u>المبحث الثالث</u> : مليلة في العهد الإسلامي

لم تظهر مليلة في العهد الإسلامي المغربي بشكل واضح إلا في أوائل القرن الرابع هجري،مع بداية التنافس الفاطمي الأموي على بلاد المغرب الأقصى،والذي أفضى أخيرا إلى الاستقرار الأندلسي بالمدينة سنة 314هـ ،واستمر الصراع عليها بين القوتين إلى منتصف ذلك القرن. لتبرز حادثة التجاء سعادة الله إلى نواحي مليلة سنة 250هـ،الفار من أخيه سعيد بن صالح أمير النكور المجاورة أول تاريخ للمدينة في تاريخها الإسلامي،وكانت في هذه الفترة تحت حكم أهلها من الورتدى،ليظهروا ثانية في عملية السطو على جمال أمير مكناسة موسى بن أبي العافية سنة 319هـ [1].

لقد كانت المدينة في هذه الفترة محطة تجارية للقوافل القادمة من النواحي الصحراوية وتجار الأندلس، وبدأت تتعرض لهجومات الفاطميين بداية من سنة 305هـ إلى سنة 310هـ على يدي مصالة بن حبوس،وابن عمه موسى بن أبي العافية المكناسيين، تحت راية الدولة الفاطمية، وكانت تلك الهجومات تأتي من الناحية الشرقية من المدينةعبر طول نهر ملوية [2].

وأمام هذا الخطر المحدق بالمغرب الأقصى،حمل الناصر الأموي إلى الإسراع في صد العبيديين،وكانت مليلة مقصد أنظاره، فنزل بأسطوله بها سنة 314هـ بصورة مفاجئة[3]،وبعدها بعامين ينزل بمدينة سبتة كما سبق ذكره.

وبعد دخول موسى بن أبي العافية في طاعة الناصر الأموي، وخلعه طاعة العبيديين سنة 317هـ ، ففي سنة 324هـ تولى إعادة بناء مدينة مليلة، بعد تسلمه الإمدادات من الأندلس في أسطول يضم عمال ومهندسين بعد الخراب الذي حل بالمدينة سنتي 321هـ 323هـ على يد القائد ميسور الفاطمي[4].

لتتعرض بعدها مدينة مليلة سنة 347هـ إلى موجة جديدة من إعتداءات الفاطميين من طرف جوهر الصقلي،أدت إلى إتلاف الجنان والمحاصيل التي كانت بها[5].

1) أبو عبيد الله البكري , المصدر السابق , ص 94.
2) ابن عذارى , المصدر السابق , ج 01 , ص 230.
3) نفسه , ج 01 , ص 89.
4) ابن حيان , المصدر السابق , ج 05 , ص 382 388 .
5) حسن الفكيكي , المرجع السابق , ص 36.

لكن الأحداث الواقعة في هذه المدينة تغيب مرة أخرى في فترة حكم بني موسى بن أبي العافية قرابة القرن والنصف من الزمان،لتظهر مع نفوذ سلطتهم بالمنطقة واستدعاء أهل ورتدى سنة 454هـ لأحد أمراء بني حمود الأدارسة،محمد بن إدريس واليا عليهم، الذي كان موجود قبلها بالمرية الأندلسية، في الوقت الذي كان المرابطون يتوسعون شمال المغرب الأقصى[1] .

نزل محمد بن إدريس واليا على مليلة في شوال 454هـ ،واستمر عليها إلى أن زحف يوسف بن تاشفين بجيوش المرابطين ليدخلها سنة 473هـ 1080م [2].

أما عن الأحداث الواقعة في هذه المنطقة أيام الدولة المرابطية والدولة الموحدية، فلا توجد أي إشارة تذكر سوى بداية ونهاية نفوذ كل دولة منها ،فقد بدأ العهد المرابطي بمليلة سنة 473هـ ، واستمر لغاية 536هـ حين تغلب قائد الموحدين عبد الرحمن بن زكو على حاكم مدينة مليلة المرابطي ماكسن بن المعز،وينتهي الحكم الموحدي بها مع قدوم بني مرين إليها سنة 610هـ 1213م[3].

و بدخول عبد الحق المريني إلى المدينة في السنة المذكورة آنفا دخلت المنطقة الشرقية من الريف المغربي مرحلة جديدة تغيرت فيها كل الملامح الاجتماعية والاقتصادية السابقة، حيث اختفى منذ ذلك الوقت الإسم القديم لقبيلة ورتدى، باختلاطهم مع عناصر جديدة من السكان القادميين من فكيك وتلمسان ووهران من الغرب الجزائري، بفضل توسعات بني مرين بالمنطقة الزيانية، بالإضافة إلى الهجرة المغربية الداخلية[4].

كما عرفت مدينة مليلة في العهد المريني مرحلة من التهميش،وقلت أهميتها كمرفأ تجاري بسبب بناء قلعة تازوطا بنواحيها الغربية، والتي أصبحت مابين سنتي 610هـ 692هـ عاصمة الريف الشرقي، بزعامة قادة بني وطاس حتى سنة 645هـ ليتولاها أمراء بني مرين بعد هذا التاريخ،وكانت هذه القلعة عبارة عن حصن حربي،إضافة إلى مخزن للحبوب ومستودع للجبايات [5].

أما مدينة غساسة إلى الغرب من مليلة أصبحت المرفأ البحري المفضل لدى بني مرين المستقرين بقلعة تازوطا، وذلك راجع إلى اختلاف الطرق التجارية القديمة، والهجرات السكانية الجديدة،كل هذه العوامل أدت إلى فقدان مليلة أهميتها السابقة[6].

---

1) ابن عذارى , المصدر السابق , ج 01 , ص 429.
2) احمد الناصري , المصدر السابق , ج 02 ص 26 29
3) حسن الفكيكي , المرجع السابق , ص 37 , 38
4) علي بن أبي الزرع الفاسي , **الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس** , ج 01، دار المنصور، الرباط , 1973 ، ص 28.
5) ابن خلدون , المصدر السابق , ج 07 , ص 215
6) حسن الفكيكي , المرجع السابق , ص 42 , 43 .

دخلت المدينة بعدها في حكم بني وطاس،الذين خلفوا دولة بني مرين بدخولهم العاصمة فاس سنة 876هـ 1471م، بزعامة محمد الشيخ الذي أعطى مسؤولية قلعية إلى شخص لم تذكر المصادر التاريخية اسمه، لكن عرف بشيخ بطوية،كما جعل مع هذا الأخير قائدا عسكريا تابعا للدولة الوطاسية بمدينة غساسة،إضافة إلى قائد آخر بمدينة مليلة ، أما الهجرة الأندلسية إلى مدينة مليلة كانت من أبرز أحداث هذه الفترة، وذلك بوصول جماعة من الأثرياء من مدينة موتريبل الساحلية على الجانب الأندلسي إلى مليلة المواجهة لها على الساحل المغربي حوالي سنة 1489م . لتتزعم بعدها هذه الجماعة التمرد على القائد الوطاسي بمليلة وطرده في فيفري 1494م، لتقوم بعدها بدعوة الإسبان لاحتلال المدينة، لكن لم تتلقى أي رد منهم الذين كانوا عازمين على احتلال المدينة دون مساعدة منهم ، ووسط هذا التنازع قررت الجماعة المذكورة التفرق عبر بلاد المغرب الأقصى، لتتعرض المدينة بين سنتي: 1495- 1496م إلى التخريب بأمر الخليفة محمد الشيخ الوطاسي ، لكن المدينة بقيت على هذه الحالة طوال تسعة أشهر، إلى حين نزول الإسبان بها في 17 سبتمبر 1497م[1].

1) الفكيكي, المرجع السابق ، ص 62 , 63 ,64 .

الفصل الثاني

الاحتلال الإسباني لسبتة ومليلة وأثره على العلاقات المغربية الاسبانية

مابين 1497-1859

الفصل الثاني : الاحتلال الإسباني لسبتة و مليلة وأثره على العلاقات المغربية الإسبانية ما بين 1497 -1859.

المبحث الاول : الاحتلال الإسباني لمدينتي سبتة ومليلة

1- احتلال مليلة

2- سبتة تحت الحكم الإسباني

المبحث الثاني : المقاومة الشعبية والرسمية للاحتلال :

1- المقاومة بمليلة

2- المقاومة بسبتة

المبحث الثالث : السياسة المغربية العامة اتجاه الاحتلال الإسباني للمدينتين

1- التقارب المغربي الإنجليزي

2- الاتفاقيات المغربية الإسبانية

3- علاقة السلطة بالحركة الوطنية

شهد العالم في العصر الحديث ، الذي بدأ بحادثة فتح القسطنطينية على يد العثمانيين عام 1453م تغييرات جذرية في سير العلاقات الدولية وتشكلت بعدها قوى جديدة بالمغرب والمشرق، كما طويت صفحات من تاريخ إمبراطوريات ودول دامت عدة قرون من الزمن .

بإعطاء نظرة شاملة على خارطة العالم الحديث الذي دخلت فيه إسبانيا والمغرب الأقصى مرحلة الصراع، فإن الشرق عرف ظهور قوة إسلامية جديدة وصلت إلى قلب أوربا ، وإلى فيينا تحديدا وهي الفترة العثمانية التي أسقطت الإمبراطورية البيزنطية بفتح العاصمة القسطنطينية عام 1453م ، هذه الإمبراطورية التي عمرت قرابة العشر قرون[1].

عملت بعدها هذه الإمبراطورية على مساندة المسلمين في صد الخطر الإسباني البرتغالي الذي زادت وتيرته بعد سقوط غرناطة عام1492م، وبداية الزحف الصليبي إلى بلاد المغرب. بالموازاة مع ظهور الإمبراطوريات الحديثة وكانت البرتغال وإسبانيا السباقة لها،بعدما نجحتا في عملية الكشوفات الجغرافية ، وضم الأمريكيتين إليها ، والتعرف على الطرق البحرية التجارية التي ساعدت على التخلص من قبضة العثمانيين بالشرق[2].

مرت الفترة الممتدة ما بين (1497- 1859)م ، بتغييرات هامة في أنظمة الحكم الغربية والإسبانية ، حيث استرجعت إسبانيا سنة 1580م مدينة سبتة من البرتغال كما عاش المغرب في هذه الفترة نهاية دولة بني وطاس، وبداية دولة السعديين ، إلى أن دخل في مرحلته الأخيرة في حكم الدولة العلوية، التي مازالت تحكم البلاد إلى اليوم ، كما شهدت هذه المرحلة انفتاح العلاقات المغربية الأوربية ، وبداية النفوذ الأجنبي بالمغرب عبر الاتفاقيات التجارية والامتيازات التي ستلعب دورا خطيرا فيما بعد في السيطرة الأجنبية ، والنفوذ السياسي للدول الأوربية على السلطة الحاكمة في البلاد .

1)ـ عبد □ كنون، المرجع السابق ،ص 91.
2)نفسه ،ص91

<u>المبحث الاول</u> : الإحتلال الإسباني لمدينتي سبتة ومليلة :

إن الفرق بين الاحتلال الإسباني بمدينتي سبتة ومليلة ، يكمن في الفارق الزمني بينهما ، والكيفية التي أدخلت كل منهما تحت الحكم الإسباني ، مليلة احتلت عسكريا سنة 1497م ، بينما مدينة سبتة ، انتزعت من الممتلكات البرتغالية سنة 1580م ، حينما استولى ملك البرتغال "فيليب الثاني" على عرش لشبونة .

1 ـ <u>احتلال مليلة</u>

قبل البدأ في الحديث عن الاحتلال الإسباني لهذه المدينة ،لابد من التعرف أولا عن الحالة التي كان عليها المغرب و مليلة قبل وقوع هذا الاحتلال .

كان المغرب الأقصى في هذه الفترة ، يعيش تحت السيادة الوطاسية التي تنتمي إلى قبائل زناتة وهم فرع من بني مرين، عملوا كوزراء وقادة أقاليم ، في عهد الدولة المرينية لكنهم نافسوهم على حكم المغرب الأقصى بعدها ، ويعتبر محمد الشيخ الوطاسي هو مؤسس هذه الدولة ,الذي دخل عاصمة بني مرين في رمضان سنة 876هـ- 1471م،هو الذي دخل في صراع مع الدولة الزيانية بتلمسان في هذه الأثناء [1].

وبخصوص منطقة مليلة ، فقد اسند محمد الشيخ الوطاسي قيادتها إلى شيخ بطوية ، مع وجود قائدين عسكرين من الأسرة الوطاسية ، على كل من مليلة وغساسة المتجاورتين جغرافيا . أما عن القوة الدفاعية الموجودة لدى شيخ بطوية فكانت تتمثل في خمسة ألاف من المشاة والفرسان من سكان المنطقة من قبيلة قلعية ، أما القائدين الوطاسيين الموجودين هناك فلم تكن لديهما قوة كبيرة ، بدليل ما حدث سنة 1494م حينما طردت جماعة المهاجرين الأندلسيين من أهل موتريل ، القائد الوطاسي الموجود بمليلة وهذا ما يعكس ضعف السلطة المركزية في هذه المنطقة ، واعتمادها على ولاء القبائل لصد نفوذها هناك [2].

أما عن الظروف التي كانت تعيشها إسبانيا ، في هذه الفترة ، فتبلورت في عدة معطيات داخلية وخارجية:

---

1) عبد □ كنون، المرجع السابق ،ص 91.
2) حسن الفكيكي . المرجع السابق ، ص- ص، 62 ،63،64.

فمن ناحية جوارها الجغرافي ، في شبه الجزيرة الإيبيرية فقد حاولت القضاء على الوجود الإسلامي بها ، وهذا ما تحقق لها سنة 1492 بسقوط مملكة غرناطة . أما خارجيا فكانت تشهد حركة غير عادية بسبب بداية التنافس البرتغالي الإسباني على المستعمرات الجديدة ووصول "كريستوف كولومبس " الإسباني سنة 1492 م إلى السواحل الأمريكية واكتشاف البرتغالي "بارتليموديار" سنة 1484م رأس الرجاء الصالح بأقصى جنوب إفريقيا الذي استغلته البواخر التجارية الأوربية كمنفذ جديد إلى التجارة مع الهند ،بدلا من المرور عبر البحر الأبيض المتوسط الذي كان تحت السيطرة العثمانية تقريبا[1] .

أدت هذه العوامل كلها إلى تقوية الإمبراطورية الإسبانية ، بما كانت تحصل عليه من تجارة الرقيق بإفريقيا ،والتي بدأت أواسط القرن الخامس عشر إضافة إلى تجارة الذهب بجلبه من غرب إفريقيا وأمريكا وسط ظهور الطبقة الرأسمالية ودورها المعروف في التنافس التجاري والاقتصادي [2].

أما عن السواحل المغربية والاهتمام الإسباني بها ،فيمكن إعتباره عنصرا هامشيا بالنسبة للأسبان لكون اسبانيا كانت تعتمد على الجزر الساحلية ، المحاذية للقارة الإفريقية في رحلاتها إلى الهند[3].

ويأتي الشروع في احتلال المدن الساحلية بالمغرب عموما والمغرب الأقصى خاصة مع بداية الحركة الإستردادية ضد الأندلسيين النازحين بعد سقوط غرناطة وفق مخطط مدروس مسبقا من طرف القادة والقساوسة الإسبان.حيث عملت السياسة الاقتصادية دورا في إضعاف المغاربة قبل الاحتلال ،خاصة بعد الحصار الذي شنه الأسطول الأراغوني على الشواطئ المغربية والقرار الذي أصدره البابا "إيرنيست الثامن" سنة 1489م، بحظر بعض السلع الأساسية من دخول السوق المغربية مثل الحديد والخيل والذهب والفضة[4] .

بالرجوع إلى بداية الاهتمام الإسباني بمدينة مليلة فيعود إلى 1309م حينما اشترط الملك الأراغوني " جاك الثاني " على السلطان المريني أبا الربيع سليمان تمكينه من المدينة مقابل إمداده بقطع بحرية في صراعه مع بني الأحمر بالأندلس قوبل هذا العرض بالرفض[5].

---

1) محمد صفي الدين ، المرجع السابق ، ص ص،84 85
2) نفسه ،ص ص 86 87
3) حسن الفكيكي ، المرجع السابق ، ص –ص،66 .
4) نفسه ،ص 67.
5) نفسه ،ص 67.

وأمام التقدم الذي تمتعت به إسبانيا ، أواخر القرن الخامس عشر بدأت الحركة الإستردادية الكاثوليكية التي أشرف عليها كل من السكرتير الملكي "فرناندو دي ثالفرا " وقسيس غرناطة وفق مخطط مدروس مسبقا .وعليه أصبحت البحرية الإسبانية منذ ذلك الحين ، تركز دورياتها عبر شواطئ المغرب العربي ، وخاصة المنطقة التي نزل بها العدد الأكبر من الأندلسيين ، والممتدة من فاس إلى تلمسان وبها كانت السلطة المركزية ضعيفة [1].

وزاد من تأزم الوضع الاجتماعي حدوث مجاعة بهذه المنطقة مابين سنة 1493 و 1497،بدأت بالأندلس وانتقلت إلى منطقة غساسة مع نزول أمراء بني نصر بها .
وكانت مدينة مليلة قد تعرضت للتخريب سنة 1496م بعد ذلك التمرد الذي قام به الأندلسيون المقيمون بالمدينة على حاكمها الوطاسي والإلتجاء إلى الإسبان في سبيل مساعدتهم على احتلالها لكن لم يتلقوا أي رد منهم فعزموا على مغادرتها والتفرق داخل التراب المغربي،وبقيت المدينة مهجورة طوال التسعة أشهر السابقة للاحتلال الإسباني .إثر ذلك وصل خبر إخلاء المدينة إلى الإسبان عن طريق المخبر "مبيل" وكشف لهم عن عورات المدينة ، والوضع العام المحيط بها ، وبعدها بعث الإسبان إلى عين المكان خبراء لتفقد الوضع وإعداد التقارير النهائية للاحتلال ، الذي كان ليلة 27 سبتمبر 1497م دون أي مقاومة تذكر [2] فنزل بها الدوق " بيدرو دي إسطونيان " مع قرابة خمسمائة فارس [3].

ولتفسير عدم وجود مقاومة شعبية أو رسمية خلال عملية الإنزال بمدينة مليلة فترجع إلى الحالة التي كان عليها المغرب في هذه الفترة ، من الضعف الذي عرفته الدولة الوطاسية ومشاكلها الخاصة مع الدولة الزيانية ، إضافة إلى أن المدينة كانت في هذا الوقت مهجورة ومخربة ، والاحتلال كان مفاجئا للسكان المجاورين لها ، من ناحية أخرى . الاختيار الإسباني لمدينة مليلة ، كان ذو قيمة حيوية في تـوسعاتها المـــرتقبة عـبر السواحـل المغربيـة ، فهي قــريبـة من مـــدينة تلمسان الجزائريـة ،

---

1) حسن فكيكي،المرجع السابق ، ص ص، 67-69
2) نفسه ، ص 70-74 .
2)محمد المعزوزي ، المرجع السابق ، ص 92.

وفي نفس الوقت هي مواجهة لمدينة ألميرية الإسبانية ، وتصلح لأن تكون مركزا توسع داخل الأراضي المغربية خاصة ، ومرفأ بحريا للسفن الإسبانية .وبعد ذلك أصبحت المدينة مستقرا لأبناء الملوك الإسبان المتنازعين على العرش الإسباني،واستمرت تابعة منذ احتلالها لدوق مدينة "سيدونة " الإسبانية مدة 59 عاما، الذي تكفل بمصاريف الصيانة والدفاع عنها حتى تخلى عنها للتاج الإسباني في 07 جوان 1556 [1].

وبعد تسع سنوات من احتلال مليلة . وقعت مدينة غساسة ، المجاورة لمليلة من الناحية الغربية وذات الأهمية الإقتصادية والبحرية منذ العهد المريني تحت الإحتلال الإسباني بصفة مفاجئة سنة 1506م ،بعد وفاة السلطان الوطاسي محمد الشيخ سنة 1502م واعتلاء ابنه محمد البرتغالي الحكم بعده والذي شهد ملكه مرحلة من الضعف في آخر أيام الدولة الوطاسية.وبدأ التوسع الإسباني إلى الغرب من مليلة في فترة غفل فيها جنود الحامية الوطاسية الذين كانوا خارج القلعة فاستغل حاكم مليلة هذه الفرصة واحتل تلك المدينة . في افريل 1506م[2].

2سبتة تحت الحكم الإسباني :

احتلت مدينة سبتة من قبل البرتغال منذ سنة 1415م كما سبق ذكره،وبقيت كذلك حتى زحف الملك الإسباني "فيليب الثاني"على عرش البرتغال سنة 1580م، وضم كل المستعمرات البرتغالية إليه ، بما في ذلك مدينة سبتة [3].

وظلت البرتغال تابعة للإسبان إلى سنة 1640م،حيث كانت الحركة الإنفصالية واستقلال البرتغال عن العرش الإسباني،وكانت مدينة سبتة ورقة الصلح الذي قام بين الدولتين بحيث تتخلى البرتغال عن سبتة مقابل الإنفصال عنها،ذلك الوفاق الذي ابرم بين " جون الرابع " ملك البرتغال و"فيليب الرابع "الملك الإسباني .

وكان حاكم سبتة اثر هذه الحركة الإنفصالية " فرانسيسكو ديلمايد " البرتغالي الأصل حيث كان مترددا في الانضمام إلى العرش الإسباني بينما سكان المدينة

1) محمد المعزوزي ،المرجع السابق ، ص92
2) حسن الفكيكي ، المرجع السابق ، ص- ص87 89.
3) محمد بن تاويت ، المرجع السابق، ص،85.

كانوا موالين للإسبان واضطر أخيرا إلى الإعلان عن ولاء سبتة للتاج الإسباني،وهي المدينة الوحيدة التي دخلت تحت الحكم الإسباني من بين المستعمرات البرتغالية وبقيت طنجة ومازغان ، في شمال المغرب الأقصى تابعة للبرتغال [1].

وبهذا أصبح الإسبان يمتلكون كل من سبتة ومليلة في المغرب الأقصى، كما توسعوا شرقا ، فاحتلوا المرسى الكبير قرب مدينة وهران سنة 1505م، وفي 1509م احتلوا مدينة وهران ، وأصبحوا يشكلون خطرا كبيرا على السواحل المغاربية .

1) محمد بن تاويت ، المرجع السابق ص 86.

المبحث الثاني : المقاومة الشعبية والرسمية **للإحتلال :**

لقد تميز تاريخ المغرب **الأقصى** في الفترة المخصصة للدراسة في هذا الفصل ما بين :1497 **إلى** 1859 ، **بظهور واندثار** عدة دول به ، بدأت بسقوط دولة الوطاسيين التي في عهدها احتلت مدينة مليلة ، مرورا بدولة السعديين ، التي في عهدها يبدأ التقارب بين المغرب **الأقصى وأوربا خاصة انجلترا ، لتأتي الدولة** الأخيرة **التي مازالت تحكم البلاد حتى** اليوم هذا وهي دولة العلويين.

كما شهدت هذه الفترة الهجرة الجماعية للأندلسيين **بعد سقوط مملكة غرناطة** وقدوم العثمانيين **إلى** بلاد المغرب ودخول الجزائر في حكمهم مع بداية **الإحتلال** **الإ**سباني للشواطئ المغاربية .

لذلك لابد من كشف مدى مساهمة كل من هذه الدول التي حكمت المغرب في عملية تحرير المدينتين ، وكيف كانت العلاقات بين المغرب **الأقصى** واسبانيا في هذه الفترة على خلفية هذا الغزو ؟ **ومدى الإستعداد الشعبي المغربي في تحمل** مسؤوليته اتجاه هذه القضية ؟.

1- **المقاومة بمليلة :**

لقد لعبت المقاومة الشعبية دورا هاما في محاولة تحرير المدينة من الأسر الأجنبي منذ احتلالها ومنعهم من التقدم أكثر داخل البلاد .

كانت غساسة المجاورة للمدينة أحد ركائز المقاومة الشعبية من قبيلة بني شكر ومزوجة إضافة إلى النازحين من سكان مليلة ،فقد قاموا بمراقبة تحركات الإسبان بالمدينة المحتلة ونظموا هجوما يقوده شيخ بطوية في ديسمبر 1497م بعد أقل من شهرين من تاريخ الإحتلال استشهد فيه ذلك القائد وحاكم غساسة الوطاسي وكان الفارق في التسليح بارزا بين الإسبان والمغاربة(1) .

وخوفا من توسع الإسبان خارج مدينة مليلة ، أرسل محمد الشيخ الوطاسي من العاصمة فاس في غضون أشهر من ذلك الهجوم قائدين إلى المنطقة،فأرسل بن الفيلالي إلى قلعة تازوطا ومعه أربعمائة من الفرسان وألف من المشاة كما بعث بعلي العطار الأندلسي صاحب الصيت في الدفاع عن غرناطة لدى حكام بني نصر إلى غساسة لتدبير شؤونها وتنظيم الحركة الجهادية بها .حيث أمر الخليفة محمد الشيخ الوطاسي القائدين بإجراء التدابير اللازمة في تحصين كل من مدينتي تازوطا وغساسة ، مع القوة الجهادية التي التفت من قبيلة قلعية بزعامة أحمد مزوتبين المقدرة بخمسمائة فارس وتسعمائة من المشاة ، ومنع التسرب الإسباني خارج مليلة وتبين للقوة المجتمعة بالمدينتين استحالة تحرير مليلة نظرا لتحصيناتها الطبيعية بالإضافة للعمل الذي قام به الإسبان بإضافة تحصينات قوية وامتلاكهم للأسلحة النارية التي لم تكن عند القوة الوطاسية (2).

ضاعت بعدها غساسة في أبريل 1506، التي كانت أبرز مركز لمراقبة الإسبان بمدينة مليلة لكن لحسن حظ المغاربة فقد تم استرجاعها يوم الثامن من شهر جانفي 1533م بمساعدة المتمردين الإسبان داخل القلعة ، الذين قاموا بقتل القبطان ودعوة المغاربة إلى الدخول للمدينة ، ومع هذا فلم تعد غساسة بعد هذا التاريخ لسابق عهدها كبرج للحراسة للمدينة بل أصبح دورها هامشيا وتعرضت للتخريب والهجرة في عهد الملك السعدي عبد الغالب الذي تولى الحكم سنة 1597م ، وتكون قد تعرضت للتخريب ما بين : (1557إلى 1571م)(3)وبعدها لم تظهر أي مقاومة رسمية أو شعبية إلى غاية 1564م، وهي إن صح القول مغامرة قام بها أحد

---

1) حسن الفكيكي ، المرجع السابق ، ص،98 99.
2) نفسه ، ص 100- 101
3) نفسه، ص ،164- 167،

المرابطين ،ويرجع سبب هذا التراجع في تحرير مدينة مليلة إلى ظروف الدولة السعدية ،التي مازالت في مرحلة تثبيت حكمها في الأقاليم،إضافة إلى ضربات البرتغال والإسبان على السواحل المغربية [1].

- **مسيرة مرابط أكزناي:**

هي مغامرة قام بها المدعو :سيدي أحمد بن حلاسة من قبيلة (اكزنة) الواقعة بغرب البلاد في جبال البرانس،والذي قدم إلى نواحي مليلة ودعى الناس إلى إتباعه قصد تحريرها من الإسبان، بدون حمل أي سلاح وأقنعهم بأنه قادر على تعطيل الأسلحة النارية بأمور الشعوذة والسحر،و أنه قادر على بث الرعب في الجنود الإسبان ممّا يسهل التقدم واحتلال المدينة وطرد العدو منها .وقد نجح المرابط بجمع سبعة آلاف لهذه المهمة وكان الإسبان على علم بتحركاتهم من حصن المدينة التي كان عليها "بيدروفينيكاس " القرطبي و يعتبر من أكفأ القادة الإسبان في محاربة المجاهدين .

انتهت هذه المغامرة بمذبحة راح ضحيتها ألف من أتباع الشيخ بمجرد تقدمهم إلى ساحة القلعة بينما أصيب هذا المرابط بجروح نقله بعدها قائد قلعية أبو بكر البوعلوتي إلى قلعة تازوطا ، بعدما حاول أهل قلعية الفتك به على سوء فعلته،وكانت هذه الواقعة في 11 رمضان 971هـ الموافق لـ 22 أفريل 1564م[2].

بعدها قام حاكم مليلة باستدراج الشيخ إلى القيام بمحاولة ثانية وبث الإشاعات بأنه تأثر بالسحر،وأن أتباعه استعملوا الرماح ، عكس تعاليم المرابط ، ودسّ في أهل قلعية أحد اليهود كان يزودهم باللحوم لينشر الإشاعات فيهم . وفعلا صدّق الناس تلك الإشاعات وعاد الشيخ إلى مغامرته الثانية التي جمع فيها ضعف العدد الأول من المتطوعة،ولم تفلح نصيحة قائد تازوطا أبو بكر البوعلوتي في وقف هذه المؤامرة وسار الشيخ بعدها مع أتباعه بعد مرور شهرين من المحاولة الأولى وذلك يوم الاثنين 9 ذي القعدة 971هـ الموافق لـ 19 جوان 1564م،كانت مسيرة هذا المرابط كارثة حقيقية على سكان قلعية خسرت خلالها ثلاثة آلاف رجل ، لم يبقى من المشاركين أحياء سوى أربعمئة نقلهم الإسبان كأسرى إلى حجر بادس لاستخدامهم في تجذيف السفن بعدما احتله الإسبان في سبتمبر من نفس السنة بينما نجا المرابط من هذه المذبحة برفضه الدخول إلى الحصن ، بعدما تقدم أتباعه إلى داخله لتنطبق عليهم حيلة الحاكم الإسباني [3].

وممّا يمكن ملاحظته من هذه الواقعة مدى الحالة الثقافية التي كان يعيشها أفراد المجتمع المغربي خاصة الفئة العامية آنذاك وتصرفاتهم وفق الأفكار الساذجة التي

---

1) حسن الفكيكي ، المرجع السابق ،ص ص166ـ 167
2) المرجع السابق . ص ص،170 ـ175.
3) نفسه ، ص ص 176ـ 177 .

كان يروج لها بعض المتصوفة والمرابطين،ذلك مع العلم أن السلاح الناري كان متداولا في رباط مليلة قبل هذه الكارثة،مع أنه كان من بين أحدث الأسلحة التي ابتكرت في العصر الحديث [1].

كانت العلاقة بين المغاربة والإسبان بعد هذه الموقعة تنحصر في بعض المناوشات على حدود مليلة من طرف قادة قبيلة قلعية،الذين حاولوا التضييق على الإسبان في حصنهم ومنعهم من التزود بالحاجيات اليومية كالأخشاب والمياه وغيرها، كان الإسبان واعيين بتلك المخاطر حيث بالغوا في تحصين المدينة وبناء أبراج جديدة وكانت تنقلاتهم خارجها تتم وفق حراسة مشددة [2].

لعبت الكمائن التي نصبها المغاربة دورها في الفتك بالإسبان حيث عرفت سنة 1649م مقتل الماريشال "لويس دي سوتو مايور " مع ثلاثين من جنوده في إحدى الكمائن التي نصبها المغاربة لهم على حدود مليلة [3]،ويعود عدم وجود حملة لتحرير المدينة من الأسر الإسباني في هذه المرحلة من طرف الأمراء السعديين واقتصارهم على إعطاء الحرية لرؤساء القبائل في هذه المنطقة،الى الفوضى التي عمت المغرب الأقصى بعد وفاة أحمد المنصور الذهبي سنة 1603م،وبروز الزعماء الدينيين الذين أصبحت لهم سلطة في شمال المغرب حيث كانت منطقة الشمال وفاس تحت سيطرة محمد العياشي ما بين 1637 إلى 1641م،وبعده وقعت المنطقة تحت قبضة شيخ الزاوية الدلائية محمد الحاج الذي هزم الأمير السعدي محمد الشيخ في أكتوبر 1638م، واضطره للتراجع إلى مراكش وصده عن التقدم نحو الشمال [4].

وفي هذه الفوضى كانت الساحة السياسية المغربية تشهد قدوم أسرة جديدة وهي الأسرة الفيلالية،القادمة من منطقة جنوب الأطلس الكبير المعروفة باسم " تافيلالت " وتمكن أميرها المولى رشيد من إخضاع فاس في ماي 1666م، وتمكن بعدها من هزيمة محمد الحاج صاحب الزاوية الدلائية ، وقوات لخضر غيلان ، أحد أتباع محمد العياشي بمنطقة الشمال المغربي [5].

أما عن منطقة قلعية المجاورة لمليلة ، فقد دخلت في طاعة المولى الرشيد سنة 1663م، بولاء قائدها آنذاك بلقاسم الشاوي الفرخاني للمولى العلوي الجديد[6].

---

1) حسن الفكيكي، المرجع السابق،ص 203.
2) نفسه ،ص203.
3) نفسه ،ص203.
4) روجرز ، المصدر السابق ، ص –ص، 78 -79.
5) نفسه ،ص79
6) حسن الفكيكي ، المرجع السابق،ص 206.

وبعد دخول منطقة قلعية في طاعة الدولة العلوية الحديثة ، نشطت الحركة الجهادية ضد العدو الإسباني ، وجرت محاولات جريئة قصد تحرير المدينة ،ولجأ المجاهدون إلى إيجاد طرق جديدة لقهر الإسبان ، كان أبرزها : سياسة هدم الأبراج .

- **سياسة هدم الأبراج :**

قام المجاهدون بعدما وجدوا أن الإسبان قد حصنوا المدينة بسلسلة من الأبراج الخارجية لمنع تقدم أي مقاومة نحوهم إلى سياسة جديدة،ملخصها أنهم قاموا بحفر خنادق تحت الأرض باتجاه القلعة،وبعدها يتم وضع كميات من البارود ، لتتم المرحلة الأخيرة بتفجير الأساس،مما يسهل عليهم تسلق البرج المهدم بواسطة سلالم والدخول إلى الحصن،وذلك بعيدا عن أنظار الإسبان في فترات متفرقة [1].

لقد أثمرت هذه الخدعة الحربية في هدم عدة أبراج كان أولها في 24سبتمبر1667 والمسمى برج "سانتو توماس دي كانتيرا "، الذي خرب عن آخره ، بعد التفجير والإقتحام ورميت أحجاره في البحر . وكان برج" أقمقوم" ، ثاني برج يهدم بعد ذلك سنة 1668 ودارت بعد هدمه وحرقه معركة بين المغاربة والإسبان،راح ضحيتها أربعون جندي إسباني ، وثمانية من الجنود المغاربة،وكان المولى رشيد يرسل المدد من الجنود في هذه المرحلة،لقائد قلعية بلقاسم الشاوي [2].

وفي عهد المولى إسماعيل الذي تولى الحكم سنة 1672م،كان قد بعث إلى قائده على قلعية محمد بن مسعودالقيطوني عام 1677م، يحثه على تشديد الحصار على مليلة ،وشن الحرب على الأبراج الخارجية التي كان عددها خمسة، وقد تمكن المغاربة في هذه الفترة من هدم برج"مزوجة"،فسقط بأيديهم في أكتوبر 1677م بعد مقاومة شديدة من أصحاب البرج ،وبعده برج "سان فرنسيسكو" يوم 25 فيفري 1679م، الذي سقط بسهولة بعد فرار حراس البرج قبل عملية التفجير،بعده نجح المغاربة في استرجاع برج"فج معدن الزاب اللين"،في سبتمبر من نفس السنة ، وتم أسر أربعين إسبانيا به وقتل عشرة آخرين،وغنم كمية من السلاح و الذخيرة وكان البرج"الكبير"آخرها ، يقع في يد المغاربة سنة 1681م، بعد قتل بعض الجنود الإسبان به ، وغنيمة من البنادق والبارود. [3]

---

1) حسن الفكيكي ،المرجع السابق ، ص ص، 207- 213.
2) نفسه ،ص ص213ـ 219
3) نفسه ،ص ص219ـ 223

لكن مع هذا النجاح المغربي في تهديم الأبراج لم يتراجع الإسبان عن بناء أبراج أخرى فقد أقاموا برج جديد سموه برج " سانتياغو " مكان البرج القديم في ماي 1697م،وطلب المساعدات من إسبانيا التي وصلت إليهم في الرابع والعشرين من نفس الشهر ، لمواجهة أي عدوان للمغاربة [1]،لجأ بعدها المجاهدون برباط مليلة إلى فكرة جديدة وهي حصار المدينة والأبراج المحيطة بها .

- **سياسة حصار الأبراج :**

لجأ المولى إسماعيل إلى مد قبائل قلعية ، التي كان يرأسها آنذاك عمر بن محمد القيطوني ،بالمعونات الحربية والبشرية ، وظهر العبيد البخاري * في حصار مليلة سنة 1697م، مبعوث من قبل السلطان مع ابنه محمد . وأثمرت هذه السياسة في تشديد الخناق حول المدينة ، وفي استرجاع بعض الأبراج كما حدث في 16 أوت 1715م،حيث تمكن المغاربة بقيادة الطاهر بن محمد القيطوني ، وجيش البخاري الذي بلغ عدده خمسة وعشرين ألف جندي بقيادة محمد بن إسماعيل ، من استرجاع أربعة أبراج من الإسبان،بعد حصار دام 76 يوما .إلا أن الصراع كان متواصلا حول هذه الأبراج من الجانبين في هذه الفترة دون التمكن من دخول مليلة وتحريرها ، بل كان الإسبان يعودون لامتلاك بعض الأبراج وقهر المغاربة بها مثلما حدث في 27 أوت 1727م،بإحتلال موقع عبيد البخاري وهي السنة التي توفي فيها المولى إسماعيل [2].

وبعد وفاة المولى إسماعيل لم تقف المحاولات المغربية في حصار الإسبان،فقد كان خلفه المولى عبد الله ، يرسل بدعمه من جيش البخاري،والمدفعية إلى قائد قلعية ورغم هذا فقد نجح الإسبان في بناء برج ضخم مزود بالمدفعية ، يدعى برج "فيكتوريا"سنة 1737م،والذي أصبح العقبة الكبرى أمام المغاربة، في سبيل تحرير مدينة مليلة [3].

وبعدها قام سلطان المغرب الجديد المولى محمد بن عبد الله الذي تولى الحكم سنة 1757م بمحاولة استرجاع مليلة سنة 1775 ، فماذا كانت نتيجة هذه المحاولة ؟

- **مليلة في عهد المولى محمد بن عبد الله :**

قام السلطان محمد بن عبد الله في مرحلة التوتر بحملة قصد تحرير

---

1) حسن الفكيكي، المرجع السابق ، ص 127.

* عبيد البخاري:هم جنود يشكلون اغلب الجيش المغربي في عهد السلطان العلوي إسماعيل،الذي أحضرهم من الصحراء ،حين قام بتوسعاته هناك ، وسموا بالبخاري لأنهم كانوا يقسمون عل صحيح البخاري قبل التحاقهم بالخدمة العسكرية،وهم من السود،لذا سموا بالعبيد،انظر:يحي جلال،المغرب الكبير،ص ص،67- 68.

2) حسن الفكيكي المرجع السابق ، ص –ص،232- 238.

3) نفسه ،ص ص ،238 ـ 240 .

المدينة من الأسر الإسباني بجيش قوامه ثلاثون ألف جندي ، من المتطوعين والقوات المخزنية التابعة للسلطة المركزية،ومعها قوات المدفعية البالغة سبعة عشر قطعة [1].

وبدأ في حصار المدينة في 9ديسمبر 1774م، في وسط حماس جماهيري،وقام الجيش بحصار الأبراج الخارجية ونصب المدفعية على التلال المجاورة، دامت العملية إلى الثالث من مارس من السنة الموالية،قام خلاله المغاربة بمحاولات لإختراق الأبراج وذلك بحفر خنادق تحت الأرض،لكن المهمة كانت صعبة بسبب مقاومة الإسبان،قرر بعدها المولى محمد بن عبد الله برفع الحصار،بعد تردده في إجراء هجوم عام على المدينة بعد 98 يوما من فرضه ليعود بعدها إلى العاصمة مكناس في السادس عشر من نفس الشهر [2].

ولعلى المغاربة وجدوا مرارة شديدة، إثر فشل هذه العملية العسكرية الضخمة التي أشرف عليها السلطان شخصيا وصرف عليها أموالا طائلة واستعدادات دامت عدة سنوات ليرفع الحصار أخيرا دون نتيجة تذكر .

وبعد انسحاب الجيش الملكي من رباط مليلة في 18 مارس 1775م انقطعت العلاقة بين السلطة المركزية وأهل الريف من المجاهدين ، فالسلطان قرر بعد هذه النكبة إن صح القول الالتزام بالحلول الدبلوماسية لتسوية الوضعية مع السلطات الإسبانية والتخلي عن محاولات تحرير المدينة ، بينما وجد المجاهدون حرجا في ترك الإسبان في هذه الناحية دون أي عقاب [3].

---

1) حسن الفكيكي ، **سيدي محمد بن عبد الله وقضية مليلة المحتلة** ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ،1996 ، ص ص،14- 25.
2) حسن الفكيكي ، **المقاومة المغربية** ، ص –ص، 299- 320.
3) نفسه ،ص ص ،320_ 322

2- المقاومة بسبتة :

مدينة سبتة انضوت تحت الحكم الاسباني سنة 1580م بعد استيلاء ملكها فيليب الثاني على عرش البرتغال وهي المرحلة المقصودة من هذه الدراسة المتعلقة بمقاومة المغاربة للاحتلال الإسباني بمدينة سبتة ومدى جدية السلطة المغربية في تحرير المدينة ؟.

كان المغرب الأقصى في هذه الفترة الممتدة مابين 1580 إلى 1859م يعيش في صراعات خارجية وداخلية،فمن الغزو الإسباني لسواحله ، إلى قيام دولة السعديين وسقوطها واعتلاء الأسرة العلوية حكم البلاد ابتداء من 1666م.كما تمت الإشارة إليه وحدث في تلك الفترة من حركات المقاومة بنواحي سبتة ، أن قام أهل تطوان وعلى رأسهم المقدم"النقسيس"،الذي دعى إلى الجهاد ضد النصارى بسبتة ، وكان منفصلا عن حكم السعديين حيث كان أحمد المنصور يواصل توسعاته في السودان الغربي،وترك زمام الأمور في الشمال إلى الزعماء الدينيين،الذين كانوا يقومون بالدفاع عن الأقاليم ويمارسون القرصنة البحرية [1].

قام هذا الأخير سنة 1588م باستدراج أهل سبتة من الإسبان خارج المدينة وكانوا لا يخرجون منها إلا إذا اطمئنوا بعدم وجود مجاهدين بنواحيها ، حيث قام بالاختباء هو ومن معه من أهل تطوان وسط الأحراش،ومع خروج العائلات قصد النزهة تمكنوا من قتل وأسر العديد منهم وبعثوا بالخبر إلى أحمد المنصور الذهبي بفاس فسر لذلك [2].

وفي عهد الدولة العلوية كانت سبتة إحدى أهم القضايا لدى ملوك هذه الدولة وخاصة المولى إسماعيل الذي حكم البلاد سنة 1672م ، واستطاع توحيد جل المغرب تحت حكمه،والتقدم شمالا والقضاء على الحكام الدينيين هناك ،واسترجاع مدينة طنجة من انجلترا سنة 1684م ،والمنصورة من الإسبان 1681م ، وبعدها العرائش سنة 1689 ، وأصيلة من نفس السنة [3].

أما عن مدينة سبتة فقد حاصرها المولى إسماعيل قرابة الستة والعشرين عاما حتى السنة التي توفي بها عام 1727م، كانت خلالها المناوشات بين الطرفين.

---

1) محمد بن تاويت ، المرجع السابق،ص ص، 186- 190.

2) نفسه ص ص ،188_190

3) جلال يحي، المرجع السابق ، ص 70.

وقد وقعت خلال هذا الحصار عدة معارك بين القوات الرسمية للبلدين،فلما اشتد الحصار على سبتة جهز ملك إسبانيا "فيليب الخامس"حملة سرية لتهاجم القوات المغربية المحاصرة،تتكون من 16ألف جندي بقيادة "ماركس دي ليدو"فنزل بشواطئ سبتة في اكتوبر1720م وفي 5 نوفمبر هاجم الجيش المغربي واستطاع بعد معركة عنيفة احتلال مواقع إستراتيجية من الجانب المغربي،وقتل 500جندي منهم [1].

وعاود المغاربة الكرة على مواقعهم السابقة التي أخذها الإسبان في21من ذلك الشهر فاسترجعوها،وانتهت هذه الحملة بعودة الجيش الإسباني إلى بلاده في أوائل 1721،وبقي الحصار والإشتباكات متبادلة حتى وفاة السلطان إسماعيل في 1727م وبعدها تفرقت جموع المجاهدين المشاركين في حصار المدينة،بعد الفتنة التي حصلت بين أولاد المولى إسماعيل على تولي العرش،فعاد كل واحد إلى قبيلته،منهم البواخرة الذين نزلوا على حاكم تطوان عمر لوقاش،الذي أحسن استقبالهم وصرفهم إلى الرباط بواد مرتيل [2].

لستقر المغرب الأقصى بعد هذه الفتن والحروب،بعد تولي محمد بن عبد الله الحكم عام 1757،وكان قد زار تطوان وحاكمها آنذاك محمد بن عمر لوقاش وكذلك سبتة ليعاين إمكانية تحرير هذه المدينة لكن مع ضعف أسطوله البحري وتحصينات المدينة وموقعها البحري الحصين كذلك صرف النظر عنها،وعقد مع الإسبان سنة 1767م اتفاقية لترسيم الحدود وحاصر بعدها مدينة "مزكان" مما أدى إلى جلاء البرتغال عنها سنة 1771م، وسميت بعدها الجديدة [3].

كما أن الحكام العلويون كان لا تزال تشغلهم تحرير مدينة سبتة ، فبعد وفاة السلطان محمد بن عبد سنة 1790م خلفه ابنه اليزيد الذي قاد خطوة جريئة في سبيل استرجاع المدينة فقد عمل عن تطوير قدراته الحربية في سلاح المدفعية،وطلب مساعدة الإنجليز الذين كانوا في جبل طارق منذ 1904،وكانت مهمة الإنجليز في هذا الدعم ،هي تدريب القوات المغربية على استعمال مدافع مورتر وتمت هذه العملية بإشراف ضباط بريطانيين في 27 مارس 1791[4].

وفي الثامن عشر من شهر أوت من نفس السنة ، وصل السلطان رفقة ثمانية عشر ألف من الإنجليزي المدعوا" جويس" الذي عمل في الحرس الإنجليزي ،

1) محمد بن تاويت ، المرجع السابق ، ص ص، 169
2) نفسه ،ص170
3) نفسه ،ص171.
4) روجرز ، المصدر السابق،ص ص، 169-170.

سابقا قد قدم السلطان المغربي خطة لإنجاح هذه العملية ، لكنه توفي بعد فترة وجيزة من بدأ ذلك الحصار [1].

في المرحلة الأخيرة من هذا المجهود الحربي وصلت أنباء إلى المولى يزيد بقيام آخيه هشام بزعامة الحوزيين بالتمرد، لذلك قرر إلغاء الحصار على سبتة وعقد صلح مع ملك الإسبان آنذاك"كارلوس الرابع"ليقوم بعدها بمتابعة فلول الحركة الانقلابية حيث أصيب على إثرها برصاصة أدت إلى وفاته بمراكش في 16 فيفري 1792م [2].

وبعد هذه السلسلة من الأحداث التي قام خلالها المغاربة في سبيل تحرير سبتة ومقاومة توسع الإسبان خارجها،والتي لم تسفر عن نتائج ملموسة،لكن مع هذا كانت عائقا أمام التوسعات الإسبانية بالمغرب وتلقى خلالها الطرفان خسائر كبيرة في الأرواح والأموال .

وأمام دخول المغرب في العصر الحديث وبداية تفتحه على الدول الأوربية وعقد إتفاقات تجارية معها ومع خصمه إسبانيا، لم أجد أي محاولة مغربية تهدف إلى تحرير المدينة في المرحلة الراهنة حتى حرب تطوان 1860وبداية التوسع الإسباني خارج الحدود السبتية.

---

1) روجرز ، المصدر السابق،ص –ص، 171-173.
2) نفسه ،ص،174

المبحث الثالث : **السياسة المغربية العامة حول الإحتلال الإسباني للمدينتين :**

عرف المغرب الأقصى خلال الإحتلال الإسباني لمدينتي سبتة ومليلة قيام عدة دول بداية من الوطاسيين مرورا بالسعديين إلى العلويين،وبدأ انفتاحه على أوربا وخاصة إنجلترا في عهد الدولة السعدية مع السلطان المنصور الذهبي ، ومع فشل تحرير المدينتين بعد محاولات عديدة أصبح للسياسة دور كبير في العلاقات الإسبانية المغربية بعد إنفتاح المغرب على عهد السلطان العلوي محمد بن عبد الله وبداية توقيع عدة اتفاقيات مع الإسبان .

فما هي طبيعة العلاقات بين المغرب وإسبانيا الخاصة بمدينتي سبتة ومليلة، وما هي السياسات التي اتخذها المغرب خارجيا وداخليا اتجاه تصفية الإستعمار على أراضيه؟.

1- التقارب المغربي الانجليزي :

بدأ التقارب الإنجليزي المغربي خلال عهد المنصور الذهبي الذي تولى الخلافة بعد مقتل أبيه في معركة واد المخازن الشهيرة سنة 1575 وكانت قضية إعادة الملك المخلوع "دون أنطونيو " إلى عرش البرتغال الذي غلبه عليه الملك الإسباني " فيليب الثاني "عام 1580 أولى الإتصالات المغربية الإنجليزية. فالملكة "إليزابيت"الإنجليزية كانت متخوفة من نفوذ إسبانيا في أوربا بعد سيطرتها على البرتغال ، أدى هذا إلى محاولتها لدفع الملك السعدي المنصور الذهبي لمساندتها في إعادة الملك البرتغالي إلى عرشه ، وأصبح الإسبان العدو المشترك بين الدولتين، لكن بعد مرور عدة سنوات من المناورات السياسية في هذا الإتجاه ، كانت الضغوط الإسبانية أقوى لتنتهي هذه القضية بوفاة الملك الإسباني في انجلترا سنة 1595م ، وبداية التعاون الإنجليزي المغربي [1].

وبتولي"شارل العاشر"عرش انجلترا عام 1625،تبدأ مرحلة جديدة في العلاقات المغربية الإنجليزية الذي حاول طلب العون من الموريسكيين ضد إسبانيا ليهاجم جزيرة قادس على ساحل المغرب التابعة للإسبان الذي كان في حرب معها . وكان الاتفاق مع المورسكيين بتطوان بمهاجمة الإسبان في سبتة ، مع بداية الحملة الإنجليزية على الإسبان في قادس ، غير أن فشل الحملة الإنجليزية في نوفمبر 1625 أبطل هذا الاتفاق [2].

أدى الخلاف الإنجليزي الإسباني،إلى تحالف زعماء أقاليم الشمال المغربي مع الإنجليز،وعقد محمد العياشي الذي كان له نفوذ في شمال المغرب اتفاق مع الإنجليز

---

1) روجرز ، المصدر السابق، ص –ص، 48 49.
2) نفسه ،ص ، 60.

لمساعدة الموركسيين في تطوان وسلا الجديدة في الإنفصال عن الدولة السعدية مقابل إطلاق صراح الأسرى الإنجليز الموجودين لديهم،وتتكفل انجلترا بتموين الأسلحة والذخائر في هذه العملية . وفعلا قام المورسكيون بطرد عامل المولى زيدان السعدي عبد العزيز الزروم ، وأعلنوا استقلالهم سنة1627،وعقدوا بعدها اتفاقية في 10 ماي من نفس السنة مع انجلترا للتجارة مع سلا الجديدة وإطلاق أسرى الإنجليز البالغ عددهم 190 أسيرا ، لكن مع ذلك فإن الإنجليز لم يعترفوا بهذه السلطة معتبرينها مجرد قرصنة [(1)].

بعد هذا التدخل الإنجليزي في الشؤون المغربية الداخلية والذي هو عبارة عن مناورات سياسية تخدم المصالح الإنجليزية بالدرجة الأولى عادت العلاقات الرسمية بين المغرب وانجلترا بعد ذلك لصالح محاربة القرصنة البحرية . وفي هذا السياق بعث الملك الإنجليزي "شارل الأول" في مارس 1630م برسالة إلى السلطان الجديد عبد الملك الثاني للوساطة مع قراصنة سلا لإطلاق الأسرى الجدد وتواصلت المراسلات بعد ذلك مع السلطان الوليد سنة 1631،لكن لم تثمر في ذلك بسبب تلك الهجمات التي كان القراصنة يتعرضون لها من طرف السفن الإنجليزية .

ومع تزايد مشكل القرصنة، هددت انجلترا بالتدخل العسكري في السواحل المغربية وكان جبل طارق وسبتة إحدى نقط الإرتكاز ، لكنها لجأت إلى الإتفاق مع الزعماء في تلك المناطق ،و كان محمد العياشي هو الذي ساعد على إطلاق الأسرى الإنجليز بعد اتفاق معه على محاربة الموركسيين في سلا الجديدة سنة 1637، ومساعدته بالأسلحة،ما أدى إلى تحرير 302 أسير بدون أي فدية .

التجأ الإنجليز بعدها إلى عدم التدخل في شؤون المغرب الداخلية ، فقد وقعوا اتفاقية مع السلطان محمد الشيخ في 20 سبتمبر 1937،وهي معاهدة تجارة وسلام وأصبحت هي الأساس في العلاقات المغربية الإنجليزية في المستقبل بخصوص عدم الأسر وعدم التدخل في شؤون المغرب بمساعدة الثائرين على السلطة المركزية [(2)].

وبعد تنازل الملك البرتغالي "جون الرابع"سنة 1661م عن مدينة طنجة لصالح الملك الإنجليزي "شارل الثاني " دخلت المقاومة المغربية في صراع ثنائي مع الأطماع الإنجليزية والإسبانية على حد سواء.إلا أن الجوار الجغرافي المتاخم لمدينة سبتة و الذي ساعد على ظهور لخضر غيلان في مرحلة حرب مع الإنجليز،فقد شن هجوما بتاريخ 14 جوان1663م ، على طنجة خسر فيها ستين من أتباعه جرت بعدها هدنة بين الطرفين

---

1) روجرز،المصدر السابق ،ص –ص، 61 62.
2) نفسه ص، 63 64.
3) نفسه،ص– ص65 67..

عاد بعدها الصراع بين الطرفين في جانفي1664م وكان أعنفها يوم 08 ماي من نفس السنة،حيث لقي اللورد "إيزل" مع تسعة عشر ضابط و400 جندي حذفهم بينما فقد غيلان ألف جندي و الذي ضعف خطرهم بعد هذه المعركة [1].

كانت العلاقة بين الإنجليز والسلطة المغربية تتسم بإبرام الإتفاقات التجارية بينما نجدها مع قادة الحركة الوطنية تتم وفق الصراع على المصالح ومقاومة التدخل الأجنبي، ففي عهد الدولة العلوية عقدت اتفاقية مع المولى رشيد في 2 أفريل 1666،كان أهم بنودها تتعلق بحرية التجارة في المغرب الأقصى ،بينما تم الإتفاق مع غيلان على إعطائه مئتي برميل من البارود مقابل تعهده بتمويل مدينة طنجة بإحتياجاتها ،والمساهمة في صد أي هجوم تتعرض له المدينة من قبل الدول الأوربية المنافسة للتواجد الإنجليزي على الساحل المغربي[2].

ومع زوال نفوذ لخضر غيلان في عهد المولى إسماعيل،وبداية الهجمات المغربية على المدينة وكثرة النفقات عليها استقر الأمر لدى الإنجليز على إخلاء المدينة يوم05 نوفمبر 1683م لصالح السلطات المغربية،ويرد المولى إسماعيل بإطلاق سراح بعض الأسرى الإنجليز والإسبان مكافأة بالمثل.

وأثناء الحصار الذي فرضه المولى يزيد سنة 1791م على مدينة سبتة فإن الإنجليز هم الذين ساعدوا السلطات المغربية في تدريب قواته المدفعية. لتلعب دور الوساطة بين المغرب والإسبان قبيل حرب تطوان عام 1860م والتي نشبت في أوت 1856م بسبب أعمال القرصنة قرب مليلة ونجدها تتخلى عن المغرب في مرحلة الضعف الذي كان عليه،بأسلوب دبلوماسي ليجد المغرب نفسه عرضة لضغوطات إسبانية متزايدة في توسيع حدود سبتة أو أدائه لتعويضات مبالغ فيها ، وأسفر هذا النزاع الأخير إلى حدوث الحرب المذكورة [3] .

---

1) روجرز،المصدر السابق ، ص ص،77- 88.
2) نفسه ، ص ص، 98..
3) نفسه ، ص ص 99 101

2 – الإتفاقيات المغربية الإسبانية :

كانت الحرب الوسيلة الوحيدة لتحرير المدينتين وباقي المدن الساحلية المطلة على المحيط الأطلسي بالنسبة للمغاربة،سواء السلطات المغربية أو المقاومة الشعبية منذ بدايات الإحتلال الإسباني،وظهرت سياسة الإتفاقيات خلال الدولة العلوية خاصة في عهد السلطان محمد بن عبد الله الذي تولى السلطة عام 1757م [1].

وفي هذه الأثناء ساد بين الطبقة الحاكمة الإسبانية عدة اقتراحات لطي ملف الحرب الإستردادية على السواحل المغربية بعد حوالي مرور ثلاثة قرون من بدأها ، حيث انقسمت إلى فريقين الأول يريد التخلي عن هذه المدن الأقل أهمية مثل مليلة والإحتفاظ فقط بمدينة سبتة ووهران،والقسم الثاني يرفض فكرة التخلي رغم جدوى هذه الحصون وكثرة النفقات عليها إضافة إلى حالة الحرب الدائمة السائدة حولها، هذا ما جعل حكومة "كارلوس الثالث " تعد مخططا جديدا لمستعمراتها الإفريقية وتزامن هذا مع بداية حكم السلطان " محمد بن عبد " [2].

ومع بداية سنة 1765م بدأت المراسلات بين السلطات الإسبانية المغربية،كانت فيها المعاملات الإقتصادية تتصدر المحادثات ،كما كانت هناك اتصالات بين حاكم سبتة آنذاك"دييغو مانويل"الذي كان مساندا لفكرة الإحتفاظ بالحصون وبين السلطات المغربية بخصوص توسيع سور سبتة،لأغراض الرعي،والذي حصل على توسعة مؤقتة لغرضه ذلك[3].

وقع المغرب واسبانيا بعدها مراسلات مطولة على مسودة الصلح بين الطرفين يوم 28 ماي 1767،لقي هذا الصلح معارضة من الفقهاء بنواحي سبتة مما جعل السلطان يقيم اجتماع لهم في السنة الموالية لشرح مواقفه الذي اعتبره حل مؤقت لمشكل الحدود بنواحي سبتة ومليلة،وصعوبة استخلاص مدينة سبتة بسبب حصانتها وجاء إخلاء مدينة "الجديدة" من طرف البرتغال بعد حصارها سنة 1771م حدثا هاما يهون من عزم الحركة الجهادية ويقلل من الغضب الشعبي لهذا الصلح،لكن الملك المغربي لقي دعوة ثانية لاسترجاع مدينة سبتة بعد مرور أشهر من استرجاع مدينة الجديدة من الجماعة تلك،برر موقفه حينها بإعطائه المهلة للتزود بالسلاح اللازم [4].

لم يشمل الإنفتاح المغربي على أوربا بريطانيا وإسبانيا ، بل كان عهد السلطان

---

1) حسن الفكيكي **" مسألة الثغور المغربية المحتلة في منتصف القرن الثامن عشر "**. مجلة دار النيابة ،العدد 11 ، نوفمبر 1986،ص 23.
2) نفسه ، ص 23.
3) حسن الفكيكي ، **المقاومة المغربية** , ص 249.
4) المرجع السابق ، ص – ص،252 -257.

محمد بن عبد الله بداية لما اصطلح عليه بحماية القنصلية،الذي سيكون لها دور خطير في مستقبل المغرب الأقصى قبل الحماية الفرنسية سنة1912،وكانت بدايتها بإعطاء امتيازات تجارية وفق معاهدات مبرمة مع الدول الأوربية،وذلك بالتمثيل الديبلوماسي للقناصل لتلك الدول لدى المغرب،لتشمل كذلك حرية القضاء للجاليات الأوربية وفق الديانات التابعة لدولتهم وإعفاء من الرسوم المفروضة على المغاربة أنفسهم. وكان أولى هذه الإتفاقيات مع السويد عام 1763 وتبعها المعاهدة الفرنسية سنة 1767،ومع الدنمارك في نفس السنة ،ومع بريطانيا معاهدة السلم والصداقة سنة 1856 التي نصت على حرية التجار الأوربيين في إقامة مراكز للتجارة داخل المغرب معفيين من الرسوم والتقاضي لدى القنصليات الخاصة بهم،ويضمن المغرب سلامة هذه الجالية ومعاقبة أي معتدي عليها مهما كان،وبهذه الإتفاقيات بدأ النفوذ الأوربي يتغلغل تدريجيا في السياسة الداخلية للمغرب مهددا بذلك سيادة الدولة [1].

أما بالنسبة للعلاقات المغربية الخاصة بالمدينتين المحتلتين ، فقد جرت اتفاقية جديدة مع السلطان محمد بن عبد الله يوم 30 ماي 1780 بعد فشل هذا الأخير في حصار مليلة لعام 1775 لتعود حالة السلم للدولتين مرة أخرى . إلى جانب الإنفتاح المغربي على الدول الأوربية فقد كان المغرب الأقصى السباق من بين الدول المغاربية بربط علاقة سلم مع الولايات المتحدة الأمريكية بعد استقلالها في05 جويلية 1776،وذلك بمبادرة من السلطان المغربي محمد بن عبد سنة 1778 بفتح موانئه للسفن الأمريكية التي كانت تعاني من مشاكل القرصنة،وأدت المراسلات بينه وبين الولايات المتحدة الأمريكية بوسطة فعالة من طرف الإسبان إلى عقد معاهدة السلم والصداقة في 18جويلية 1786 وكانت هذه المعاهدة الأساس القانوني للوجود الأمريكي بالبحر المتوسط وبداية علاقات جديدة بينها وبين دول المغرب العربي[2].

أما عن السياسة المغربية الخاصة بمشاكلها مع الإسبان حول مدينتي سبتة ومليلة ، فقد جدد السلطان المغربي الجديد " المولى سليمان " الذي تولى الحكم سنة 1792 اتفاقية جديدة مع الإسبان يوم 20 مارس 1799 يقر فيه بالإتفاقيات السابقة مع خلفه محمد بن عبد ،لكنه أعطى من خلالها الإسبان حرية الرد على الإعتداءات من طرف المرابطين بحدود مليلة بعدما أصبحت هذه المنطقة بعيدة نوعا ما عن سيطرة الحكومة المركزية [3]

وعليه فإن عهد السلطان سليمان كان حافلا بالمناورات السياسية الأوربية

1) عبد الرحمن بن منصور ، مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب ، المطبعة الملكية ، الرباط ،1977،ص –ص،08 15.
2) محمد بنهاشم،العلاقات المغربية الأمريكية " دراسة في التمثيل الديبلوماسي بالمغرب 1786- 1912"ط 01، ، دار أبي رقراق، الرباط ،2009 ،ص ص ،34 40.
3) حسن الفكيكي ، المرجع السابق ، ص –ص، 381 382.

في اتجاه تحرير مدينة سبتة بالأخص ، ذلك ما زكتها حروب نابليون في أوربا التي انتهت عام 1815 بانهزامه فيها [1].

فقد تلقى المولى سليمان عدة عروض من الجانبين الفرنسي والإنجليزي، فالإنجليز حاولوا ضمان تحويل اللحوم عبر جبل طارق من السوق المغربية ، وعرضوا خلالها على السلطان المغربي الحماية من الغزو الفرنسي على أراضيه في هذه الحرب،كما عرضوا عليه المساعدة في تحرير مدينة سبتة من يد الإسبان واحتلوا جزيرة "بريجيل" الصخرية المتاخمة للمدينة سنة 1808 كخطوة أولى لحصارها بحرا،وكتب حاكم طنجة إلى القنصل البريطاني بأن المغاربة مستعدون للإنقضاض على المدينة من ناحية البر،لكن مع الثورة الشعبية الإسبانية التي قامت ضد الإحتلال الفرنسي لإسبانيا استقر رأي الإنجليز في حساباتهم السياسية مساندة هذه الثورة و سحب قواتهم من الجزيرة وترك سبتة تحت الحكم الإسباني [2] .

كما تعرض السلطان المغربي لضغوط من الجانب الفرنسي في خضم هذا الصراع الأوربي وعرض عليه قطع علاقاته مع الجانب الإنجليزي،وتذكيره بالإنتصارات الفرنسية التي ستجبر الإنجليز على مغادرة مياه المتوسط،وسوف تحتل فرنسا مدينة سبتة بعدما أخضعت اسبانيا لها،لكن هذه الضغوط الفرنسية لم تنجح في صرف المغرب إلى جانبها بل كان السلطان المغربي يزود الإنجليز باحتياجاتهم الغذائية من المواشي عبر قاعدتهم بالساحل المغربي بجبل طارق،مستفيدة من كميات الأسلحة التي تعهد الإنجليز بمنحها له [3].

وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830 تعرض المغرب لضغوط فرنسية قصد محاصرة الأمير عبد القادر في ثورته ضدها وقطع التحركات التي كان يقوم بها داخل التراب المغربي،لتسفر عن عقد معاهدة لالة مغنية في 18 مارس 1845،التي تخول للجيش الفرنسي ملاحقة الثوار داخل التراب المغربي وتحدد المناطق الحدودية بين المغرب والجزائر،ويعترف فيها المغرب بسيادة فرنسا على الجزائر وحرية التجارة البرية بينهما [4].

كانت اسبانيا في هذه الظروف غير مستعدة للتنازل عن مستعمراتها في سبتة ومليلة عكس ما كان رائجا سالفا من إمكانية تنازلها على الحصون الصغرى مثل مليلة والنكور للمغرب،ففي فترة حكم السلطان عبد الرحمن تمكنت من احتلال جزر كبدالة التي تبعد عن مياه مليلة بنحو الميلين في 04 جانفي 1848 بدون أي مقاومة مغربية تذكر وعجز السلطان عن القيام بردة فعل سوى التنديد بهذا الاعتداء [5].

لتتواصل حالة التوتر وسط الضغوط الإسبانية الأوربية إلى غاية حرب تطوان 1860،التي عكست طموحات الإسبان في التوسع بالأراضي المغربية .

1) روجرز ، المصدر السابق،ص ص،174- 175.
2) نفسه ،ص 175- 176.
3) نفسه ، ص 177.
4) يوسف مناصرية ، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب 1832- 1847**، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1990 ، ص ص،47- 48.
5) حسن الفكيكي ، المرجع السابق ، ص 393.

3.علاقة السلطة بالحركة الوطنية :

كانت المقاومة المغربية بصفة عامة منذ التواجد الإسباني بالأراضي المغربية ، تتم وفق ما تناولناه مسبقا، قبل بداية انفتاح المغرب على أوربا واسبانيا خاصة ، بحملات كان السلطان يسيرها وفق قدرات الدولة المادية والمعنوية،إضافة إلى تكالف طائفة من المجاهدين بنواحي المدن المحتلة بعملية المقاومة المسلحة ،وكانت دائما في اشتباك مع العدو برزت خلاله القرصنة البحرية ، إضافة إلى أسر الجنود اثر الغارات والإشتباكات المتبادلة بين الطرفين [1].

وعليه لابد من دراسة علاقة السلطة بالحركة الجهادية ، وكيف تعاملت مع المعارضة التي برزت في أولى الإتفاقيات ، التي عقدها السلطان محمد بن عبد الله مع الإسبان عام 1767م؟ .

بدأت أول نكبة حقيقية بين السلطة والمقاومة مباشرة بعد الصلح الذي عقده المولى محمد بن عبد سنة 1775 ، بعد فشل حصاره لمدينة مليلة بقتل المعارض عمر القيطوني في جوان من تلك السنة،لرفضه تسليم بعض المدافع للوفد السلطاني بعد انسحاب الجيش المغربي من مدينة مليلة ، وظل ملف نقل المدافع معلقا إلى سنة 1782 ، بسبب رفض الأهالي لأوامر السلطان ، مما أدى إلى المساعدة الإسبانية للسلطان في نقل مدافعه بحرا،عبر مراكبهم بمليلة [2]، وهنا ظهرت المفارقة بالتقارب بين السلطة و المحتل وظهور العداوة بين المجاهدين والسلطان. لعلى سببه الالتزام الرسمي المغربي بتطبيق بنود الصلح، الذي نص على عدم الإعتداء المتبادل.

أصبحت السلطة المغربية مجبرة بعدها على التدخل لحماية الإسبان من هجمات المغاربة مما جعل المولى محمد بن عبد الله يتوسط لعقد اتفاق بين زعماء قلعية وحاكم مليلة لتوقيع اتفاق عام 1782 لمنع الإشتباكات المتبادلة ، بعدما أصبحت سلطته بها ضعيفة،ومع اختراق المقاومة لهذا الإتفاق تهاطلت الشكاوى الإسبانية على السلطان لإرسال حملات تأديبية ضد السكان لتوفير الأمن اللازم ، وبدأ بذلك الضغط الإسباني على السلطة المركزية ، لكن هذا السلطان كان يرسل في الغالب وفد للتفاهم مع زعماء القبائل [3].

لكن المعارضة للسلطة اختفت بعد تولي المولى يزيد الحكم عام 1790 ، وذلك راجع إلى القيام بتلبية رغبة الجماهير باسترجاع أرضها وحصاره لمدينة سبتة عام 1791،لكن قدوم المولى سليمان عام 1792 ، وعقده اتفاقية جديدة مع اسبانيا سنة 1799 ، أصبحت منطقة الريف المجاورة لمليلة بموجب بنود هذه الاتفاقية

1) ـ حسن الفكيكي،المرجع السابق ،ص .336.
2) نفسه ،ص ،336
3) نفسه ، ص–ص ،348 352.

التي نصت على أن السلطة غير مسؤولة على مشاكل الحدود بين مليلة وأهل قلعية ، وأعطت للإسبان حق التدخل العسكري ضد المغاربة هناك ، لتزيد متزعمي الجهاد القهر من السلطة المغربية نفسها ،بتلك الحملة التي قادها المولى سليمان سنة 1803و1804 ضد منطقة الريف بنواحي مليلة ، قصد قمع السكان ، وجمع القطع المدفعية المتبقية بها ، ودفع السكان لتسديد الضرائب ،هذا ما أثر على مسار المقاومة الشعبية في هذه المنطقة لحد بعيد [1].

إن سياسة الحكام العلويين أصبحت مرتبطة بطبيعة شخصية الحاكم نفسه ، بدءا من محمد بن عبد ، الذي كان سباقا إلى ربط علاقاته بإسبانيا والعالم الخارجي ، لكن سياسته مع الحركة الوطنية كانت قائمة على مهادنتها ، عكس السلطان سليمان الذي كان عهده كارثة على المجاهدين عكس سابقه المولى يزيد الذي أحيا سنة الجهاد ضد الإسبان[2] .

وفي عهد المولى عبد الرحمن الذي تسلم السلطة عام 1823 ، فقد زكى بدوره الاتفاق الإسباني المغربي لسنة 1799التي عرفته بالسابق بعد عامين من ولايته ،لكنه لم يرضخ لطموحات الإسبان فقد كلف جماعة من المجاهدين لفرض الحراسة على الحدود للمدن المحتلة ، ما بين سنتي 1828 إلى 1852 . وبدأ بذلك الصراع الإسباني المغربي من جراء الحوادث المتكررة على حدود المدينتين ، وكان أشدها سنة 1858 ، حين وقع عدد من الأسرى الإسبان عند قائد بني شاكر على حدود مليلة، وكان هذا الحدث ورقة ضغط لدى الإسبان على السلطان عبد الرحمن ، من أجل أداء التعويضات للسنوات العشر الفارطة من حوادث القرصنة ، أو توسيع حدود مليلة ،الشيء الذي رفضه السلطان ، لتستمر علاقات التوتر إلى حرب تطوان عام 1860 ، بالتوسع الإسباني خارج مدينة سبتة واحتلال مدينة تطوان [3].

1) حسن فكيكي،المرجع السابق ، ص –ص،381 384.
2) نفسه ، ص ص،385ـ390
3) نفسه ، ص ص 390. 408

الفصل الثالث

وضعية سبتة ومليلية من حرب تطوان إلى استقلال المغرب الأقصى (1860-1956)

الفصل الثالث: وضعية سبتة ومليلة من حرب تطوان إلى استقلال المغرب الأقصى (1860-1956)

المبحث الأول: مرحلة التفوق الإسباني

1) حرب تطوان
2) التوسعات الإسبانية خارج المدينتين
3) الحماية القنصلية والأطماع الأوربية

المبحث الثاني: وضعية سبتة ومليلة تحت الحماية (1912-1956)

1) الحماية
2) مقاومة عبد الكريم الخطابي بناحية مليلة
3) المقاومة المسلحة بناحية سبتة ، مقاومة الريسوني
4) النزاع الفرنسي الإسباني حول سبتة ومليلة
5) مرحلة النضال السياسي
6) وضعية المغاربة داخل سبتة ومليلة خلال حكم فرانكو

المبحث الأول: مرحلة التفوق: الإسباني

1) **حرب تطوان :**

تظهر سبتة ومليلة في هذه الحرب، كأقوى الأسباب للتواجد الاسباني بالمغرب الأقصى، من خلال الحوادث التي كانت تحصل بين المغاربة والاسبان المتواجدين بالمدينتين على الحدود الفاصلة بينهما، في الوقت الذي أصبحت الدول الأوربية، في صراع حول اقتسام المستعمرات في إفريقيا والعالم الإسلامي .

وتكمن أسباب هذه الحرب، في الحوادث الحاصلة بنواحي المدينتين، خاصة القرصنة البحرية، وانعكاساتها على العلاقات المغربية الإسبانية، التي عرفت خلال العشر سنوات السابقة لتلك الحرب، توترات شديدة، كانت اسبانيا، في مرحلة من القوة، مكنتها من ابتزاز المغرب، قصد جلب المال أو المساومة على أرضه [1].

كانت حادثة أسر بعض الإسبان، في كمين نصبه مقدم بني شاكر محمد الحضري على حدود مليلة، يوم 22 جويلية 1858 ، إحدى إرهاصات تلك الحرب، برز فيها الضغط العسكري الإسباني على المغرب ، الذي أجبر السلطان عبد الرحمان بن هشام، على التوسط لدى المقدم المذكور، وإطلاق سراح الأسرى في 02 مارس 1859 لتزداد تلك العلاقة توترا، مع استيلاء أهل قلعية بنواحي مليلة، على السفينة الاسبانية "سان خواكين"، في مارس 1858 ، والتي استغلها الإسبان للضغط على السلطان المغربي لتوسيع حدود مليلة، أو دفع تعويض مادي، الشيء الذي رفضه السلطان باعتباره إهانة وطنية [2].

ومع توالي الأحداث وقع اشتباك مسلح بين الطرفين، على الحدود السبتية ، في شهر أوت 1859، وفي 05 سبتمبر، قدم القائم بالأعمال الإسباني، إنذارا للمملكة المغربية يهددها فيه بالحرب، خلال عشرة أيام، في حالة عدم الاستجابة للمطالب ، التي تشمل التعويض المادي ، أو توسيع وتأجير الأراضي، بنواحي سبتة، وفي اليوم الموالي وصلت الأنباء، عن وفاة السلطان عبد الرحمان، ليخلفه ابنه محمد الرابع[3]. حيث تدخلت انجلترا، في هذا الصراع ، عبر قنصلها بمدينة طنجة،"دراموند هاي"

---

1) حسن الفكيكي ، المرجع السابق ، ص –ص، 403 .404.

2) نفسه ،ص ص ، 405-406

3) روجرز ، المصدر السابق ، ص –ص، 223 -224 .

الذي كان متحيزا لإرضاء الطموحات الإسبانية و نصح السلطان المغربي الجديد بتجنب الحرب و أداء المطالب الإسبانية,و أبلغ على لسان حكومته أن إنجلترا غير ملزمة بحماية المغرب من العدوان الإسباني المرتقب[1]،و بذلك تلقى المغرب نكسة حقيقية من الجانب الإنجليزي صاحب السند المعروف عبر علاقته التي امتدت منذ عهد المنصور الذهبي في أيام الدولة السعدية .

بالإضافة إلى تلك الأسباب فقد رفض السلطان محمد الرابع تسليم إثنا عشر مغربيا على حدود سبتة إلى المحكمة الإسبانية معلنا نية المغرب في مواجهة إسبانيا[2].، وفي يوم 25 أكتوبر 1859غادر القائم بالأعمال الإسبانية مدينة طنجة و تبعه الرعايا الأوربيون و اليهود المقيمين بها في حين كانت السفن الإسبانية تحاصر كلاً من مدن طنجة و تطوان و العرائش[3] .

و رغم أن محمد الرابع أبلغ مندوبي الدول الأوربية في بيان له يوم 25 أكتوبر عن سوء نية الإسبان اتجاه التصعيد العسكري ،لكنه لم يتلق أي رد لتندلع الحرب في الفاتح نوفمبر بنزول الجنرال "أود نيل" مع عشرين ألف جندي بسبتة ،متوجهين نحو مدينة تطوان محاطين بحراسة بحرية على الساحل بينما كان الجيش المغربي آنذاك لا يتوفر على أية قطعة بحرية، فقد تولى القيادة المولى العباس أخو السلطان رفقة خمسة ألاف جندي إضافة إلى المتطوعين[4] .

و بعد معارك دامت ثلاثة أشهر انهزم فيها الجيش المغربي وسقطت مدينة تطوان في يد الإسبان و سادت الفوضى داخل المدينة قبل دخول العدو إليها،حيث تجمعت الغوغاء من أهل الجبال و الأعراب فقاموا بالنهب و التخريب،حتى طلب الناس من أحد وجوه المدينة وهوالحاج أحمد بن علي أبعير،التوسط لدى الإسبان لدخول المدينة و كبح هذه الفوضى و هذا ما حصل فعلا وولى الإسبان بعد دخولهم إليها الحاج أحمد وعادت المدينة إلى حالة الاستقرار مجددا[5] .

لقد وقعت مدينة تطوان يوم 4 فيفري 1860، في يد إسبانيا، بعد ما قصفوا كلا من العرائش و أصيلا بشمال المغرب الأقصى,ليعقد بعدها الطرفان معاهدة تطوان في 26 أفريل 1860،وبعد مدة من المفاوضات تحت الوساطة الإنجليزية قضيت بموجبها على أن تدفع المغرب غرامة مالية ضخمة قدرت بعشرين مليون ريال

---

1) روجرز،المصدر السابق، ص –ص، 224 225.
2) مصطفى العلوي، المناورات الأجنبية ضد السيادة المغربية ج 01،ط، 01 ،المطبعة الملكية الرباط، 1986، ص 74
3) روجرز، المصدر السابق ، ص 225
4) مصطفى العلوي ، المرجع السابق، ص ص، 74 75.
5) ليفي بروفنسال ، المصدر السابق، ص –ص، 132 134

فضي إسباني قبل خروج الإسبان من تطوان بعدها بعامين و ثلاثة أشهر و ذلك في 02 ماي 1862 [1].

تداعيات حرب تطوان:

منحت حرب تطوان الجانب الإسباني مزيدا من السيطرة على المملكة المغربية ليس عسكريا فقط بل من خلال الجانب الدبلوماسي،إثر معاهدة الصلح في 26 أفريل 1860 و كذلك الإتفاقية الإسبانية المغربية في 20 نوفمبر 1861 . ومن خلال تتبع بنود معاهدة الصلح تلك رضخت المغرب للمطالب الإسبانية إضافة إلى فقدانها لجزء كبير من سيادتها الوطنية في بنودها الخمسة عشر، خاصة المادتين الثانية والثالثة التي تلزم السلطان المغربي بالتمنازل للطرف الإسباني عن مدينة سبتة والمناطق المجاورة لها كبلدة بليونش ليتم السلم بين الطرفين،و في المادة الثامنة يتنازل السلطان عن قطعة أرض قرب مدينة "سانتا كروز" على المحيط الأطلسي لفائدة الإسبان لاستخدامها في عملية صيد الحيتان ،أما المادة التاسعة فتنص على منح إسبانيا تعويضا ماليا جراء حرب تطوان مقدر بعشرين مليون ريال إسباني موزعة على أربعة أقساط مقابل خروج الإسبان من مدينة تطوان[2] .

أما المادتين العاشرة و الحادية عشر فقد منحت القساوسة الإسبان حق إنشاء كنيسة في كل من مدينتي فاس و تطوان،و يحق لهم أيضا ممارسة التبشير عبر التراب المغربي بدون مضايقة من السلطات المغربية ولا من السكان المغاربة أنفسهم. أما المواد الثلاثة الأخيرة من هذا الصلح جاءت لتفتح المجال للإسبان بممارسة النشاط التجاري الحر بالمغرب و منحتهم كذلك الأفضلية في استخراج الأخشاب من الغابات المجاورة [3].

وما زاد في التدخل الإسباني بشؤون المغرب دخول الموظفين الإسبان في سلك الجمارك قصد جلب مستحقاتهم المالية التي عجز المغرب عن أدائها دفعة واحدة، لتصبح كل الواردات و الصادرات تحت نظرهم بما في ذلك المواد الحربية [4].

لقد أدت الغرامة الثقيلة المفروضة على المغرب إلى إفراغ الخزينة بمجرد دفع القسط الأول،واضطر لدفع كل القطع النقدية الفضية و الذهبية القديمة [5]، كما فرض على السكان المساهمة في دفع بعض الضرائب لتجنب تلك الأزمة المالية بقرار السلطان محمد بن عبد الرحمان يوم 23 جانفي 1861 بالتفاوض مع رؤساء القبائل لتسديد ما يجب عليها[6]، و ذلك دون إكراه و بقدر المستطاع لكل فرد من القبيلة [7].

---

1) روجرز، المصدر السابق، ص ص، 226 ،228.
2) محمد داود، تاريخ تطوان ،ج 04 ،منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ،الرباط، 1965 ، ص ص، 281
3) نفسه ، ص 282
4) عبد الوهاب بن منصور ، المصدر السابق،ص16 .
5) جرمان عياش، جوانب من الأزمة المالية بالمغرب بعد الغزو الاسباني سنة 1860 ،مطبوعات معهد الدروس العليا المغربية الرباط،1972، ص 06.
6) عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس ،ج03ط02، مكتبة ايديال الدار البيضاء 1992، ، ص ص، 447،448.
7) نفسه ، ج03 ، ص 471 .

وافقت بعدها إسبانيا على عقد اتفاقية ، تراجع فيها بنود الصلح في 30 اكتوبر 1861، وتقضي بتمديد الأجل لدفع المستحقات المالية ، وتعهدت كذلك بالإنسحاب من تطوان بمجرد استلام نصف المبلغ المتفق عليه ، وتخصيص نصف موارد الجمارك لأداء الباقي، هذه الأزمة التي حلت بالمغرب، بسبب بنود ذلك الصلح أدت، إلى حالة من الإفلاس المالي، جر بعدها السلطات إلى الإقتراض من إنجلترا من مصارف خاصة حوالي 2 مليون ريال، بفائدة 05% ، مدته 20 عاما ، رهن خلالها المغرب نصف الجمارك ، لأداء القرض وفوائده[1] .

وفعلا فقد استمر أداء هذه التعويضات مدة ربع قرن من الزمان، رفع المغرب خلالها الحظر على مادة القمح والصوف ، لتصديرها إلى للخارج لجلب المال ، كما رفعت قيمة الضرائب والمكوس[2].

وكانت الاتفاقية المغربية الإسبانية في 20 نوفمبر 1861، مدخل الإسبان إلى الحماية القنصلية بالمغرب، التي سبقهم إليها الإنجليز عام 1856، كانت جل بنودها في مصلحة الإسبان ومهددة لسيادة المغرب على أراضيه . فمن خلال بنودها الأربعة والستين ، أعطت هذه الاتفاقية الإسبان الحرية في إنشاء محاكم خاصة بهم ووضع امتيازات للتجار والسماسرة ، إضافة إلى شروط مهينة للمغرب ، كتوقف السفن المغربية عند مرورها بشواطئ الريف عند الحصون المحتلة،كسبتة ومليلة[3].

---

1) روجرز، المصدر السابق ، ص –ص، 227- 228.
2) جرمان عياش ، المصدر السابق ، ص- ص، 08- 11.
3) محمد داود ، المصدر السابق ، ج 05 ، ص 164.

2- التوسعات الاسبانية خارج المدينتين

بعد التوسعات التي تحصلت عليها إسبانيا بموجب بنود معاهدة تطوان ، وهي المناطق المجاورة لمدينة سبتة ، وبناء قاعدة للصيد على المحيط الأطلسي بمدينة إفني فإنها منذ سنة 1884 حاولت التوسع بمنطقة مليلة بإنشاء ثلاثة حصون جديدة بنواحيها ، كما قاموا بتقوية حصن المدينة القديم ، تجنبا لأي مقاومة شعبية بها [1].

وفي عهد المولى الحسن الأول ، عرفت منطقة مليلة أحداث هامة ، هزت استقرار المنطقة بعدما قام الإسبان سنة 1893 ، بإنشاء ثلاث حصون جديدة، الشيء الذي اعتبرته قبيلة فرخانة استفزاز لها ، لوقوع إحدى الحصون داخل ترابهم ، فقاموا بالدفاع عن أرضهم وقتلوا عددا من الإسبان ، وأرغموهم على التقهقر، تاركين ورائهم خسائر جسيمة .وإثرها جمع الإسبان قرابة 20000 جندي ، للدفاع عن الحصن وانتهت المعركة بإبرام اتفاقية جديدة بتاريخ 5 مارس 1894 ، بعدما خرق الاسبان معاهدة تطوان ، وقاموا بالتوسع خارج الحدود المتفق عليها في تلك المعاهدة ، تممتها اتفاقية إضافية بتاريخ 24 فيفري 1895، التي نصت على تغريم المغرب ، إضافة إلى وضع منطقة فاصلة بحدود مليلة لضمان عدم الاشتباك مع القبائل المجاورة، بلغ عرضها 500م،كما تعهد السلطان الجديد المولى عبد العزيز الذي خلفه والده سنة 1894، بوضع محلة على المنطقة المحايدة لحماية الإسبان، من أي هجوم من طرف القبائل المجاورة، ليصبح المغرب بعدما كان يحاول استرجاع أراضيه ، أداة تستعمل من طرف الإسبان لحماية العدو ، وحافظا لأمنه ، وهذا ما دل على أن المغرب ، أصبح أواخر القرن التاسع عشر ، في مرحلة من السيطرة والإستفزاز ،خاصة من الدولة الإسبانية ،التي كانت أضعف الدول الأوربية آنذاك [2] .

إضافة إلى التوسعات الإسبانية بنواحي سبتة ومليلة ، فقد مدت أنظارها إلى الصحراء المغربية ، وتحديدا بمنطقة وادي الذهب على المحيط الأطلسي ، وسط تهافت كل من فرنسا التي ترغب في فتح طريق من الجزائر إلى السودان ، لتصل مستعمراتها عبر الصحراء المغربية بمنطقة الساقية الحمراء ، إضافة إلى وجود الأطماع الانجليزية والألمانية الراغبة في استغلال الشواطئ على المحيط الأطلسي [3].

---

1) محمد المعزوزي ، المرجع السابق ، ص ص107، 108

2) نفسه ص ص .110.109 .

3) محمد العربي ، الساقية الحمراء وواد الذهب ، ج 01 ، دار الكتاب،الدار البيضاء ، 1982، ص 285

وبدأ الاستعمار العسكري الاسباني في منطقة وادي الذهب ، بدءا من سنة 1884 بإقامة حصن على شاطئ مدينة الداخلة ، أعطوه اسم "فيلا سيسنيروس" ، ليدخل معهم قائد تلك الناحية المدعو ماء العينين ، مرحلة المقاومة لتواجدهم بها[1] .

توجهت كل من فرنسا واسبانيا إلى وفاق لاقتسام الصحراء ، بإبرام معاهدتين سريتين مؤرختين في 20جوان1900 و3 اكتوبر1904[2]، بينما كان العسكريون الاسبان في سبتة ومليلة ، عازمين على توسعة الاحتلال في المناطق المجاورة للمدينتين ، لشغل انتباه السلطات المغربية عما يجري في منطقة الصحراء ، في حين قرر المؤتمرون الأوربيون الإجماع على اقتسام القارة الإفريقية في مؤتمر برلين بتاريخ : نوفمبر 1884، الذي عرضت فيه اسبانيا مخططها للاحتلال وادي الذهب بالصحراء الغربية[3] .

بدا المخطط الفرنسي الاسباني لاحتلال المغرب تدريجيا ، وسط المنازعات البريطانية والألمانية ، لينفضي أخيرا إلى دخول عهد الحماية سنة 1912 .فمنذ عام 1900م بدأ التغلغل الفرنسي في شرق الصحراء الغربية ، وسط مقاومة القبائل تحت قيادة الشيخ ماء العينين، بدعم من السلطان عبد العزيز، في حين توسعت فرنسا في موريتانيا [4]، واحتلت مدينة وجدة شرق المغرب في 29 مارس 1907، والدار البيضاء على المحيط الأطلسي في 05 أوت 1907[5].

لتواصل فرنسا معاركها التوسعية في الساقية الحمراء منفردة ، لكون اسبانيا كانت تنتظر الوفاق الفرنسي الألماني حول المغرب وصار الفرنسيون في مواجهة مع احمد الهيبة احد أبناء ماء العينين الذي خلف والده في الكفاح بعد وفاته في أكتوبر 1910، ولم يتم لها السيطرة على هذه المنطقة إلا بعد الحماية الفرنسية، بإعطاء 100الف كم من أراضي الكونغو للجانب الألماني بعد حادثة أغادير في 01 جويلية1911، وبرز في هذه الأحداث مطالبة المغرب الجانب الإسباني ، بتصفية قضية مليلة ، ذلك بعد طلب السفير المغربي أحمد المواز ، الذي قدم أوراق اعتماده في مدريد في 10 جويلية 1910 لكن بعد عدة محادثات التي استمرت إلى ماي 1911، لم تسفر على أي جديد ، لكون الاسبان كانوا عازمين على مواصلة مخطط الاحتلال ، في انتظار الوفاق الألماني الفرنسي[6] .

قام الإسبان قبل عقد اتفاقية الحماية يوم 30مارس1912، باحتلال مدينة العرائش الساحلية على المحيط الأطلسي في شمال المغرب يوم 08جوان 1911، وبعدها القصر الكبير المجاور لها من ناحية الشرق بعد يومين من ذلك ، كما توسعت بمنطقة سبتة ما بين شهري ماي وجوان من نفس السنة بعدما رأت دخول الفرنسيين مدينة فاس في 21ماي 1911[7] .

---

1) مصطفى العلوي ، المرجع السابق، ص 182
2) مجمد العربي ، المرجع السابق ، ص –ص، 287 .300.
3) مصطفى العلوي ، المرجع السابق ، ص ص، 177 .180.
4) محمد العربي ، المرجع السابق ، ص ص، 361 .375.
5) التهامي الوزاني ، المقاومة المسلحة والحركة الوطنية في شمال المغرب ، تحقيق وتعليق : محمد عزوز حكيم ، مطبعة الساحل ، الربط : 1980 ص 25
6) محمد العربي المرجع السابق ، ص (375....388)
7) التهامي الوزاني ، المصدر السابق ، ص 28

3- الحماية القنصلية والأطماع الأوربية:

تعرض المغرب الأقصى ، ابتداء ا من النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، إلى موجة من الإبتزازات ، بسبب تلك الاتفاقيات المبرمة بينه وبين الدول الأوربية،تخص حرية التجارة ، والحماية للموظفين الأوربيين العاملين به،وبروز شبكة من السماسرة داخل البلاد مربوطين بالموظفين المغاربة،قصد نهب خيرات البلاد ، والتوغل داخل إدارته ، بإعطاء الرشاوي والهدايا، خدمة لمصلحة تلك الدول الطامعة ، في أخذ مركز متقدم للسيطرة على حكم البلاد ، الأمر الذي أفضى أخيرا إلى فقدان المغرب الأقصى سيادته ، ووقوعه تحت الحماية الفرنسية الإسبانية سنة 1912، في وقت كانت تلك الدول الأوربية في سباق لتقاسم بلدان الوطن العربي، والقارة الإفريقية [1].

وعليه لابد من كشف حيثيات هذا التسرب القنصلي ، وتداعياته، وخاصة النفوذ الاسباني على سيادة المغرب الأقصى .

أ- الحماية القنصلية بالمغرب الاقصى :

لقد كانت انجلترا السباقة إلى أخذ نصيب من تلك الاتفاقيات سنة 1856،التي تحمي من خلالها قناصلها وموظفيها داخل المغرب ، وتعطي الحرية لتجارها ليمارسوا نشاطهم في ظل ظاهرة البرجوازية الأوربية، وتنافسها الشرس على كسب أكبر قدر من الأرباح ، لتأخذ اسبانيا ، نفس التعهدات الإنجليزية من المغرب ، عقب انتصارها في حرب تطوان 1860 ،عبر معاهدة 20 نوفمبر 1861، لتأتي المعاهدة الفرنسية المغربية سنة 1863، كطرف ثالث قوي ، في ذلك التنافس الإنجليزي الفرنسي والإسباني ، على خيرات البلاد المغربية [2].

ولقد لعب عنصر اليهود بالمغرب، دورا هاما في اتساع مشكلة الحماية القنصلية ، وذلك للاحتماء من الاضطهاد الذي كانوا دائما يشكون منه،والعمل بعدها ضد مصلحة بلادهم ، هي الأجرى كذلك طبقة التجار المغاربة لنسابقت هي الأخرى إلى نفس الشيء بسبب حاجتها إلى التهرب من الضرائب ، عبر حصولها على بطاقة المحمي ، لدى قناصل الدول الموقعة على تلك الاتفاقيات[3] .

1) التهامي الوزاني ، المرجع السابق ، ص 24- 28
2) عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق ، ص ص،123- 130
3) نفسه ، ص ص،131- 134

ومن النتائج المترتبة عن الحماية القنصلية بالمغرب ما يلي:

1- تنافس الأوربيين على امتلاك العقار والأراضي الزراعية بالمغرب، بموجب البند الخامس من الاتفاقية المغربية الإسبانية لعام 1861، ودخولهم بعد ذلك في صراع مع جيرانهم المغاربة ، بسبب أطماع هؤلاء المحميين في التوسع ، وغالبا ما تضيع حقوق المغاربة الأصليين عند القاضي ، جراء دعم القناصل القوي لرعاياهم[1] .

2- ظهور الفوضى القضائية التي كان سببها إنشاء محاكم خاصة بالأجانب لدى قنصلياتهم، بالإضافة إلى وجود نوعين من المحميين المغاربة والأوربيين إضافة إلى المغاربة الأصليين، مما نتج عنه فوضى قضائية لاختلاف القوانين الأوربية والمغربية في بلد واحد ، كان مسار القضايا دائما يؤول إلى التصالح بين الأطراف المتنازعة ، لتجنب إشكالات التقاضي[2] .

3- زيادة عدد البعثات التبشيرية الإسبانية بعد عقد اتفاقية 1861،وذلك بإعطاء رجال الدين الحرية في العمل الديني في كامل تراب المغرب[3].

وبذلك يمكن القول، أن اسبانيا بعد انتصارها في حرب تطوان، أخذت عبر الاتفاقيات المبرمة مع المغرب ، مكاسب مادية وسياسية ، وكذلك اقتصادية إضافة إلى تواجدها الفعلي في سبتة ومليلة وجزر ملوية ، وحجر بادس .

وفي سنة 1870 دخلت الولايات المتحدة الأمريكية سباق الحمايات القنصلية بالمغرب باعتماد قنصلها" ماثيوز"(Mathews) ،والذي صرح في 27جوان1871، أنه سلم أوراق الحماية الأمريكية بالمغرب إلى 51فردا ، من بينهم ثلاثون محميا ، يتاجرون بالغاز داخل البلاد المغربية [4].

وإذا كانت تلك الحمايات القنصلية قد بدأت تعصف بالسيادة المغربية إضافة إلى اقتصاده وبنيته الاجتماعية فماذا كان موقف السلطة المغربية من هذه الأطماع الأوربية؟.

لم يكن خطر الحماية القنصلية خافيا عن نظر السلطة المغربية ، فقد عبر السلطان محمد بن عبد الرحمان في خريف 1864، لقنصل فرنسا،بعد أقل من سنة من الاتفاقية المغربية الفرنسية، عن قلقه من تجاوزات تلك الحماية ، وما أحدثته من فوضى اقتصادية واجتماعية [5].

وبرزت التجاوزات في عدد المحميين غير المسجلين لدى السلطات المغربية، بسبب تحايل قناصل الدول الأوربية ، إضافة إلى أن التجار و المحميين،أصبحوا يمنحون بطاقات الحماية لعدد من السماسرة المقيمين معهم ، والعاملين تحت شبكتهم التجارية .

1) عبد الوهاب بن منصور، المرجع السابق ، ص، 41 .44.
2) نفسه ، ص 45 46 .
3) محمد بن هاشم ، المرجع السابق ، ص 118.
4) نفسه ، ص ص، 121 122.
5) عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص –ص، 58 60

ولما حكم المغرب الأقصى السلطان الحسن الأول سنة 1873، كانت قضية الحماية القنصلية أولى اهتماماته ، خاصة الحماية الإسبانية للمغاربة المقيمين بالمدن والموانئ التي جعلت منهم واسطة لنفوذها داخل المغرب ، الشيء الذي دعا الحكومتين الفرنسية و البريطانية لتأييد المغرب في مساعيه لتقليص ذلك النفوذ،وكذلك التنافس الذي ظهر بين الدول الأوربية للسيطرة على المغرب(1) .

أمام هذا الموقف من الدولتين سابقتي الذكر، قبل السلطان الحسن الأول مناقشة قضية الحماية القنصلية مع الدول الأوربية ، وأصدر قراره إلى وزيره للخارجية محمد بركاش بتحرير مذكرة إلى قناصل تلك الدول بطنجة، تتضمن اعتراضات المغرب على اتساع تلك الحمايات والإصلاحات الواجب اتخاذها للمحافظة على وحدة البلاد،وسلم الوزير تلك المذكرة بتاريخ 20مارس 1877،التي ترمي إلى المسار وفق الاتفاقية البريطانية لسنة 1856، والمعاهدة الإسبانية لسنة 1861، وكذلك الفرنسية لسنة 1863، الموقعة مع المغرب والتي انخرطت فيها سائر الدول سنة 1863، بدون إحداث أي تجاوزات في بنودها ، لكن إلغاء نظام الحماية كان هدفا بعيد المنال ، بسبب تلك الاتفاقيات التي شكلت ارتباط المغرب بتلك الدول بمصالح اقتصادية وتجارية معقدة نوعا ما(2) .

عقد السيد" جون دريموند هاي"الوزير البريطاني المفوض بالمغرب، بعد تلقيه الرسالة مع زملائه، عشرة اجتماعات لدراستها ، دامت قرابة سنتين ، وتم إعداد ملخص في ماي 1879، حمل بعض التوصيات الايجابية كدفع المحميين للضرائب الفلاحية وإرجاء تنفيذ مقرراتهم إلى موافقة حكوماتهم عليها (3).

وفي 28من شهر جويلية 1879، اقترح "هاي" عقد اجتماع خارج المغرب ، يعين له ممثلين جدد لدراسة قضية الحماية بدون تحيز ، وبشكل منفتح ، وكان المكان المقترح هو مدريد وحدد تاريخ انعقاده يوم 15ماي 1880 ، ولقد عملت اسبانيا قبل انفتاح المؤتمر على استمالة بريطانيا إلى جانبها قصد الحفاظ على نفوذها بالمغرب ، كما فعلت كذلك مع ممثل فرنسا ، تمهيدا لاقتسام المغرب عند انهياره(4) .

ومن أهم نتائج ذلك المؤتمر التي أسفرت عنها هو إعطاء شرعية قانونية لتواجد الأجانب بالمغرب ،وتم تقسيمهم إلى ثلاثة أصناف هم: أعوان البعثات الدبلوماسية والعاملين من التجار والسماسرة ، وأخيرا المغاربة الذين قدموا خدمات

1)- عبد الوهاب بن منصور ، المرجع السابق ، ص –ص، 61- 65.
2) نفسه ،ص 66- 68 .
3)- Jean luis miege . le Maroc et le europe de (1830-1894).vol03, Editions pvf. Paris. 1963,p 276
4)- Hall Lualla . the united states and morocco (1776-1956). The scarecrow presse . Metuchen N, Y, 1974, P 216

للدولة الحامية لهم،وقدرتهم باثني عشر فردا[1].

أما الجانب الإسباني ، فقد حصل من هذا المؤتمر ، إضافة إلى بنود الحماية القنصلية على ميناء للصيد بوادي افني،على الجانب الأطلسي، يستغله كمرفأ تجاري في جنوب المغرب(2) .

كان مؤتمر مدريد إذن وسيلة لضبط أمور الحماية القنصلية ، والمعاملات التجارية بين المغرب والدول الأوربية وأمريكا، واستمرت تلك التدخلات في شؤون المغرب بعد هذا المؤتمر ، تعززها ادعاءات اليهود بضرورة حمايتهم ، وسط بروز التيار الصهيوني العالمي مما أدخل المغرب في حل النزاعات بين متعامليه ، وسط وجود المحاكم القنصلية في بلاده،الشيء الذي أضعفه ليتم تقسيمه بين فرنسا واسبانيا ، ودخوله عصر الحماية بدءا من سنة 1912 . وذلك بتدخل الجمعيات اليهودية بالدول الأوربية وأمريكا ، مثلما قامت به الجمعية اليهودية الأمريكية ، التي وجهت خطابا إلى القنصل الأمريكي بالمغرب ، "ماثيتوز" مشيرة إلى ما يتعرض له يهود المغرب من اضطهاد وميز عنصري ، فتدخل القنصل ذو الأصل اليهودي، ومنح حمايته لقرية بكاملها من مدينة طنجة التي وصفها سلفه "وليام لويس"(william lewis) عام 1887، بأنها مستعمرة أمريكية داخل المغرب(3)، وكذلك تدخل الجمعيـة اليهوديـة بلندن التي قدمـت رسالة إلى السلطان تطلب منه السماح ليهود الصويرة ببناء ملاح جديد لهم(4).

1)- lualla , e,op cit , P 225

2)- Ibid , P 229

3)- تركي عجلان الحارثي "تغير وضعية اليهود بالمغرب الاقصى في القرن التاسع عشر وموقف الحكومة المغربية منها " ، دراسات تاريخية ، العدد : 45 46 ، 1993 ، ص 193

4)- ابن زيدان ، المصدر السابق ، ج 02 ، ص –ص، 299 300.

المبحث الثاني : وضعية سبتة ومليلة تحت الحماية (1912،1956)

1- الحماية:

خضع المغرب للاحتلال الفرنسي الإسباني وسط فوضى داخلية وخارجية ، في عصر الاستعمار الأوربي الحديث ، فقد كان التنافس الفرنسي الإنجليزي على أشده أواخر القرن التاسع عشر ، ففرنسا كانت متواجدة في إفريقيا الغربية ، في السنغال وغينيا، وإفريقيا الاستوائية والمدارية ، إضافة إلى احتلالها الجزائر وتونس ، وبدا حينذاك تداول مصطلح إفريقيا الفرنسية (Afrique française)، كما كانت انجلترا متواجدة بشرق إفريقيا من مصر إلى جنوب القارة [1].

وبعد عقد الاتفاق السري الفرنسي الإنجليزي سنة1904 ، الذي أفضى إلى وجوب احتلال المغرب وكان الخلاف لدى الفرنسيين فقط في كيفية احتلاله ، هل بالحل العسكري أو النفوذ السياسي ، وكانت المخاوف الشعبية من النفوذ الأجنبي واضحة قبل قدوم الاحتلال ، وظهرت معارضة شعبية للنفوذ الأجنبي المتزايد ، ففي مارس 1905، قتل المغاربة بالدار البيضاء الطبيب الفرنسي ، "موشو" (montchamps) ، وفي سنة 1907، قتلت الجماهير الشاوية في غرب المغرب البشوات والقياد التي عينتهم الحكومة بسبب تعفن الوضع هناك ، واحتلت فرنسا وجدة وقالت أنه احتلال مؤقت ، ففي ماي 1907 ، أنشات فرنسا بالدار البيضاء بناءا جديدا، فرأت الجماهير أنه تدخل في شؤون المغرب فوقع هجوم على بعض العمال الفرنسيين ، فقتلوا بعضهم ، لتقوم بعدها البوارج الفرنسية بقنبلة الدار البيضاء ،عندها قررت الجماهير الهجوم على الميناء وطرد الباشا ونزل الفرنسيون بالساحل فوجدوا آثار القتل والدمار، ليقوم الجنرال" داماد" باحتلال إقليم الشاوية في ثلاث أشهر الموالية ، وخلفه الجنرال "موانيه"(moinier) ، الذي احتل الدار البيضاء، ليتوسع سنة1910 في مناطق جنوب وجدة [2].

ولما رأى أهل الحل والعقد أحوال المغرب تسير في هذا الاتجاه الخطير قاموا بخلع المولى عبد العزيز ومبايعة أخيه عبد الحفيظ يوم 5جانفي 1908 بفاس ، وذلك بشروط، منها إلغاء الديون التي اقترضها خلفه ، خاصة القروض الفرنسية البالغة 62.5 مليون فرنك والتي أخذها عن الفرنسيين يوم 12اوت 1904، وإلغاء مقررات مؤتمر الجزيرة الخضراء [3].

---

1) حسن مؤنس ، تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي الى الغزو الفرنسي، مج 02 ، ج (2-3)،ط : 01، العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت ، 1992، ص ص ،398 .

2) نفسه ، ص399.

3) التهامي الوزاني ، المصدر السابق ، ص ص،25-26

المنعقد بتاريخ 16جانفي 1906، حول تقسيم المغرب بين الدول الأوربية ،وكذلك كف الأجانب عن التدخل في شؤون المغرب الداخلية، واسترجاع الأراضي التي استولت عليها كل من فرنسا واسبانيا لكن السلطان الجديد لم يقدر على تلك الشروط، وأمام بروز المعارضة من الجماعة التي ولته ، وبداية مضايقته إياه ، قبض على زعيمها سيدي محمد بن الكبير الكتاني وعاقبه بالسوط حتى الموت [1].

وفي 12سبتمبر 1908، وجه السلطان عبد الحفيظ رسالة إلى السلك الدبلوماسي الأجنبي بطنجة ، يتعهد فيه باحترامه لعقد الجزيرة الخضراء وكل الاتفاقيات الدولية المبرمة معهم ومرحبا بكل الدول المساندة للإصلاحات المرتقبة ، وفي اليوم نفسه ردت كل من فرنسا واسبانيا برسالة إلى الهيأة الدبلوماسية ، تطلبان فيها الاعتراف بشرعية السلطان مقابل اعترافه بالشروط الآتية:

1ـ الالتزام بعقد الجزيرة وكل الاتفاقيات الملحقة به، والاتفاقيات المبرم مع المغرب
2ـ قبول لجنة التعويضات الدار البيضاء عن الخسائر الفرنسية
3ـ الالتزام بديون أسلافه
4ـ التخلي عن الدعوة إلى الجهاد
5ـ معاملة أخيه المخلوع معاملة لائقة

وبقبول السلطان هذه الشروط المذكورة ، حصل على تأييد الدول الأوربية لحكمه[2] ، ليقوم بعدها بمجازر ضد القبائل الثائرة ضده ، وأخذ أموال الأغنياء ، بعدما اضطرته فرنسا إلى استدانة 100مليون فرنك لدفع ديون سلفه ، منها ستون مليون نفقات تلك الحملة ، وتعويض فرنسا عن خسائرها بالدار البيضاء[3] .

هذا ما سمح لفرنسا ، بوضع يدها على خزينة المغرب ، وبتولي رئيس اللجنة العسكرية الفرنسية رئيسا لتأطير البحرية المغربية ، ليصبح الجيش المغربي تحت قيادتها[4]، ليستمر السلطان في ولائه للفرنسيين ، وفرض جبايات قاسية على شعبه ، لتثور الجماهير عليه في فاس ليطلب أخيرا تدخل فرنسا لنجدته ، وتدخل فرقة عسكرية بقيادة "موانيه" مدينة فاس في 27افريل 1911، ثم مدينة مكناس في الثامن جوان ، ومدينة الرباط في 09جويلية ، بينما احتل الأسبان مدينتي العرائش والقصر الكبير من نفس السنة ، وأمام هذه الفوضى العاصفة بالبلاد رضخ السلطان عبد الحفيظ إلى توقيع عقد الحماية في 30مارس 1912، مع تعهد فرنسي بحماية السلطان وضمان الأمن داخل البلاد، وإعطاء اسبانيا مساحة 25 ألف كم تمتد من نهر ملوية بنواحي مليلة إلى المحيط الأطلسي[5] .

---

1) التهامي الوزاني ، المصدر السابق ، ص ص،25 28.
2) محمد بنهاشم، المرجع السابق ، ص ص،232،231.
3) حسن مؤنس، المرجع السابق ، ص 400
4) التهامي الوزاني ، المصدر السابق، ص –ص، 27 28.
5) حسن مؤنس، المرجع السابق، ص400

أدى انتشار خبر توقيع اتفاقية الحماية ، سببا في قيام انتفاضة فاس في 17 و18 أفريل التي قتل فيها عدد من الضباط والمدنيين الفرنسيين ، مما دفع فرنسا إلى تعيين الجنرال "ليوطي"[1] ،كان هذا الأخير تجربة عسكرية في الحروب تحت راية "كاليني" (calleni) ، بالهند الصينية ومدغشقر ، وكان سياسيا وعسكريا على حد سواء ، ومرشحا للحزب الإستعماري ، كما عمل بالجنوب الغربي للجزائر منذ 1903 ، وكان عازما على غزو المغرب، حيث قال سنة 1908، (لأشعر أني أحكم قبضتي على هذا البلد ... هكذا... كنت أحلم بغزو المغرب... واثق بآلتي وخطتي)[2].

وبعد قدومه إلى فاس في 24ماي 1912، فك الحصار على المدينة، وبدأ بسياسته المعروفة من أجل استقطاب أعيان فاس ودفعهم على التعامل مع سلطات الحماية ،أما السلطان عبد الحفيظ فعزل رغم احتجاجاته المتكررة ، ونفي إلى فرنسا ، وتولى أحد إخوته المولى يوسف العرش المغربي شكليا [3] .

وفي ماي 1912، كانت القبائل الثائرة والمنحصرة أساسا في الريف ، تشكل ثلثي المغرب ، لازالت بعيدة عن السيطرة الإسبانية والفرنسية[4] والتي ستحمل لواء المقاومة ضد المحتل ، برز خلالها شخصية عبد الكريم الخطابي بنواحي مليلة ، والشريف الريسوني بالناحية الغربية ، وهو ما سنحاول التطرق إليه في فصل المقاومة في هذه المرحلة .

وبإبرام الاتفاقية الفرنسية –الإسبانية يوم 27نوفمبر1912، قسم المغرب نهائيا بين الدولتين لتأخذ دولة اسبانيا بموجبها منطقة إفني ، وناحية طرفاية بالصحراء، إضافة إلى قسم ثالث بالريف ، وتصبح مدينة طنجة محافظة دولية ، بسبب تواجد قناصل الدول الأجنبية بها في 05نوفمبر 1914، وبالإتفاقية الثلاثية الموقعة بين فرنسا واسبانيا وانجلترا،في ديسمبر 1925، أصبحت ناحية طنجة منطقة محايدة[5] .

لقد أصبحت فرنسا الراعية الرسمية للحماية بالمغرب، وتأتي إسبانيا في المرحلة الثانية تحت الحكم الصوري للسلطان المغربي ، بوضع خليفة له على منطقتها ، وكان أوله المغربي المهدي بن إسماعيل بمقتضى مرسوم 14ماي 1913،المقيم بتطوان[6].

1)- محمد بنهاشم، المرجع السابق ،ص 246

2)- جرمان عياش، أصول حرب الريف، ترجمة : محمد الأمين البزاز، وعبد العزيز النمسماني خلوق، الشركة العربية المتحدة ، الرباط: 1992،ص.59.

3)- محمد بنهاشم ، المرجع السابق ، ص 246

4)- جرمان عياش، المصدر السابق ، ص60

5)- EDOUARD maha, op cit , P 65

6)- التهامي الوزاني، المصدر السابق، ص 31

2 المقاومة المسلحة بناحية مليلة

- مقاومة عبد الكريم الخطابي

برزت المقاومة المسلحة في المغرب، في مرحلة الحماية الفرنسية ، من خلال شخصية عبد الكريم الخطابي، التي كانت مقاومته مرتبطة بمليلة، ولذا تستحق التعريف بها ولو بصفة مختصرة .

أ- النشأة وظروفها:

و لد محمد بن عبد الكريم الخطابي سنة 1882، بناحية الريف المغربي بمنطقة الحسيمة وبالذات في قرية أجدير ، من قبيلة بني ورياغل العريقة المعروفة بتاريخها الجهادي، حيث تابع دراسته الابتدائية بقرية أجدير، ثم قصد مدينة فاس لنفس الغرض، فمدينة تطوان لدراسته الثانوية، حيث تتلمذ على يدي علماء أجلاء بمؤسسة القرويين أمثال محمد الكتاني، والأستاذين عبد الصمد ومحمد الكنونين [1].

عايش الخطابي التدخلات الأجنبية في شؤون المغرب، وكذلك لحظات الاحتلال لتدخل عاملا حاسما في شخصيته الوطنية ، ولم يرى بدا في بدايات مشواره ، إلا العودة إلى مدينة مليلة ، يمارس بها تدريس اللغة العربية واللهجة الريفية للضباط الإسبان، وقام بمهمة مترجم لدى مصلحة الاستخبارات الإسبانية ، كما كان يحرر في جريدة (تلغرامة الريف) قبل أن يصبح قاضيا للمسلمين بمدينة مليلة، ثم قاضي قضاة لشؤون المسلمين، مكنته تلك المهام من اكتساب خبرات ثقافية وعسكرية ودبلوماسية، ساعده في مشواره المرتقب، ورغم اشتغاله لدى السلطات الإسبانية ،كان الخطابي يطلق آراءه بكل حرية متسما بالجانب الحضاري في أفكاره ، وذلك ما تبرزه مقالاته ودروسه المنشورة في جريدة (تلغراف الريف) المنشورة مابين 1907و1915 ، متمسكا بقناعاته حتى بعد القطيعة النهائية مع الإسبان أوائل 1919 بعودته من مليلة، وكذلك رجوع أخيه أمحمد من إسبانيا ، حيث كان يدرس هندسة المناجم ، بصفة نهائية إلى قريتهم أجدير[2] .

ليبدأ بعدها الصراع مع إسبانيا بداية من عام 1921 ، في الريف الشرقي بنواحي مليلة ،وكانت معركة (أنوال) الشهيرة أبرز إنجازاته العسكرية[3]، ليواصل معاركه تلك إلى سنة 1926 ، حيث كانت هزيمته واستسلامه للطرف الفرنسي ، لينفى بعدها إلى جزيرة " لارينيون"(lareunion) مدة 22 سنة قبل أن يسافر إلى مصر سنة 1947 إلى وفاته بها في 06 فيفري 1963[4].

---

1) علي الادريسي ، **عبد الكريم الخطابي والتاريخ المعاصر** ،ط، 02 ، تقديم : العقيد الهاشمي الطود , مطبعة النجاح الجديدة, الدار البيضاء، 2010، ص ص، 31 .39.

2) نفسه ، ص 40 44

3) محمد سلام امزيان ، **عبد الكريم الخطابي وحرب الريف** , مطبعة المدني، القاهرة ، 1971 ، ص 142

4) علي الإدريسي ،المرجع السابق ، ص 158.

اهتم الخطابي بمنفاه الثاني في مصر ، بقضايا التحرر العربية ، وتجلى ذلك في تأسيس لجنة تحرير المغرب العربي ، برئاسته الدائمة، وبمساعدة أخيه أمحمد ، الذي كلف بالشؤون العسكرية[1] .

ب- الحرب ضد إسبانيا:

يتفق جل المؤرخين على أن المساحة التي احتلتها إسبانيا من الأراضي المغربية ، بموجب اتفاقية الجزيرة الخضراء سنة 1906، وانتهاء باتفاق 1913 مع فرنسا، حوالي 5%[2]، ويبلغ طول المنطقة الضيقة للحماية الإسبانية 360 كم ، وعرضها في أقصى اتساع حوالي 80 كم[3]، ففي هذه المنطقة الضيقة التي يغلب عليها الطابع الجبلي ، جرت وقائع اشتهرت تسميتها بحرب الريف،ضد الاستعمار الإسباني وحليفه الفرنسي بقيادة محمد بن عبد الكريم الخطابي[4].

كما سبق ذكره فإن ثورة عبد الكريم الخطابي ، بدأت أوائل سنة 1921، رغم الوجود الإسباني بالمغرب مع 1912، فهل كانت هناك مقاومة ضد توغل القوات الإسبانية في تلك المنطقة؟.

قبل بداية هذه الحرب قام محمد بن عبد الكريم الخطابي مع الأمير عبد المالك الجزائري بعمل تعبوي كبير داخل القبائل الريفية عقب وفاة والده الغامضة في شهر أوت 1925، في مواجهات مع الإسبان بمنطقة تفرسيت الواقعة بين الحسيمة والناظور ، بعد اقتناعه بعدم جدوى التفاوض مع الإسبان ، أدت هذه التعبئة إلى تأسيس أول قيادة جماعية بتاريخ 20سبتمبر 1920، مكونة من عشرين شخصية اغلبهم من قبيلة بني ورياغل ، وتعاهدوا بأداء اليمين على المصحف على :

1- الدفاع عن الدين والوطن والشرف حتى الموت .
2- عدم إثارة العداوة بين المجاهدين مهما كانت الظروف .
3- الالتزام بتنفيذ الأحكام الشرعية[5].

وكانت إسبانيا وقتئذ ، قد أخذت موقع مطل على بني ورياغل ، من أراضي قبيلتي آيت توزين و تمسامان، استعدادا لاحتلالها، وبذلك تستكمل احتلالها لجل المنطقة الخليفية [6].

1- علي الإدريسي ، المرجع السابق ، ص، 159

2- ميكل مارتين ، **الاستعمار الاسباني في المغرب(1860- 1956)** ، ترجمة : عبد العزيز الوديي، منشورات التل ، الرباط، 1988، ص39

3- روبرت كونز رولف دبينز مولر ، **حرب الغازات السامة بالمغرب** ، ترجمة : عبد العالي الامراني ، منشورات فيد باك الرباط ، 1996 ، ص39.

4- أحمد البو عياشي ، **حرب الريف التحريرية ومراحل النضال** ، ج02،ط : 01، مطبعة دار امل ،طنجة، 1975، ، ص ص، 57- 58.

5) نفسه ، ص59.

6) علي الادريسي ، المرجع السابق، ص ، 61..

وبعد كل تلك الاستعدادات المتبادلة ، اندلعت المعارك بين الطرفين بداية من الفاتح جويلية من تلك السنة الموافق ل26 رمضان 1339هـ، بهجوم المجاهدين على مركز" أدهار أوبران" لتستمر المعارك بعده ، طوال شهر ونصف بانهزام الجيش الإسباني في 21 جويلية 1921 في المعركة الشهيرة "أنول" التي كانت لها انعكاسات سياسية على الساحة الإسبانية وأصبحت لها شهرة عالمية[1] .

تلك المرحلة التي برز فيها الفارق المادي والعددي الكبير ، إضافة إلى الهزيمة الثقيلة غير المتوقعة من طرف أهالي ريفيين لا يمتلكون الجانب التخطيطي للدول العظمى ، فمن الجانب العددي كان المغاربة قرابة 600رجل ، يقابلهم جيش إسباني يقارب 24 ألف جندي بينهم 4آلاف من الأهالي المجندين[2] ، أما عن الحصيلة النهائية لتلك المعركة فكانت غير معقولة نظرا لتفاوت القوات بين الطرفين ، حيث خسر الجانب الإسباني 18 ألف جندي بينهم قائد الحملة الجنرال "سيلفستري" (silvestrè) ، ومعهم 1100 أسير ، وفي مقدمتهم الجنرال "نافارو"(navaro)، إضافة إلى غنم 19504 بندقية ، 352 رشاش ، و 129 مدفعا ، إضافة إلى مواد عسكرية أخرى كالألبسة والخيام والعربات ، والأغذية[3] .

أما عن نتائج معركة أنول ، فنجد أن عبد الكريم الخطابي بمساعدة الأمير عبد المالك سيطر على شمال المغرب باستثناء الحصون العسكرية الصغيرة في سبتة ومليلة والعرائش وطنجة[4] .

وسبب هذا النصر الأخير لعبد الكريم هزة لدى الرئيس الإسباني "بريمودي ريفيرا"(primo de rivera) الذي صرح للصحفي الإنجليزي " مايكل مارتن" بمايلي :

بعدم جدوى مقاومة المغاربة ، ويفضل الانسحاب من الأراضي المحتلة ، وأضاف قائلا :" لقد هزمنا عبد الكريم ، إنه يحظى بالفوائد الكبرى لأرض المعركة ، ويستفيد من تعصب أنصاره ، في حين أن جنودنا منهكون بحرب دامت عدة سنوات ، إنهم لا يدركون سبب ضرورة الكفاح والموت من أجل بقعة من أرض ليست لها آية قيمة ، وأنا شخصيا من مؤيدي الانسحاب التام من إفريقيا ، والسماح لعبد الكريم بوضع اليد على ممتلكاته,لقد صرفنا ملايين لا تحصى من البسيطة في هذا المشروع ، دون أن نستلم أبدا سنتيما واحدا، ومات عشرات الآلاف من الرجل، من أجل أرض غير صالحة ، ولا فائدة من حيازتها "[5] .

بعد أشهر من سيطرة المجاهدين على منطقة الشمال ، وبعد أقل من شهرين على تصريح الرئيس الإسباني سابق الذكر ، دخلت فرنسا حلبة الصراع ضد عبد الكريم، مدعمة لحليفتها إسبانيا وخوفا من إقامة دولة تقوم على المبادئ الإسلامية ، بدليل ما

---

1) علي الادريسي ، المرجع السابق، ص ص، ،62.
2) روبرت فورنو ، **عبد الكريم الخطابي"أسد الريف"** ، ترجمة :فؤاد وأيوب، دار دمشق، دمشق: 1968، ص 48
3) نفسه ، ص 67
4) ميكل مارتين ، المرجع السابق ، ص .80
5) نفسه ، ص –ص، 77- 78.

صرح به المقيم العام الفرنسي المارشال اليوطي في تقريره إلى باريس حيث قـــال:"لا يمكن أن يكون هنالك شيء أسوأ بالنسبة إلى نظامنا من إقامة دولة إسلامية مستقلة، دولة تجعل من عبد الكريم مركز جذب لجميع العناصر المغربية و على الأخص الشباب منهم "[1]،ومن هذه العبارات القليلة لهذا التصريح نكتشف الجانب الديني العدائي الذي طغى على المخططات الفرنسية و الذهنيات العسكرية و السياسية للقادة الفرنسيين إضافة إلى بروز الحسابات السياسية بحيث أن قيام دولة مستقلة داخل المغرب معناه بداية وجود قوة مرهوبة تقوم على الدفاع عن حقوق المسلمين،و تشكل بذلك تهديدا حقيقيا للمستعمرات الفرنسية الواسعة في إفريقيا على وجه الخصوص.

اندلعت المعارك بين الثوار و القوات الفرنسية و سقط خلال خمسة أيام من المعارك خمسين مركزا فرنسيا وبعده بشهرين في 04 جوان 1925 سقط المركزالعسكري الفرنسي المعروف بالبيبان بعد حصار دام 52 يوم [2].

و بعد سقوط مركز البيبان بسبعة أيام سقطت قلعة بني دركون في 12 جويلية 1925 و عجز المارشال اليوطي (lyoutey) مع جيشه الوافد إليها البالغ 60 ألف جندي الأمر الذي دفع باستبداله بمقيم عام جديد هو "ستيك"(steeg) و قائد جديد للجيش هو المارشال" بيتان" (betin) [3] .

و لمعرفة أهمية تلك الحرب و وقعها على الاحتلال يكفي سرد أرقام التعبئة التي صرح بها وزير خارجية فرنسا "أنطوان بيني"سنة 1956 أمام البرلمان الفرنسي حين قال:(لقد كلفتنا حرب الريف سنة 1926 لستنفار 325 ألف جنديا فرنسي بينما لم يكن لدى عبد الكريم سوى 20 ألف رجل مسلح .... مع العلم أن هذا الجيش هو الذي خرج منتصرا من الحرب العظمى 1914-1918 إضافة إلى دعم من قبل أربعة أخماس من السكان المغاربة الذين قدموا 400 جندي إضافي[4] .

1)- روبرت فورنو، المرجع السابق ، ص 132
2)- نفسه، ص 165
3)- Bernard Lugan ,Histoire du Maroc, Editions Crêterions , paris,1978 , p-p, 256-257-
3)- ادغارفور، مذكرات الحماية السرية لايكس ليبان ، ترجمة : محمد العفراتي ، منشورات دفاتر وجهة نظر، الرباط: 2002، ص 8.

أما بخصوص القوات الإسبانية المشاركة في تلك المعارك كانت 360 ألف جندي 220 ألف جندي على الجبهة الشرقية و 140 ألف جندي بالجبهة الغربية و بهذا أصبح عدد القوات الإسبانية و الفرنسية الموجهة لحرب الريف يتجاوز عدد سكان المنطقة بـ 230 ألف فردا[1] .

و مما يكشف ضراوة تلك الحرب هو لجوء المستعمرين إلى سلاح الغازات السامة لبث الرعب لدى المجاهدين و بسبب الإبادة الجماعية حيث استلمت إسبانيا من الألمان حوالي 110طن من غاز اللووست لاستخدامها في حرب الريف[2] .

أما الحصيلة النهائية لتلك الحرب فهي كالتالي:

الجانب الفرنسي :

ـ 25360ميت من الجنود

ـ 42870 قتيل من المرتزقة و اللفيف الأجنبي و مجندي المستعمرات.

الجانب المغربي:

ـ 10250 شهيد في ميدان المعارك .

ـ 850 شهيد بسبب الغازات السامة .

ـ 2250 شهيد بسبب القصف الجوي في الأسواق و القرى.

ـ 2150 شهيد بالقصف الجوي بالغازات السامة في الأسواق و القرى[3].

و رغم تلك التضحيات التي بذلها المغاربة في سبيل مقاومة الاحتلال فقد خمد فتيل تلك الثورة، وانتصر المستعمر أخيرا في عام 1926، (لكن المجد يبقى للريف) على حد تعبير أحد الصحفيين الأمريكيين[4].

ومن خلال قراءة أحداث المعارك الجارية بين الإسبان و الأمير الخطابي، ترد مدينة مليلة في الأحداث ، بعد معركة أنوال المدوية، في مرحلة سيطرة عبد الكريم على المنطقة لنتساءل عن مدى الأهمية التي كانت عليها تلك المدينة في ذهن الأمير ؟، و لماذا لم يحاول تحريرها في خضم نشوة النصر تلك ؟

ج) مليلة المنهارة وقرار الخطابي:

لقد انتقد المؤرخون و السياسيون و كل من اهتم بتاريخ حرب الريف، ذلك الاعتراض الذي أبداه الخطابي عن دخول مدينة مليلة، بعد نصر أنوال، بعدما ساد جو من الرعب داخل المدينة،و كذا الحالة الهستيرية للجيش الإسباني، على وقع الهزيمة تلك .فوصول الأنباء عن إبادة الجيش الإسباني المتجه إلى إخضاع بني ورياغل،

---

1) ماريا روسادي مادرياكا ، **مغاربة في خدمة فرانكو** ، ترجمة : كنزة القالي، منشورات الزمن ، الرباط: 2006، ص 38.

2) كونز ، المرجع السابق ، ص 26

3) محمد امزيان ، المرجع السابق ، ص –ص، 247 249.

4) مالك بن نبي ، مذكرات شاهد القرن ، ج: 01 ، منشورات دار الفكر ، دمشق، 1969 ، ص 223

ساد جو من الرعب داخل المدينة، بموجب التقارير التي كتبت وقتئذ، منها أن الرعب كان يسيطر على المدينة، وكان دخول عبد الكريم منتظرا من حين لأخر، وكتب شاهد عيان ما يلي "في صباح 23 جويلية 1921- أي بعد يومين من معركة أنوال- وأثناء إقامة القداس الديني المعتاد، في كنيسة القلب المقدس للمسيح، كان الخوف و الهلع يسكنان القلوب، و ما أن جرت شائعة تقول: إن المغاربة يزحفون نحو المدينة و إنهم يستعدون للدخول إليها، تحولت الإشاعة إلى خبر انتشر في كامل أرجاء المدينة فقد انتشر كالنار في الهشيم، و جرى الناس في الأزقة طائشين قاصدين ملجأ القلعة القديمة، هاجمين على ثكنات الجيش للاحتماء بها و كنت أرى أمواجا من البشر يهربون و يصرخون في الشوارع و كأن المغاربة قد دخلوا المدينة فعلا و في فترة هبوط همة السكان، كانت هناك مشاعر فضيعة"[1].

هذا هو حال المدينة ، و حال سكانها الإسبان، ولم يكن وضع المغاربة بأحسن حال، خوفا من رد فعل الإسبان بها .

وصل الخطابي إلى المجاهدين المحاصرين للمدينة، بعدما فرغ من جمع السلاح، وحجز الأسرى الإسبان، و قضى طيلة يوم كامل يناقش مع رؤساء القبائل أمر مليلة، ليعطي قراره الأخير بعدم دخول الثوار المدينة، الشيء الذي سبب دهشة كبيرة لديهم، ليتصلب في قراره بقوله:" إن رجالنا مفتقرون حتى الآن إلى الانضباط وسوف يقضون على المدنيين .... مهما يكن من أمر فليست تلك طريقتي في خوض الحرب"[2].

لقد أضاع الخطابي أخذ المدينة الأسيرة منذ قرون من يد الإسبان، من دون أي مانع مادي و لا معنوي، وسط حماس القبائل المجاورة للمدينة، رغم احتجاجه بعدم إنضباط جنوده، و كان في وسعه و هو قائدهم تسييرهم كيفما شاء [3].

ولعلى تاريخه القديم بالمدينة التي عمل بها كمدرس للإسبان، و علاقته الودية السابقة معهم ، كانتا عاملا إضافيا ساعد على بلورة قراره التاريخي بعدم دخولها.

و علق كثير من المؤرخين على ذلك القرار و رأوا من خلاله عاملا لخسارته الحرب، و الخطابي نفسه يعترف بذلك(لأنه وفر للإسبان جسرا لستطاعوا انطلاقا منه أن يجتاحوا الريف، لكنه لم يندم قط على قراره، وكان مسرورا برفاقه الذين أطاعوه و نفذوا أمره[4].

---

1) ميكل مارتين ، المصدر السابق ، ص 61
2) فورنو ، المرجع السابق ، ص –ص، 68- 71.
3) ميكل مارتين ، المصدر السابق ، ص 61.
4) نفسه ، ص 61.

3- المقاومة المسلحة بناحية سبتة :

شهدت المنطقة الغربية من المملكة المغربية ، المتاخمة لمدينة سبتة ، بعد الحماية الاسبانية ، مقاومة ضد الإسبان ، كان زعيمها المدعو أحمد الريسوني ، الذي كان يتمتع بولاء القبائل لتلك المنطقة ، وبدأ بثورته بعد إنتهاء الحرب العالمية الأولى .

- مقاومة الريسوني:

هو الآخر يجتاج إعطاء موجز لحياته ، قبل الدخول في تفاصيل مقاومته مع العدو الإسباني ، والتي كانت بالناحية الغربية المتاخمة لمدينة سبتة ، والذي كانت سمعته واسعة الصيت آنذاك ، وبداية مقاومته صادفت أولى صفحات شبابه .

أ- حياته وبداية مقاومته:

أكدت أغلب الروايات ، أنه ولد في عام 1873، من أسرة شريفة تحظى بالاحترام والتقدير بشمال المغرب ، وقبيلته جبالة ، فتلقى العلوم الدينية في صغره وهو يتيم الأب [1] .

وما زاد من تقدير الناس إليه مع شبابه ، بعدما تصدى إلى جماعات النهب التي انتشرت مع نهايات القرن التاسع عشر ، بعد حادثة نهب بيته وقتل أمه ، أيقن بعدها أن البندقية هي السبيل إلى أخذ الثأر لا الكتاب ، بعد أن صار بدوره رئيس عصابة ، تمكن من العثور على المعتدين فأثخن فيهم واسترجع متاعه بدون أي فدية[2] .

هذا العمل جعل الناس يولوه بالغ الاحترام والتقدير ، لحد أن قبائل الناحية طلبت منه قمع العصابات ، وبفضل نجاحاته تمكن من القضاء على اللصوصية ، وفي نفس الوقت تمكن من إرساء دعائم سلطته الخاصة ، حيث استعانت به السلطة للقضاء على تلك الظاهرة بقبيلة أنجرة ، ثم ما لبث أن عينه السلطان عاملا على تلك القبيلة ، وذلك في الأيام الأخيرة من عهد مولاي الحسن[3] ، ومع زيادة نفوذه بين شبان المنطقة ، قام شيوخ تلك الناحية بتقديم شكوى إلى عامل طنجة الحاج عبد الرحمان بن عبد الصادق، الذي كلفه الخليفة عبد العزيز بالقبض على الشريف[4] .

---

1) محمد داود ، المرجع السابق ، ج 07 ، ص –ص، 100. 101.
2) علي الريسوني ، ابطال صنعوا التاريخ ،ط 01 ، مطبعة ديسبريس ، تطوان : 1975 ، ص 96
3) نفسه، ص –ص، 98 99.
4) التهامي الوزاني ، تاريخ المغرب ، ج : 03 ، مطبعة كريماديس، تطوان : 1940، ص 142

أودع الشاب البالغ من العمر أربع وعشرون سنة سجن الصويرة ، في الفترة الممتدة ما بين (1897و1900)[1].

بعد خروجه من السجن عاد إلى رفاقه ، مزودا بأفكاره المكتسبة باحتكاكه في السجن مع المعارضين السياسيين الذين جيء بهم من فاس ومدن أخرى ، والذين فتحوا أمامه إطلاعا أكبر على سير الأحداث والأخطار التي تهدد وحدة البلاد ، لدرئ الخطر قرر توظيف حمية شبابه ومكتسباته لمواجهة المسيحيين ، وكذلك ضد السلطان عبد العزيز ، الذي كان مجرد ألعوبة بأيديهم[2].

تميزت شخصية الريسوني ، بسيمات العدل والوطنية واللصوصية ، بعدما كان شابا مغمورا ، اكتسب ثروة طائلة عن طريق الفدية ، مع كل هذا فان السلطان الذي وضعه في حالة لا يحسد عليها لم يجد بدا من مهادنته وتعيينه عاملا على طنجة[3] .

و أصبح له دور مهم في مجرى الأحداث الحاصلة بالمغرب المعاصر ، خاصة ضد التدخل الأجنبي ، فقد قام بعدة اختطافات لشخصيات بارزة ، مثل الكلونيل الإنجليزي " ماكلان"، مدرب الجيوش المغربية ، بتاريخ 28 جوان 1907 ،واختطف كذلك الصحفي الإنجليزي"هاريس" بتاريخ13 جوان 1903 وبعض الشخصيات ، مما دفع الحكومتين الأمريكية والإنجليزية إلى التفاوض مع الشريف ، وقد حصل مقابل الإفراج عنهم على أموال معتبرة ، فزادته تلك النشاطات هيبة [4].

ولقد كان له دور كبير في مبايعة السلطان عبد الحفيظ ، الثائر على أخيه عبد العزيز بمراكش سنة 1907 ، وإقناع قبائل الهبط و جبالة للانضمام إليه ، البالغة ستة عشر قبيلة في الشمال الغربي بين البحر والمحيط والمضيق ، والذي عين الريسوني قائدا على تلك القبائل ، حيث قضى على الانقسامات والفوضى هناك ، وأصبح يحكم كملك من الملوك في كل مكان من تلك الناحية الغربية ، و كان له رجاله المسلحون ، ومزارعوه الذين يشتغلون له بأراضيه ، أما في أصيلة التي اتخذها عاصمة له ، فكانت الحياة تنتظم كلها حول قصره وسجونه المكتظة على الدوام [5].

وبالموازاة مع هذا النجاح الداخلي ، ربط علاقاته مع القنصل الإسباني بالعرائش " زوكلستي "(zugasti) ، الذي اتخذه الريسوني صديقا مع كونه مسيحي [6] ، والذي لعب دورا مهما في بلورة الأفكار ووجهات النظر ، وإعطاء صديقه

---

1)- علي الريسوني ، المصدر السابق ، ص ص،99 100.
2)- نفسه ، ص 102
3)- جرمان عياش ، أصول حرب الريف ، ص 262
4)- التهامي الوزاني ، المقاومة المسلحة والحركة الوطنية في شمال المغرب ، ص ص، 43 44.
5)- HERNANDEZ HERRERA ET GARSIA FIGUERAS , accido de España en marruecos , VOL : 01 , estudios y essayons, Madrid : 1990, P 249

6)- جرمان عياش ، المرجع السابق ، ص 263

الريسوني نظرة شاملة عن الأوضاع الأوربية ، وبفضله أصبح يفضل النفوذ الإسباني على الفرنسي [1].

حيث صرح عن موقفه من إسبانيا في تلك الفترة الفاصلة قبل الحماية ، والذي نقله عنه جرمان عياش في كتابه أصول حرب الريف ، بقوله: " لم تكن إسبانيا تمثل في نظري قوة عظمى ، لأجل هذا فضلتها في قرارة نفسي على غيرها من الدول ، وحيث لم تكن تتوفر على قوة عظيمة ، وحيث أن مصالحها كانت تتطابق مع مصالح المغرب ، فأنني لم أكن أراها مهيأة لسحقنا ، كنت أخالها كأخت كبيرة ستتولى تهذيب هذه البلاد ، ولو تطلب ذلك من المغرب أن يرد لها ذات يوم ماستغدقه عليه من نعم ، كأخ معترف بالجميل، مفعم بالمودة "[2] .

ويفهم من وجهة نظره هذه ،أن الشريف أحمد الريسوني ، كان يفضل التدخل الاسباني في شؤون المغرب ، بدلا من الدول الأوربية الأخرى خاصة فرنسا ، وذلك لاعتباراته السياسية ، وحساباته كرجل دولة ، كالضعف الذي تشهده الدولة الاسبانية مقارنة بنظرائها الأوربيين ، إضافة إلى رجاءه الفائدة التي تعود على المغرب من حتمية الحماية المرتقبة على المغرب من دولة صغيرة ، يمكن في أحلك الظروف مقاومتها ، إضافة إلى عامل المعرفة المسبقة للخصم ، الذي عاشره المغاربة لحد الآن، الأربع قرون كاملة .

ب- <u>خلافه مع الاسبان</u>:

لقد كانت وجهة نظر الشريف أحمد الريسوني ، من التواجد الاسباني على الأراضي المغربية ، في تلك الظروف ، حيث كان المغرب مقبل على عهد الاستعمار الحديث ، كان الشريف ، كما سبق يفضل الجانب الاسباني كوسيلة لصد الخطر الفرنسي ، وكان موافقا للعمل مع الجانب الاسباني ، لحفظ مصالح المغرب ، والقبائل التي كان يترأسها بعاصمته أصيلا ، حيث تجاور أهم المدن المغربية القريبة منها ، العرائش وطنجة والمدينة المحتلة ، مدينة سبتة[3] .

فمنذ عقد معاهدة الحماية في 30 مارس 1912 ، والاتفاقية الفرنسية الاسبانية في 27 نوفمبر 1912، التي تقاسم الطرفان بموجبها الأراضي المغربية ، بدت للقائد الريسوني ملامح السيطرة الاسبانية على نواحيه ، خاصة من القائد العسكري

1)-Garcia Figueras , " Mulay Ahmed ben sidi Mohamed Raisuni" , Revista hispano- Africana , oct – nov 1945 , P107

2) جرمان عياش ، المصدر السابق ، 264.

3) التهامي الوزاني ، المقاومة المسلحة ، المصدر السابق ، ص 55

الكلونيل (سلفستري) المرابط بجيوشه بنواحي العرائش والقصر الكبير ، الذي حاول حكم البلاد حكما مباشرا حيث دخل مدينة أصيلا ، معقل الريسوني يوم 17 أوت 1912، ليغادر بعدها الريسوني مدينته متوجها إلى مدينة طنجة، و هنا يبدأ الخلاف بين الشريف و الإسبان [1] .

ج- مقاومته:

بدأ الخلاف بين القائد سيلفيستري و الشريف الريسوني، في حكم البلاد و الطريقة التي بموجبها يتم له إخضاع القبائل الجبلية لتلك الناحية للإسبان، حيث كانت بين الرجلين مقابلة أبدى فيها الشريف الرغبة في تولي جنوده زمام الأمن و النظام بمنطقته[2] .

لقد ساهم أحمد الر يسوني فعلا في البداية في نزول الجيوش الإسبانية بمدينة القصر الكبير لإحراز التقدم على الجانب الفرنسي، كان ذلك بتاريخ 13 جوان 1911[3] .

ومكافأة له على هذا التعاون، قام سيلفيستري بتعيينه في منصب فخري، كنائب للسلطان في كل المنطقة التابعة للإسبان، إلا أنه سعى في نفس الوقت إلى تحطيم سلطته في المنطقة التي يحكم فيها الريسوني بتعيين مسئولين من خصومه،وبالتفاوض مباشرة مع القبائل الخاضعة له و بإفراغ سجونه بأصيلة كإهانة و ضربة قاسمة له، وبعد أقل من سنتين تفاقم التوتر بين الطرفين إلى حد أن الريسوني تخلى عن كل السهول التي دخلها العدو بفضله،ولجأ في مارس 1913 إلى قبيلته الأصلية،وهي قبيلة بني عروس في أعالي الجبال، بعد اشتداد الضغط على هذا الأخير[4]، و بها تتم القطيعة الرسمية مع الجانب الإسباني .

عانى بعدها كثيرا في استرجاع سلطته بين قبائل المنطقة، ذلك بسبب الحملة التي ثارت ضده و اتهامه بأنه مسيحي و عميل للإسبان، اضطر إلى مسايرة تلك القبائل والتي لا تزال روح المقاومة متأججة فيها، و ساعده في تثبيت موقفه في تلك الناحية التي ما زال الإسبان يحاولون التوسع داخلها لإكمال احتلال القسم المخصص

---

1)- التهامي الوزاني ، المقاومة المسلحة ، المصدر السابق ، ص 55

2)- جرمان عياش ، المصدر السابق ، ص 264

3)- Bérenger General , Campana en el RIF Y Yoba la (1921-1922) , (notas y documentos de midi ario de opéraciones , Madrid , 1973, p-p , 257…260.

4)- Hernandez H errera , OP CIT, P 249

لهم في الاتفاقية الفرنسية ـ الإسبانية .

لقد ساعده جهازه القمعي الذي أنشأه منذ فترة طويلة في تصفية أبرز معارضيه بأساليب المباغتة و الغدر التي يحسن ممارستها (1).

وجد الإسبان في المقابل صعوبة في التغلغل داخل القبائل الثائرة، بعد القطيعة مع الريسوني فلجئوا مرة أخرى إلى التفاوض معه، وبعد أكثر من سنة تم انتزاع الاتفاقية في ماي 1916، ليسهل المهمة للمقيم العام "خوردانة" الذي تمكن أخيرا بعد سقوط الفنيدق من ربط الاتصالات بين قطاعيه الغربيين، قطاع العرائش على المحيط الأطلنطي و قطاع سبتة على البحر المتوسط و كان له دور في إخضاع القبائل المشرفة على الطريق المارة بين هذين القطاعين خاصة منها قبيلة أنجرة الكبرى، بيد أنه لم يتسن له التوصل إلى هذه النتيجة إلا بالحديد و النار(2).

لقد اضطر الريسوني في بعض المعارك إلى التدخل مع جنوده مباشرة لصالح الطرف الاسباني، لتعود عليه صفة العمالة للإسبان مرة أخرى ، مع هذا كان معارضا لتقدم الإسبان داخل أراضيه ، واستمر السجال بين الطرفين إلى سنة 1917 ، حيث رأى خوردانة ، انه من الصعب التعامل مع الريسوني ، و أنه أصبح عائقا أمامهم لاستكمال عملية الاحتلال وبالتالي لا بد من التخلص من نفوذه هناك (3).

وفي غضون هذه الفترة أي بعد احتلال الإسبان مدينة تطوان يوم التاسع عشر فيفري 1913 ، حيث جعلوا منها عاصمة حمايتهم بالمغرب ، أسس المقاومون من المنطقة مدلشر تاكزارت العروسية ، الواقعة على بعد 15 كلم من تطوان ، بقيادة الشريف محمد ولد سيدي الحسن خلية للمقاومة ،ومع قدوم الريسوني إلى تازروت ، زاد من همة الجاهدين هناك ، بالدعوة إلى الجهاد ، وترأس الجماعة في دار ابن قريش ، التي أسسها الشريف محمد السابق الذكر بتاريخ 29 مارس 1913(4) .

وكان صدى هذه الثورة على الإسبان ، هو اضطراب حركة تنقل العسكر بين طنجة وتطوان إضافة إلى انهزام الجيش الاسباني وفشله في إخضاع مدشر اللوزيين

1)- Garcia Figueras , tomas , Del Marruccas feudal ,Studios y ensayos , Madrid :1970, p-p ,51-55.
2)- Ibid,p55.

3)- جرمان عياش ، المصدر السابق ، ص ص، 266- 267.
4)نفسه،ص267.

القريب من تطوان ب 9 كلم وصدوهم إلى أسوار عاصمتهم تطوان [1].

كانت هذه المعركة بقيادة أحمد الريسوني ، وهي المعركة الأولى بين الجانبين يوم 11 جوان 1913 ، إضافة إلى عدة معارك أخرى ، بالقرب من المعشر المذكور في 12و 15، 24 من نفس الشهر ، قال عنها وزير الدفاع الاسباني في رسالة موجهة إلى المقيم العام " ألفاو" بتاريخ 12 جوان 1913 ، ما يلي:

"...لا أجد ما أفسر به الخسائر التي تكبدناها في العمليات الحربية الأخيرة فـإذا كانت خسائرنا من أجل احتلال مركز يوجد على بعد 09 كيلومترات من تطوان ، تقدر بمئتي رجل ، فما هي التضحيات التي يجب أن نقدمها إلى فندق العين الجديدة" [2].

أضف إلى تلك المعارك ، معركة القصر الكبير يوم 7 جويلية 1913، والهجوم على المركز العسكري الاسباني بضواحي تطوان في اليوم الموالي ، ومعركة بوعودة بقبيلة الغربية ، التي واجه فيها القائد الريسوني ، الكرونيل سلفستري في يوم 15 جويلية من السنة نفسها فكانت هذه المعارك السبب الرئيسي لتقديم المقيم العام "الفاو" استقالته من منصبه يوم 11 أوت 1913، واستبداله بالجنرال "مارينا" في 15 نفس الشهر[3].

فتتواصل المعارك في السنة الموالية ، حيث تعترف التقارير الاسبانية لسنة 1914 بسقوط أكثر من ثلاثة ألف جندي اسباني [4].

وبعد الاتفاق بين الشريف الريسوني والمقيم العام الاسباني "خوردانة" في ماي 1916 ، الذي ساعد الإسبان في استكمال احتلال أراضي الجهة الغربية وساعد الشريف على الحفاظ على حقوق القبائل الثائرة وكرامتها ، ولكن السياسة الاسبانية كانت تعمل على ربح المزيد من الوقت ، من جهة لظروف الحرب العالمية الأولى، ومن جهة لإيجاد حل لكسر شوكة الريسوني في المنطقة ، وفعلا قام المقيم الجديد ، الذي خلف "خوردانة" في 25 أوت 1919 الجنرال "دامسو برينكيز" بقطع علاقاته مع الشريف ، حيث مر هاجس الحرب العظمى ، وبالتالي ليس هناك خوف من ثورة المغرب [5].

---

1) التهامي ألوزاني ، المصدر السابق ، ص ص، 36 69.

2) المصدر السابق ، ص 69.

3) المرجع السابق ، ص ص 69..72.

4) نفسه ، ص 73

5) نفسه ، ص ص 78 .81

ومنذ وصول الجنرال "برنكز"إلى المغرب ، لم يبد هذا الاخير أي اهتمام آخر ، سوى تنظيم سلسلة من العمليات العسكرية طوال سنة 1919، وهي عمليات دامية جدا إلى حد أنها أثارت قلق الرأي العام الاسباني ، إلا أنها مكنت من فك الحصار عن تطوان ، وضمنت بعد استعادة الفنيدق الذي استرجعه الريسوني ، وهو المركز الذي بواسطته يتم ربط المنطقة بين سبتة وتطوان من جهة وبين العرائش على المحيط الأطلسي من جهة أخرى [1].

أمام هذه الظروف الجديدة ، قرر الريسوني مغادرة دار ابن قريش في أوائل جانفي 1919، والعودة إلى مقر قيادته بتازروت ، مصمما على المقاومة والدفاع بجيش منظم ، وسلاح ممتاز ،ومال كاف وسط قبائل الجبل المحررة .

و موازاة مع هذا ، قرر المقيم العام الجنرال برنكز مراسلة الريسوني ، من اجل تنفيذ الحماية ، ومع رفض هذا الأخير ، قرر تحصين الأراضي الواقعة تحت يده كخطوة أولى ، ثم الزحف على المناطق المجاورة ، وكانت المقاومة على أشدها ، لمنع تقدم الإسبان وسط أعداد من القتلى من كلا الجانبين ، ونجح الشريف في خطته بقطع المواصلات من مركزه الاستراتيجي فندق العين الحمراء ، وإلى عزل مدينة تطوان عن مدينة سبتة [2].

ومع تحالف الإسبان مع بعض شيوخ القبائل ، وصلت الجيوش الاسبانية إلى مشارف تازروت في أفريل 1920، ثم احتلت دار ابن قريش في شهر جوان من نفس السنة وهما المركزان المهمان في مسيرة جهاد الريسوني [3]

وكان من المتوقع أن تسقط الجهة الغربية في يد الإسبان ، مع نهاية 1921 لولا وقوع معركة أنوال الشهيرة ، بنواحي مليلة في 22 جويلية من نفس السنة ، ومع دخول الإسبان مدينة تازروت في 12 ماي 1922 ، اعتصم الشريف الريسوني بجبل بوهاشم ، إضافة إلى قدوم جنود عبد الكريم الخطابي إلى تلك المنطقة ودخولهم تازروت في يناير 1925 وسط مقاومة رجال الريسوني ، حيث حمل هذا الأخير وهو مريض إلى قلعة أجدير بالريف بكل احترام ، حتى وافاه الأجل في 13 أفريل 1925 ، فدفن في تامسنت بناحية الريف المغربي [4].

1) جرمان عياش ، المصدر السابق ، ص 279
2) التهامي الوزاني ، تاريخ المغرب ، المصدر السابق ، ص 154
3) التهامي الوزاني ، المقاومة المسلحة ، المصدر السابق ، ص ص، 89 96.
4) نفسه ، ص –ص، 95 100.

أما الحديث عن سبتة وما جرى بها من الأحداث التي دارت حول مقاومة أحمد الريسوني ، ولماذا لم يركز هذا الأخير على تحريرها من الإسبان ، فالنتيجة المقروءة من سير الأحداث السابقة الذكر ، هو أن المدينة كالعادة كانت محصنة من ناحية البحر، والأحداث التي كانت تجري حولها لم تكن تبعد عنها بأكثر من أربعين كيلومتر، وهي المسافة الفاصلة بين المدينة وتطوان ، ونصيبها من الأحداث يتمثل في كونها لم تعد القضية الأهم في هذه الفترة ، لكون القضية أصبحت مقاومة الاحتلال لبلد كامل ، أضف إلى ذلك المعارك الواقعة حولها ، ومن كان ضمن مقاومتها وسكان المنطقة الأصليين ، قبائل جبالة ، إضافة إلى محاولة الريسوني عزل المدينة عن تطوان لإضعاف العدو ، حيث نجح في ذلك عدة مرات [1].

كما فقدت مدينة سبتة المركز الحيوي للإسبان ، الذي كانت منه تتم قيادة العمليات، ذلك بعد احتلالهم مدينة تطوان في سنة 1913 ، واتخاذها عاصمة المنطقة الغربية ، لكنها بقيت تحافظ على إشراقتها البحرية المعتادة[2] .

- وهنا نتجه في نفس الاتجاه الذي أجمع عليه أغلب الباحثين في هذا المجال،وهو الاهتمام الإسباني الكبير بالجانب الجغرافي للمنطقة، دون النظر إلى الجوانب الأخرى المتعلقة بالمغرب الأقصى وعلاقاته مع جنوب غرب أوربا.

1)- التهامي الوزاني ، **المقاومة المسلحة** ، المصدر السابق ، ص ص،100- 101.
2)- نفسه،ص،101.

4 النزاع الفرنسي الاسباني حول سبتة ومليلة

كانت لدى الجانب الفرنسي منذ البداية نزعة أحادية في ضم شمال المغرب إلى جانبها ، ظهر جليا في الاتفاقيات السابقة لتقسيم المغرب ، إذ أدوا ما عليهم إلا تحت الضغط الانجليزي لصالح الإسبان .

ومنذ البداية منع الجانب الفرنسي ممثلا بزعيمه الضابط ليوطي ، كل تعاون مع الإسبان ، هذا ما حرص على تأكيده بصفة قطعية في زيارته إلى مدريد وأمام الملك نفسه ، حيث خص الجانب العسكري ، باستثناء الجوانب الأخرى (1) .

ومن هذه المنازعات القائمة بين الطرفين الفرنسي والاسباني ، ما يهم محافظة طنجة الدولية ، فقد أراد الجانب الفرنسي أخذ طنجة وجعلها قاعدة بحرية ، خاصة في الفترة المصادفة لأربع سنوات من الحرب العالمية الأولى ، وأخذ على الإسبان حجة تحويل منطقتهم إلى قاعدة ألمانية ضد فرنسا (2) .

وبعد نهاية الحرب العالمية الأولى ، تضاعفت المطالب ضد الإسبان للتنازل على منطقة حمايتها لفرنسا ، بما في ذلك مدينتي سبتة ومليلة ، وهذا ما ورد في مقال للدورية الناطقة باسم العسكريين الاستعماريين التي عبرت بلهجة متكلفة في اتجاه تخلي اسبانيا عن كامل منطقتها ، وما جاء في تصريحها : "... ينبغي السعي بحزم وإصرار إلى إيجاد هذا الحل لأنه هو القادر وحده على إعادة الانسجام بين الدولتين العظيمتين ، ذلك الانسجام هو غايتنا المنشودة..."(3) .

وفي طنجة بدأت الأصوات ترتفع منذ الأيام الأولى من عام 1919 ، حيث ضاعفت الجالية الفرنسية بالمدينة مطالبها في عريضة وجهتها إلى "كلمنصو" (Clemenceau) ، منادية فيها بضم المدينة والساحل الذي يفصلها في الجنوب إلى غاية الأقاليم التي تشرف عليها فرنسا (4)، في الحقيقة كانت هذه المطالب مجرد مبادرة صادرة من خواص ، من دون أن يكون لها أية صبغة رسمية .

1)- Pierre Lyautey , Lyautey L'africain , VOL : 01, Edition Franciscaine , Paris :1953, P 284

2) جرمان عياش ، المصدر السابق ، ص 271.

3) نقلا عن جرمان عياش،المصدر السابق،ص271.

4) نفس المصدر،ص272.

إلا أن الأمر اختلف عن ذلك شيئا ما عندما قام"بولسوناس"(Boissonas) بنفسه ، وبصفته قنصلا لفرنسا بالمدينة ، باطلاع زميله الانجليزي على العريضة المذكورة مضيفا بأن: " ما يلزم التخلي عنه لفرنسا هو كل المنطقة الاسبانية بما فيها سبتة ومليلة ، وذلك من أجل تأمين دفاعها الذاتي ، وتيسير المهمة التي تضطلع بها من الأطلنطي إلى طرابلس وبهذا أصبح القنصلان وسيطين بين ليوطي والخارجية البريطانية [1].

لقد استقبلت الفكرة ببرودة في لندن ، حيث كانا المسؤولين حريصين دائما على عدم السماح لفرنسا – القوة البحرية – بالتمركز بالساحل المواجه لجبل طارق ، وبهذا تفادى الطرف الاسباني خطر فقدان نفوذه في المغرب متعذرا باتفاقية التقسيم التي خصصت عن قصد عام 1904 ، كل شمال المغرب لإسبانيا لجعلها حائلا بين الفرنسيين والبحر ، وبالمقابل قام الطرف البريطاني المساند للإسبان بتنبيهها بضرورة فرض حمايتها الكاملة على المنطقة المخولة لها وعدم السماح للثائرين هناك بفتح جبهة تزعج الطرف الفرنسي [2].

في الوقت نفسه بدأت إشاعة جديدة أكثر خطورة ، تروج بين قبائل الشمال ، مفادها أن اسبانيا تأكدت أخيرا من فشلها ، وباتت على كامل الاستعداد لتفويض منطقتها لفرنسا كما أن الادعاء نفسه تردد أيضا في الصحف الفرنسية ، أضف إلى ذلك أن الكثيرين من المعارضين داخل اسبانيا نفسها طالبوا بالفعل بالتخلي عن المغرب ، وإن اقتضى الأمر التفاوض مع فرنسا ، المستفيدة المحتملة [3].

أفضت كل هذه الابتزازات الفرنسية والانجليزية إلى يقظة الجانب الاسباني في الأخير ، لتوخي الحذر ، وتقوية نفوذهم في منطقتهم ، وإلى التحرك الدبلوماسي قبل انعقاد مؤتمر الصلح ، الذي افتتحته فرنسا المنتصرة في الحرب العالمية الأولى ، ففي 21 جانفي 1919 ، أعلن "رومانونس"(Romanones) ، أمام الكورتس عن ضرورة الحفاظ على مكتسبات بلادهم [4].

---

1) جيرمان عياش،المصدر السابق ، ص 272
2) نفسه ، ص273
3) نفسه ،ص 274.
4) نفسه،ص275.

لم تستقر الأمور لاسبانيا في منطقة حمايتها ، خاصة في غضون عام 1919 ، حيث صرح الجنرال "ايثبورو"، في القيادة العليا بمليلة ، في يناير 1919، في أحد تقاريره ، بعدم تفاؤله على الإطلاق من وضعية المنطقة ، حيث يؤكد: " بأنه عاين منذ أربع سنوات من مزاولة مهنته ، تدهور النفوذ الاسباني فالصداقات التي عقدها الإسبان مع قبائل الريف اعتراها الفتور تدريجيا ، كما سجل كثيرا من الارتدادات ، وتفكك الأحزاب الموالية للإسبان التي كلف تشكيلها نفقات باهظة ،و أن الرأي السائد بين القبائل في المنطقة غير المحتلة يتلخص في الرفض التام للاحتلال الاسباني" [1] .

زادت الدعاية الفرنسية وسط قبائل الريف ، حدة النزاع بين الطرفين ، حيث صرح "ايثبورو" في 2جوان من السنة المذكورة بأن الهيجان على جانب كبير من الخطورة و بعد ثلاثة أسابيع لاحظ أن الفوران يجعل العمل السياسي عديم الجدوى ، وأنه لا سبيل إلى قمع هيجان يمثل هذا العداء و الخطورة إلا عن طريق سحقه بالوسائط العسكرية التي تعوزهم الآن [2].

وبالفعل قامت اسبانيا في السنوات اللاحقة بالزحف على قبائل الريف ، وبسط نفوذها والقضاء على ثورات الريسوني ، والقاضي عبد الكريم .

1) جيرمان عياش، المصدر السابق ، ص 276
2) نفسه ، ص 276

5ـ مرحلة النضال السياسي:

لقد كانت الوطنية في المنطقة وليدة الاستياء من السيطرة الأجنبية ، وأذكى نارها الصحافة العربية بالمشرق ، التي كانت تتطرق إلى أعمال المجاهدين المغاربة ، وفي نفس الوقت كانت تنشر عن الحركة الوطنية بالعالم العربي ، وعلى الخصوص في مصر ، وكان سعد زغلول المثل للجهاد عن طريق الخطب والكتابة ، كما كان محمد بن عبد الكريم الخطابي ، المثل في الدفاع بوسيلة السلاح ونجحت الصحافة الشرقية آنذاك في تنبيه الشباب المغربي في سير حركته الوطنية[1] .

ثم جاء عهد البعثات العلمية ، فكان أبرزها تلك التي توجهت إلى مصر وأخذ الطلبة المغاربة يكتبون في الصحف هناك عن قضيتهم ، والقضية البربرية خاصة ، وكانت أولى البعثات تلك التي أرسلها الحاج عبد السلام بنونة إلى مصر بتاريخ أكتوبر 1928 ، حيث ظهر قلم مغربي لفت الانتباه هو قلم الطالب عبد الخالق الطرّيس ، وأصبحت مقالاته في أهم الصحف العربية ، كما كانت هناك بعثات طلابية أخرى إلى فلسطين [2] .

ظهرت الحركة الوطنية المنظمة بالمغرب أولا بتطوان ، حيث كان الحاج عبد السلام بنونة يجتمع مع داود وطنانة ، الكتاب التهامي الوزاني وماغوز ، ليتدارسوا أهم الأحداث في الداخل والخارج ، وهذا ماذكره الوزاني قائلا:" كان الإخوان بالمشرق يبعثون زيادة عن الصحف الكاملة بقصاصات الصحف فكان بنونة يعطينا أياما لنقرأها بالمناوبة". [3]

انتهت هذه المرحلة بورود السيد محمد بن محمد بوهلال من المشرق حاملا معه رسالة الإخوان هناك بالقاهرة ، يخبرهم بتأسيس جمعية برئاسة الطريس للدفاع عن قضية المغرب ، وظلت هذه الجماعة تعمل في فترة صعبة جدا كان فيها "خوردانة" المقيم العام لا يستحيي أن يقف خطيبا فيقول: " إذا كان أسلافنا يلقون المورو المغاربة استهزاءا بهم في البحر ، فإننا سوف لا نكلف أنفسنا تعب إلقائهم فيه ، وإنما نعاملهم معاملة تحملهم على أن يلقوا هم أنفسهم في البحر من تلقاء أنفسهم" [4] .

---

1) التهامي الوزاني ، المصدر السابق ، ص 106
2) نفسه،ص107.
3) نفسه ، ص 108
4) نفسه ، ص ص، 108 -109.

ومن مظاهر نشاط الحركة الوطنية بالمغرب الأقصى ، هو الدور الذي لعبه شكيب أرسلان ، في الدفاع عن قضية المغرب فقد ساعد الأمير الخطابي بعد نجاح الدعم الفرنسي لإسبانيا قصد القضاء على ثورته ، حيث وجه أرسلان رسالة إلى عصبة الأمم في جوان 1925 ، كتب فيها قائلا : " إن كانت هذه الجمعية الموصدة لحقن الدماء في العالم لا تتدخل في حقن الدماء ، التي تسيل نهرا في الريف ، فما محلها من الإعراب ؟ فلتجرب الجمعية على الأقل السعي في الصلح بين فرنسا وإسبانيا وبين عبد الكريم ، لعل هذا السعي يثمر ، أما عدم التجربة من الأصل فعلامة سيئة " ، وفي العام نفسه في 14 أكتوبر أرسل برقية إلى رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ورئيس لجنة الشؤون الخارجية بمجلس الشيوخ يطلب منه التدخل لوضع حد للدماء السائلة في المغرب [(1)].

غادر أرسلان لوزان في 15 جوان 1930، والتقى مع قادة الحركة الوطنية المغربية أحمد بالفريج ومحمد الفاسي في باريس ، ثم سافر إلى طنجة ومنها إلى تطوان ونزل عند صديقه الحاج عبد السلام بنونة ، أحد أشراف المدينة ، حيث قدم هناك محاضرات عن حضارة الأندلس ، والوطنية وكيفية استغلالها بالطرق السلمية ، كما كانت لأرسلان مراسلات مع علال الفاسي ، واحتج ضد نفيه إلى لبريفيل عاصمة الغابون عام 1937 [(2)].

لقد كان الطريس أقدر واحد على الاستفادة من حرية القول والاحتجاج ، حيث أصدر أول جريدة وطنية بتطوان في الفاتح مارس 1934 ، وهي جريدة الحياة ، كما أنشأ أول جمعية نقابية ، وأول من ناضر ، ووقف أمام الملأ من الناس يندد بأعمال الاستعمار في وقت كان فيه العسكريون الإسبان يصدرون قوانينهم الصارمة ، حيث كان الطريس وبنونة يرتحلان إلى مدريد كلما اشتد الوضع بالمغرب ، لمطالب المسؤولين هناك ، لتخفيف الضغط عن إخوانهم [(3)].

أما التساؤل عن مدى الدفاع عن قضية سبتة ومليلة بوجه خاص ، فقد كانت قضية المغاربة وقتئذ تندرج أولا في تحرير المغرب كله من الاستعماريين الفرنسي والاسباني ، وإن كانت قضية سبتة ومليلة تدخل في ذلك القصد كله .

لقد عاينت المدينتين سقوط الجمهورية الاسبانية ، فكانت مدينة مليلة مهد الحركة العسكرية ، حيث بدأت هذه الحركة العسكرية بمدينة مليلة ثم انضم إليها الجيش

---

1) احمد الشرياصي ، شكيب ارسلان داعية العروبة والإسلام ، دار المغرب الإسلامي ، بيروت : 1978 ، ص –ص، 108- 107
2) علال الفاسي ،" شكيب ارسلان بين القومية العربية والجامعة الإسلامية"،مجلة دعوة الحق : العدد : 01 أكتوبر 1959 ، ص 19
3) التهامي ألوزاني ، المصدر السابق ، ص –ص، 115- 114.

الاسباني المرابط بتطوان، ومعسكر الريفيين بالغرب من مدينة سبتة يوم 17 جويلية 1936 [1].

ومن نتائج هذه الحركة العسكرية ، أن منحت مزيدا من الحرية للمغاربة ، في إنشاء الصحف الوطنية ، والتعبير عن مطالبهم المشروعة ، وذلك بأوامر من الكلونيل " بيبدير" في اتصال له بالأستاذ الطريس وباقي الوطنيين [2].

ولعل ما ميز هذه الحرية هو ظهور جريدة الريف في المنطقة الخليفية ،التي كانت تطالب بالوحدة المغربية والحرية، هذا التساهل في تأسيس الجمعيات والأحزاب كان وراء تكوين حزب الإصلاح الوطني،وحركة الوحدة المغربية،وحزب الأحرار، كما شهدت هذه الفترة ضم الإسبان مدينة طنجة يوم 14 جوان 1940، وهو نفس اليوم الذي سقطت فيه باريس في يد ألمانيا [3] .

وجاءت سنة 1944 ، ليتقدم حزب الاستقلال بمطلبه في تحرير البلاد وتنظيم البلاد على أساس شوري ديمقراطي [4] .

---

1) التهامي ألوزاني ، المصدر السابق ، ص 141.
2) نفسه ، ص 142
3) نفسه ، ص ص، 149، 150.
4) **أبو بكر القادري ، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية** ، ج : 03 ،ق: 02،ط : 01 ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء : 2003 ، ص 33

6 وضعية المغاربة داخل سبتة ومليلة خلال الحكم الفرنكاوي :

شرعت إسبانيا في تطبيق سياسة الميز العنصري في مدينتي سبتة ومليلة ، عبر فترات زمنية متلاحقة ، فبعد نهاية الحرب العالمية الثانية ، واستقلال بعض مناطق المغرب عن اسبانيا ، دخلت سياسة الميز العنصري حيز التنفيذ في المدينتين ، وأصبح نظام الجنرال "فرانكو"، ينظر إلى المسلمين المغاربة كأهالي محليين (Indigènes) ، غير متحضرين يجب فصلهم ، ومنعهم من الاختلاط بالجالية الأوربية المتحضرة[1] .

هذه السياسة أدت إلى تجميع المغاربة المسلمين في معازل خاصة (indigenes Réserva) وبذلك تأسست معازل تضم المسلمين المغاربة ، تنعدم فيها المرافق الدنيا الأساسية للحياة الإنسانية ،فمثلا في مليلة كانت توجد عدة معازل مثل كانيادا لا مويرتي(caniada de la muerte)، ومونتيي ماريا كريستينا(Monte maria Cristina) ، أما في سبتة فالمعزل النموذجي الذي يمثل غيتو حقيقيا هو بارِيادا برينسيبي(Barriada principal) [2].

كما حاول الاستعمار الاسباني التقليل من عدد سكان المدينتين ، وذلك بصد الباب أمام الوافدين الجدد ، حيث بلغ عدد سكان مدينة سبتة حوالي 72000 نسمة ، منهم 28 ألف من المغاربة ، بينهم 1000 مغربي أخذ الجنسية الإسبانية ، كما يوجد من بين عدد السكان 2500 من اليهود الإسبانيين ، و500 من اليهود الأجانب وأكثر من ألف هندي ، بالإضافة إلى عدد كبير من الجنود الإسبان ، الذي يقارب عددهم مجموع سكان المدنيين [3].

وفي مدينة مليلة بلغ عدد السكان هناك سنة 1980 حوالي 58 ألف نسمة إضافة إلى عشرات آلاف من الجنود و الضباط ، ونفس الظروف عاشها السكان مقارنة بسبتة ، من تضييق على الوافدين إليها ،وطرد المغاربة المقيمين بها من جهة ثانية وتشديد الخناق على الباقين بها,أما عن الحالة العمرانية بالمدينتين ، ففي مدينة سبتة ، بها عدة مساجد ، موزعة على الأحياء الشعبية ، منها من تشرف عليها وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية ، وهناك مساجد وزوايا أخرى ، يشرف عليها الخواص[4] .

---

1) بوغالب العطار ، سبتة ومليلة ، مغاربة تحت الاحتلال ،ط : 01 ، مطبعة دار النشر المغربية ، الرباط : 1996، ص 03
2) نفسه، ص04.
3) محمد المعزوزي ، المرجع السابق ، ص 38
4) نفسه ، ص 124

المساجد التابعة للأوقاف :

1- مسجد مولاي المهدي ، تقام به صلاة الجمعة وبجواره كتاب قرآني .
2- مسجد سيدي مبارك ، تقام فيه صلاة الجمعة كذلك .
3- مسجد يحيى البرينسبي.
4 - مسجد العوينة ، بالإضافة إلى مساجد أخرى ، مثل مسجد ريسيطو ، ومسجد التهامي ، وضريح الشريف مولاي إبراهيم بنعجيبة الموجود بواد الخلوط ، إلا أنها عبارة عن زوايا تابعة للطرق الصوفية الموجودة في المغرب ، مثل الطريقة التجانية والعلوية ، والقادرية والعيساوية ، والحراقية والدرقاوية ، ويقوم المجلس العلمي لمدينة تطوان ، بتعيين الوعاظ [1].

وفي مليلة ، توجد ثلاث مساجد :

1- مسجد الباشا ، تابع لوزارة الأوقاف
2- مسجد كمايو : الذي بني من طرف السكان سنة 1973
3- مسجد البلدية [2]

وقد اهتمت اسبانيا بالبنية التحتية في منطقة حمايتها ، بالتعاون مع الطرف الفرنسي، حسب الاتفاقيات المبرمة في 24 جويلية 1920، و23 جويلية 1935 ، بتعبيد الطرق الريفية ، إضافة إلى مد الجسور ، حيث تم تعبيد طرق المواصلات بين شرق وغرب المغرب ، وكذلك الجزائر بمسافة 7055 كلم [3].

1) محمد المعزوزي، المرجع السابق، ص 41
2) نفسه ، ص 125
3)-j, GOULVEN, Préface de général Nagés, La France au Maroc Vingt- cinq ans de Protectorat (1912.1937). publications de comitè de L ʹAfrique Française : Paris , 1937 , P 69.

الفصل الرابع

طبيعة العلاقات المغربية الإسبانية بعد الاستقلال

الفصل الرابع: طبيعة العلاقات المغربية الإسبانية بعد الاستقلال

المبحث الأول: موقف المغرب الأقصى من استرجاع حقوقه بعد الاستقلال

1- مطالبة المغرب بأجزائه المغتصبة لدى الأمم المتحدة

2- موقف بعض الدول والمنظمات من المطالب المغربية

3- موقف الصحافة العربية والدولية

المبحث الثاني: وضعية المدينتين في الوقت الراهن

1- الحكم الذاتي وموقف المغرب منه

2- وضعية المدينتين بالسوق الأوربية المشتركة

3- مشروع ربط القار بين المغرب وإسبانيا

المبحث الثالث : بقية الأقاليم المستعمرة من طرف الإسبان

1- جزر ملوية

2- جزيرة النكور

3- جزيرة باس

4- جزيرة البوران

5- جزيرة المعدنوس أو التورة أو ليلى

6- النزاع الإسباني الإنجليزي حول جبل طارق

بعد دراسة قضية سبتة ومليلة ، عبر تاريخها الحديث الذي بدأ عام 1415، وتاريخها المعاصر ، الذي بدأ سنة 1860، مع مقدمة الدراسة ، الذي تناولت تاريخ المدينتين القديم والإسلامي ، حتى مرحلة الاحتلال البرتغالي والإسباني، وسأتناول في هذا الفصل الأخير ، بطرح إشكالية الملفات الخطيرة المتعلقة بتلك القضية ، المستقبل العام للاحتلال الإسباني للمدينتين ، وما مدى حرص المغرب على استرجاع السلطة عليهما بعد أخذ استقلاله عام 1956، مع العلم أن تلك المدينتين مازالت حتى الوقت الحالي تحت السيطرة الإسبانية .

المبحث الأول: موقف المغرب الأقصى من استرجاع حقوقه بعد الاستقلال

بعد استقلال المغرب الأقصى استقلاله عام 1956 ، وضع نصب عينيه مشكلا كبيرا وهو المطالبة باسترجاع سيادته مع أجزائه المغتصبة دفعة واحدة ، ليحصل على مساحة كبيرة من الحرية في الدفاع عن الأجزاء الباقية تحت الاحتلال الإسباني ، كقضية سبتة ومليلة ، فما مدى السعي الذي بذله لاسترجاع تلك الأجزاء المستعمرة ، وما هي السبل التي بذلها في سبيل ذلك بعد بناء دولته الحديثة ؟

1- مطالبة المغرب بأجزائه المغتصبة لدى الأمم المتحدة:

لم ينقطع المغرب عن المطالبة باستقلاله التام ، وتوحيد أراضيه المغتصبة من طرف الإسبان، في كل مناسبة في عهد الحماية أو بعد الاستقلال ،سواء على أعلى مستوى ، أو عن طريق الهيئات الوطنية والسياسية والثقافية والنقابية فقد طالب الملك محمد الخامس سنة 1947، بمدينة طنجة ، بتوحيد واسترجاع المناطق المحتلة ، وأقام ثورة عن الوضع القائم آنذاك ، وكرر نداءه ذلك في مناسبات عديدة . هذا الحق أكده مؤتمر باندونغ المنعقد في أفريل 1955، في استقلاله ووحدة ترابه داخل حدوده الوطنية . أما مجموعة المغرب العربي ، التي عقدت اجتماعها بطنجة ، في شهر مارس 1958، وكل المؤتمرات الافرو أسيوية ، كانت تؤيد دائما حق المغرب ومطالبه ، خاصة مؤتمر القاهرة ، المنعقد في شهر ديسمبر 1958. أول طلب رسمي قدمه المغرب لاسترجاع ما كانت تسميه اسبانيا بأراضي السيادة ، يرجع تاريخه إلى سنة 1960، حيث قام ممثل المغرب بهيئة الأمم المتحدة وطلب من المنظمة الدولية الإعتراف بحقوقه المشروعة ، حول مدينتي سبتة ومليلة والجزر التابعة لهما [1] كما صرح الملك المغربي الحسن الثاني في مؤتمر دول عدم الإنحياز المنعقد في بلغراد في شهر سبتمبر 1961،(... إن الاستعمار الإسباني مازال يحتل أقاليم كاملة بجنوب أرضنا ... وأراضي وقواعد بالشمال بسبتة ومليلة ...) [2]

1- محمد المعزوزي ، المرجع السابق ، ص ص،207- 212.

2- نفسه ، ص 212

وعلى إثر المواقف الدبلوماسية للمغرب ، قامت الدوائر الإسبانية بعدة إجراءات تعسفية ، ضد المغاربة المقيمين بالمدينتين ، الشيء الذي دفع الحكومة المغربية بإصدار بلاغ يوم 29 جوان 1962، تؤكد فيه عزمها القوي لاستعادة سبتة ومليلة ، للسيادة الوطنية . [1].

وزاد التوتر بين الدولتين ، بعد قيام المغرب بتمديد مياهه الإقليمية ، من 6 أميال إلى 12ميل في 30 جوان 1962، لحماية ثروته السمكية ، من نهب الأسطول البحري الإسباني ، انزعجت اسبانيا لهذا الإجراء وأرسلت بوارجها البحرية لاستفزاز المغرب،محتجة بأنها تحرس بواخر صيدها ، وكثرت تصريحات المسؤولين الإسبان حول المغرب، ولتهدئة الوضع القائم ، قام وزير الخارجية المغربي يوم 14سبتمبر 1962، بزيارة مدريد واستقبل من طرف نائب رئيس الدولة ووزير الخارجية ، كما استقبل من طرف الجنرال فرانكو نفسه يوم 25 أكتوبر 1962 ، لترتيب لقاء بينه وبين الملك الحسن الثاني ، وتم اللقاء يوم 6 جويلية 1963 ، بمطار مدريد براخاس ، وصدر بلاغ عن إثر ذلك اللقاء مجمله، " إن رئيسا الدولتين اتفقا على دراسة جميع المشاكل ذات الإهتمام المشترك ، بغية الوصول إلى حلول تكون قاعدة للاتفاقيات مستقبلية " [2]

كما أكد حزب الاستقلال في مؤتمره العام المنعقد في شهر نوفمبر 1967، على ضرورة تحرير جميع الأراضي المغربية بما فيها مدينتي سبتة ومليلة ، وصادف أن قامت اسبانيا ، وفي السنة نفسها ، بحملة قوية لاسترجاع جبل طارق في المنتديات الدولية ، وعلى رأسها هيأة الأمم المتحدة ، وأيدها المغرب في مطلبها هذا ، دون أن يقارن ، بين هذا المطلب وبين احتلال المدينتين من طرفها ، حفاظا على حسن العلاقات القائمة بينهما ، غير أن دولا أخرى افريقية وغيرها لم يفتها أن قارنت أمام الجمعية العامة وأمام لجنة 24، بين أحقية اسبانيا في استرجاع جبل طارق وبين أحقية المغرب في استرجاع المدينتين وأصبحت المقارنة بين الوضعيتين تفرض نفسها بالضرورة ، وبهذا أضاع المغرب فرصة المساومة أمام هيأة دولية مهمة قصد استرجاع حقوقه[3] .

وبهذا وجدت الدبلوماسية المغربية ، بين رفع رسمية قضية المدينتين إلى هيئة الأمم المتحدة ، حتى لا يؤثر الأمر على المفاوضات الجارية ، بشأن قضايا أخرى معلقة .

---

1) محمد معزوزي ،المرجع السابق ، ص 212

2) نفسه ، ص 212

3) نفسه ، ص 213.

استطاع أن يبقي مشكل سبتة ومليلة مطروحا ، وباستمرار أمام المحافل الدولية ، وفي الأوساط الدبلوماسية .

وتجدر الإشارة إلى أنه سبق لوزير الخارجية المغربي ، أن رفض أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورتها 29 بتاريخ 30سبتمبر 1974 سياسة الأمر الواقع باحتلال اسبانيا لمدينتي سبتة ومليلة ،غير أن موقف اسبانيا المتعنت والرافض لإعطاء أي حل منصف للقضايا المعلقة ، دفع المغرب بأن يسلم مذكرة للجنة 24 بتاريخ الفاتح فيفري 1975، تتعلق بوضعية أراضي السيادة . فلما تيقن المغرب أنه لا مفر له من اللجوء إلى المجتمع الدولي ، رفع إلى هيأة الأمم المتحدة شكواه بإسبانيا ، بتاريخ 19 محرم 1395هـ الموافق لـ: 1فيفري 1975 ، مطالبا إياها بالتخلي عن أجزائه المحتلة ، وعلى إثر هذه المذكرة ، اضطرت اسبانيا بأن تجيب عنها الحقائق ، الأمر الذي دفع المغرب بأن يوزع من جديد مذكرة إضافية على المحفل الدولي بتاريخ 7 مارس 1975 ، ليزيد مطلبه توضيحا وحقوقه شرعية وتعزيزا [1].

ووسط هذا الجو المشحون ، أرسلت اسبانيا من جديد بارجتين حربيتين ، وباخرتين عسكريتين محملة بالجنود إلى المدينتين بتاريخ 8 فيفري 1975، بالإضافة إلى غواصات ومصفحات وهليكوبترات . واستنكر الرأي العام المغربي ، بواسطة صحفه وهيأته المختلفة هذه الأعمال الترهيبية وقد تأزم الوضع بالمدينتين ، ووقعت مظاهرات وانفجارات خلفت قتيلا وجريحين بمدينة سبتة ، وقامت سلطات هذه المدينة باستنطاق أربعمائة مغربي ، وتم طرد عشرات العائلات إلى تطوان بتاريخ 9 أوت 1975 ، وقد أرسل هؤلاء المطرودين رسالة ولاء وإخلاص إلى الملك المغربي في بداية سبتمبر من نفس السنة ، يؤكدون له تجنيدهم من أجل تحرير المناطق المحتلة [2] .

وقد احتج المغرب لدى حكومة مدريد على هذا الطرد الجماعي ، كما قام ممثل المغرب الدائم لدى الأمم المتحدة ، بتسليم مذكرة يوم 30 جوان 1975 ، إلى الكاتب العام يدين فيها انتهاك حقوق الإنسان من طرف السلطات الإسبانية بمدينة سبتة المغربية. [3]

---

1) محمد المعزوزي،المرجع السابق ، ص –ص، 213 214.
2) نفسه ، ص 217
3) نفسه ، ص 217

واستمرت المساعي الدبلوماسية المغربية ، في هذا المسعى ، ففي الجلسة الثلاثين لمنظمة الأمم المتحدة المنعقد في خريف 1975 ،طلب ممثل المغرب من المجتمع الدولي فتح مفاوضات مباشرة ، بين مدريد والرباط حول المدينتين ، مضيفا بأن اسبانيا لا يمكن أن ترفض هذا الحوار سيما وأنها تطلب نهج نفس الطريق لإيجاد حل لمشكل جبل طارق مع الإنجليز[1] .

كما أجرت مجلة الحوادث مع وزير الخارجية المغربي ، استجوابا في شهر سبتمبر 1981 ، أكد حق إسبانيا في استرجاع جبل طارق مثلما للمغرب حقه في استرجاع سبتة ومليلة ، وأن الجميع مسؤولية يجب أن نتحملها فيما يخص مضيق جبل طارق ، وصرح الملك المغربي ، الحسن الثاني في ندوة صحفية عقدت يوم 2 جوان 1981، حيث قال: " المغرب لا يريد أن يعيش على الدوام حالة مطبوعة بعدم الاستقرار وعليه أن يقول بشكل قاطع أن ...... سبتة ومليلة سأستعيدها لأنه من الضروري أن ترجعا لي ، وينهي الكلام في هذه المسائل" [2] .

ويفهم من خطاب الملك الأخير هو الصبر الدائم على حقوقه ، وعدم الاعتراف للإسبان بالسيادة على مناطقه المحتلة ، رغم تضايقه من حالة عدم الإستقرار ، التي تولد مشاكل دائمة للمغرب .

---

1) محمد المعزوزي، المرجع السابق، ص –ص، 218-219.
2) نفسه ، ص 220-221

2- **مواقف بعض الدول والمنظمات من المطالب المغربية:**

نستعرض في بضع هاته السطور، مواقف بعض الدول المنظمات والهيئات السياسية الأجنبية من مطالب المغرب ، فقد عرفت القضية المغربية في هذا الإطار دعما على الصعيد الإفريقي ، وتم تأكيد هذا الدعم على الصعيد المغربي إثر اجتماع وزراء الإعلام العرب ، وفي القاهرة ، أعلن السيد محمود رياض ، الأمين العام للجامعة العربية ، أن وزراء الإعلام العرب ، قد بحثوا في اجتماعهم بالقاهرة ضرورة دعم المغرب من أجل تحرير سبتة ومليلة والجزر الجعفرية(1).

وفي أديس أبابا ساند مجلس وزراء منظمة الوحدة الإفريقية ، في دورته الرابعة والعشرين ، حق المغرب في استرجاع مدينتي سبتة ومليلة والجزر المجاورة كما صادق المجلس على قرار يطالب إسبانيا بإرجاع هذه الأراضي إلى المغرب، وخلال زيارة رئيس الجمهورية التونسية الحبيب بورقيبة للمغرب في 27 جوان 1974، صدر بلاغ مغربي – تونسي مما جاء فيه : " وحين استعراض الجانبان للوضع الراهن في الأراضي المغربية ، التي ما تزال تحت الاستعمار الإسباني ، أكد فخامة الرئيس الحبيب بورقيبة مساندة الجمهورية التونسية ، وتأييدها لجهود المغرب الرامية إلى تحرير تلك الأراضي " (2).

كما عبر صاحب السمو رئيس دولة الإمارات الشيخ زايد بن سلطان آل هيان عند زيارته المغرب يوم 10 أوت 1974، عن تأييده الكامل للمغرب ، ووقوفه بجانبه في نضاله المشروع ،من أجل استرجاع أراضيه واستكمال وحدته الترابية، وساند المؤتمر السادس لمنظمة التضامن الإفريقي الأسيوي ، حق الشعوب في تقرير مصيرها، ودعم مطالب المغرب المشروعة بخصوص استرجاع المدينتين إلى السيادة المغربية ، وضمن هذا التضامن الدولي ، صرح السيد " باولو فيكتور يل"أحد زعماء الحزب الاشتراكي الإيطالي لوكالة المغرب العربي للأنباء ، بأن مطالبة المغرب باسترجاع مدنه المستعمرة أمر معقول ويقوم على أساس منطقي وصحيح، لذا فمن الضروري أن تتراجع إسبانيا عن مواقفها العدوانية في وحدة التراب المغربي (3) .

وصرح مندوب ليبيا أمام ندوة السلام والأمن في البحر الأبيض المتوسط ، بأن بلاده لن تتخلف من تقديم الدعم لتحرير سبتة ومليلة ، وأن ليبيا تقف ضد كل احتلال للأراضي العربية من طرف الأجانب ، واعتبر أن سبتة ومليلة جزء من ترابه ،

---

1) المعزوزي،المرجع السابق، ص 232.
2) نفسه ، ص 232.
3) المرجع السابق، ص –ص، 233.

وأضاف بأن ليبيا ستعتبر ذلك كواجب وطني ، إذ أن قضية التحرير تهم الأمة العربية جمعاء ،وفي الندوة الثالثة عشرة لمجلس الإتحاد البرلماني العربي المنعقد يوم 8 فيفري 1983، بمقر مجلس النواب بالرباط تحت رئاسة ولي العهد الأمير سيدي محمد ، طرحت مشكلة احتلال المدينتين المغربيتين سبتة ومليلة من قبل إسبانيا

وفي المؤتمر الثالث للاتحاد البرلماني العربي ، الذي انعقد في بغداد ، في بداية مارس 1983، تمت المصادقة على مساندة المغرب ، في مجهوداته السلمية ، كما وجه إلى اسبانيا الدخول في مفاوضات مع المغرب ، بخصوص مدينتي سبتة ومليلة ، انطلاقا من الروابط المتينة القائمة بين اسبانيا والدول العربية ، وتجاوبا مع تعميق التعاون وحسن الجوار القائمين بين البلدين ، كما ألح المؤتمرون على ضرورة تنفيذ قرار مجلس الاتحاد الثالث عشر، سابق الذكر،الذي انعقد في الرباط في شهر فيفري 1983 [1].

كذلك الزيارة التي قام بها العقيد معمر ألقذافي في 19 ديسمبر 1984 ،إلى اسبانيا، والذي تباحث مع رئيس الحكومة الاسبانية" فيلبي غونزاليس " بأرخبيل جزر الباليار ، صرح بأن سبتة ومليلة مدينتان عربيتان ، وان موقف بلاده واضح من هذه القضية وأضاف موضحا انه في حالة تعرض المغرب لهجوم من طرف أي دولة ، فان ليبيا ستقف إلى جانب المغرب ،طبقا لاتفاق الاتحاد العربي الإفريقي ، وعبر عن أمله في أن تتم تسوية النزاع المغربي الاسباني حول المدينتين بالطرق السلمية ، وأن رجوع المدينتين إلى المغرب لا يحتاج للجوء إلى القوة [2] .

وفي بيان مشترك لأحزاب المغرب العربي المنعقد بالجزائر في أواخر 1986، تمت مساندة المغرب من أجل استعادته لمدينتي سبتة ومليلة ، وإدانة الإجراءات التعسفية التي تطبقها اسبانيا قصد القضاء على الهوية المغربية ، وعلى الخصائص والمقومات الميزة للمدينتين [3].

وأخيرا ، وفي الدورة الرابعة عشرة لمنظمة تضامن للشعوب الأفرو- أسيوية المنعقد بموسكو في 14 ماي 1986 ، تقدمت أحزاب المغرب العربي بنفس التعديل الذي جاء في الفقرة 14- 3 ، و الذي جاء فيه ما يلي :

1) المعزوزي، المرجع السابق ، ص 233
2) نفسه ، ص –ص، 233 234.
3) نفسه ، ص 235

إن الدورة 14 لمنظمة تضامن للشعوب الأفرو- أسيوية ، المتمسكة باستكمال تصفية الاستعمار، تؤكد الضرورة المستعجلة لوضع حد للوجود الاستعماري في سبتة ومليلة والجزر الجعفرية ، وتؤكد دعمها للشعب المغربي في نضاله من أجل ، لاسترجاع سيادته على المدينتين المذكورتين ، وعلى الجزر المذكورة ، ويندد بالسياسة المستمرة للمحتل ، الهادفة إلى تشويه السكان المغاربة مع حرمانهم من جنسيتهم المغربية [1] .

وخلاصة هذه المواقف الدولية ، أنها أثمرت في تقوية مطلب المغرب في استرجاع أراضيه ، وسط دعم جماعي ، ليتفادى مشكل العزلة الدولية ، التي تضعف الموقف المغربي ، أمام عدو قوي ، ذو إمكانيات متطورة سياسيا وعسكريا خاصة و أن المغرب ليس كفيلا بالوقوف أمامها لوحده .

1) المعزوزي،المرجع السابق ، ص 235

3- موقف الصحافة المغربية والدولية :

أيدت الصحافة العربية والأجنبية الموقف المغربي ، إزاء مطالبه المشروعة ، من بينها صحيفة (العرب) القطرية التي قالت ما يلي: " كان على اسبانيا أن تعرف أنه باحتلالها الأراضي المغربية ، فإنها تعادي العرب جميعهم ، لأن المغرب عضو عربي وحدته دول المواجهة على خطوط النار" ،وأعلنت الصحيفة أن الواجب العربي والإسلامي يحتم على العرب والمسلمين أن يتحركوا الآن إلى جانب الحق المغربي ، بالوسيلة التي تتطلبها مرحلة النزاع ، إلى أن يسترجع جيوبه في الشمال، أما جريدة (الرافد) السوفيتية نشرت مقالا حول مطالب المغرب ، بشان استكمال وحدة ترابه ،واسترجاع مناطقه المغتصبة ، وقالت: "أن حشد اسبانيا لقواتها في سبتة ومليلة ، يؤكد رفض اسبانيا للواقع ولروح العصر، كما يعتبر تحديا للشعوب الإفريقية، التي تعمل بكل حزم وإيمان من أجل تحرير ترابها من الاستعمار" ، أما وكالة رويتر العالمية، فقد تحدثت عن حق المغرب العادل في وضع حد لاحتلال اسبانيا الأراضي المغربية ، على الساحل الشمالي ، مثلما لاسبانيا الحق في استرجاع جبل طارق . وقد كتب "لوي كرافييه" Louis Gravier في صحيفة (لوموند Le mande) الباريسية مقالا حول الأراضي المغربية ، التي تحتلها اسبانيا في شمال المغرب ، لاحظ فيه أن اسبانيا بمطالبة سيادتها على جبل طارق ، يبقي للمغرب الحق بأن يطالب بسبتة ومليلة ، وهذه المقارنة أحد العناصر المهمة في وجهة نظر المغرب ، في نزاعه حول أراضيه مع مدريد [1].

أما صحيفة (العراق) الصادرة بتاريخ 7 جانفي 1981 ، فقالت أن من أهداف الأمة العربية تحرير مدينة سبتة ومليلة . وكذلك فعلت جريدة (الأنباء) الكويتية، حيث خصصت ضمن ملحق خاص صفحة كاملة حول المدينتين المغتصبتين مذكرة بمطالب المغرب المشروعة.

كما تطرقت جريدة (الصباح) التونسية ، للكلام عن المدينتين بمناسبة زيارة ملك إسبانيا "خوان كارلوس" لتونس ، والتي قالت فيه أن تونس تؤيد إسبانيا في استرجاع سيادتها على جبل طارق ، غير أنها يجب أن تكون منطقية مع نفسها ، ونعتبر أن وجودها في المدينتين المغربيتين ، هو امتداد لعهد الاستعمار البائد ، وتجاوزته الأحداث [2].

1) - المعزوزي،المرجع السابق، ص 236.
2) نفسه ، ص 236.

وأكدت صحيفة (بالتيمورسون) الأمريكية الصادرة يوم 9 فيفري 1985من جهتها أن استرجاع اسبانيا لجبل طارق يتطلب بالمقابل تخلي إسبانيا عن مدينتي سبتة ومليلة المغربيتين ، خاصة وأنه لم يبقى لديها أية ذريعة لتتشبث بهما [1] .

لقد دعمت هذه المواقف الصحفية ، حقوق المغرب المشروعة ، بل نشرت قضية سبتة ومليلة في جميع العالم ، شرقا وغربا ، من موسكو إلى واشنطن ، مماساعد في الضغط على إسبانيا ، مع بقاء الحق للمغرب ، رغم عدم وجود حل لقضية المدينتين إلى حد الآن .

---

1)- المعزوزي، المرجع السابق ، ص 236

المبحث الثاني : وضعية المدينتين في الوقت الراهن :

1- الحكم الذاتي وموقف المغرب منه:

من المعلوم أن اسبانيا مقسمة حاليا إلى 17 منطقة ذات استقلال ذاتي ، وفي هذا الإطار تقدم الفريق البرلماني الاشتراكي في شهر أكتوبر 1981، بمشروع قانون لمنح الاستقلال الذاتي للمدينتين ، إلا أنه تم تجميده للصعوبة المتمثلة في إيجاد الصيغة الملائمة لذلك .مما دفع الحكومة الإسبانية ، إلى وضع مسودة مشروع قانون يرمي إلى منح مدينتي سبتة ومليلة وضعا قانونيا خاصا، الغاية منه البحث عن كل الطرق والوسائل الكفيلة بالإبقاء على احتلال المدينتين ، بحيث تبقيان في يد الجالية الاسبانية، التي ستقوى سيطرتها عن طريق ما سيوضع بين أيديها من حكم ذاتي، وهذا المشروع ينص على أن سبتة ومليلة ، جزآن لا يتجزآن من الأمة الاسبانية وليس من الأراضي الإسبانية [1] .

لكن المغاربة داخل المدينتين سواء الحاملين الجنسية الاسبانية ، أو المغاربة الأصليين ، كان موقفهم العام هو رفض هذا المشروع الجديد للحكم الذاتي للمدينتين لأنه في رأيهم سوف يزيد من وضعية التهميش والعنصرية ضدهم ، خاصة وأن الحزب الشعبي المعارض ، صرح أنه في حالة فوزه في الانتخابات المحلية ، فسوف يعتبر موضوع الحكم الذاتي محسوم فيه مسبقا ولم يبقى إلا تنظيم انتخابات لمعرفة من سيمارس الحكم ، وعد هذا الحزب بأنه سينزع ويمنح الجنسية لمن يشاء من المغاربة المقيمين ، واعتبرت الحالة الاجتماعية للمغاربة المقيمين ، أحسن حالا قبل تطبيق الحكم الذاتي لأن مشاكلهم كانت تطرح على الدوائر الرسمية في مدريد ، وفي حالة الشروع في الحكم الذاتي فإنهم سيصبحون دون دعم ، وسيكون جواب مدريد لمشاكلهم هو إحالتهم على حكوماتهم المحلية ، وقد لا تتردد هذه الأخيرة آنذاك في طرد كل المغاربة من أرضهم وأرض أجدادهم ، هذا بالنسبة للجانب السياسي لوضع المغاربة في حالة منح الحكم الذاتي لمدينة سبتة ومليلة [2].

- فهل تنجح إسبانيا على الإقدام في هذا المشروع ؟

1- المعزوزي، المرجع السابق ، ص ص، 237 -238

2- بوغالب العطار ، " المغاربة يعارضون الحكم الذاتي للأسباب ذاتية وموضوعية "، صحيفة الاتحاد الاشتراكي ،11 أفريل 1994، ص ص،288 -289.

لقد صادقت الحكومة الإسبانية في اجتماعها الأسبوعي ليوم 15سبتمبر 1994 على ما يسمى بالحكم الذاتي الخاص بمدينتي سبتة ومليلة المحتلتين وتم إحالته على مجلس الشيوخ الذي صادق عليه كذلك يوم 22 فيفري 1995، بعدما حظي بتأييد كونغرس النواب يوم 1994/12/27 [1].

ورغم قطع هذا المشروع الاستعماري لهاتين المرحلتين التشريعيتين ، المنصوص عليهما في الدستور الإسباني ، فإنه لم يدخل حيز التنفيذ ، إلا ابتداء من 15 مارس 1995 وذلك بعد موافقة العاهل الإسباني الملك "خوان كارلوس" على مشروع الحكم الذاتي الخاص بمدينتي سبتة ومليلة وصدوره في الجريدة الرسمية [2].

---

1) بوغالب العطار ، سبتة ومليلة : **مغاربة تحت الاحتلال** ، ص 335
2) نفسه ، ص 335.

2_ وضعية المدينتين بالسوق الأوربية المشتركة :

وضعية سبتة ومليلة بالسوق الأوربية المشتركة ، تدعو إلى المزيد من التأمل والبحث والدراسة المستفيضة ، فهي قضية لها انعكاسات سياسية وإستراتيجية واقتصادية وجمركية . فالسوق منذ نشأتها سنة 1958 وهي في توسع مستمر ، حيث أصبحت تضم معظم الدول الأوربية الآن ، وبعد وفاة الجنرال "فرانكو" تقدمت الحكومة الإسبانية بطلب انضمامها إلى هذه السوق ، إلا أن طلبها لم يقبل إلا سنة 1985 ، بعد مفاوضات طويلة ، وأثناء هذه المفاوضات أرادت إسبانيا أن تثير قضية الثغور ، حتى لا تعرقل قضية المفاوضات ، وحتى يتم قبولها بالسرعة التي ترغب فيها [1] .

وحول وضعية المدينتين وعلاقتهما بالسوق الأوربية ، من الجانب الجمركي والسياسي ، يمكن طرح السؤالين التاليين ، هل انضمام اسبانيا للسوق الأوربية بناءا على اتفاقية التعاون بغرض إدماج المغرب داخل التراب الجمركي للمجموعة ؟ وماذا يترتب عن انضمام اسبانيا للسوق إزاء مطالب المغرب الترابية ؟

هناك تشابه موجود بين جبل طارق ووضعية الثغور المغربية المحتلة ، إن التشريع الانجليزي لا يعتبر جبل طارق ضمن تراب المملكة البريطانية ، بعد انضمام انجلترا إلى المجموعة الاقتصادية الأوربية ، أخذت هذه الأخيرة في الاعتبار الوضعية الاقتصادية الخاصة بجبل طارق ، ووقع اتفاق على قرارات استثنائية خاصة بالجبل منها :

- جعل جبل طارق خارج منطقة تنفيذ السياسة الفلاحية للمجموعة ، وجعله غير خاضع للنصوص المتعلقة بضريبة المعاملات ، وخارج عن التراب الجمركي للمجموعة[2].

أما الدستور الاسباني فيعتبر أن سبتة ومليلة جزء لا يتجزأ من المملكة الاسبانية وان انضمام اسبانيا إلى السوق أخذت كذلك في الاعتبار الوضعية الاقتصادية المتميزة للمدينتين وخصتها باستثناءات نوردها فيما يلي :

إن نظام التبادل الخاص المتعلق بالمنتوجات الصناعية والفلاحية ، يخضع حسب الاتفاقية للمبادئ التالية :

1) المعزوزي ، المرجع السابق ، ص 239.
2) نفسه ، ص 240.

- المنتوجات القادمة من هذه المناطق أو المتوجهة إليها من جهات أخرى ، لا تعتبر كبضائع تتوفر على الشروط المنصوص عليها في الفقرتين 9ـ10 من اتفاقية المجموعة ، لكن حرية نقل البضائع الآتية من هذه المناطق من جهة والمتوجهة من طرف المجموعة ، فتهيأ تدريجيا حسب الإيقاع والشروط المنصوص عليها في الوثيقة العامة ، الخاصة بالتبادل بين الأطراف ، إلا أن إجراءات خاصة ستضبط مبادلات المواد الفلاحية ، ومنتوجات الصيد .

- سبتة ومليلة تعتبران خارجتان عن التراب الجمركي للمجموعة ، بكل ما يترتب عن ذلك من تبعات ، كما أن الإجراءات الخاصة بالسياسة التجارية والتي لها علاقة بالصادرات والواردات ، لا تطبق عن هذه المناطق [1].

كما أن هناك إجراءات خاصة تضبط المبادلات بين جزر كاناريا س والمدينتين المحتلتين سبتة ومليلة ، لا يطبق عليها نظام السياسة الفلاحية ، ولا تخضع لنظام الصيد البحري للمجموعة ، غير أن بعض الإجراءات اتخذت الصيغة الاجتماعية والهيكلية . إلى جانب استثناءات أخرى منتظرة ستجعل المدينتين معفيتين من ضريبة القيمة المضافة وغير خاضعتين للنظام الضرائبي العام [2] .

1) المعزوزي،المرجع السابق، ص ص، 240 .
2) نفسه ، ص 241

3ـ مشروع الربط القار بين المغرب وإسبانيا :

إن فكرة الربط القار بين المغرب وإسبانيا فكرة قديمة ، وقد تجسدت هذه الفكرة بعد تقدم التقنيات وأخذت طريقها نحو التطبيق ، عندما التقى الملك المغربي الحسن الثاني مع العاهل الإسباني "دون خوان كارلوس "، في شهر يونيو سنة 1979 ، واتفقا على تأسيس لجنة مشتركة إسبانية مغربية ، للبدء في دراسة المشروع الذي سيكلف حسب التقديرات الأولية 3000 مليون دولار ، وسيستغرق تنفيذه 10 سنوات ويضمن تنقل 13 مليون شخصا سنويا تقريبا ، و7 مليون طن من السلع [1].

إن مصير العلاقات الإسبانية المغربية مرتبط بشكل عميق بتطور العلاقات المتصلة بسبتة ومليلة . بالنسبة للمجموعة الاقتصادية الأوربية ، فإن سبتة و مليلة على غرار جبل طارق تعتبران مستثنيتين من الإطار الجمركي للمجموعة ، ومن السياسة الأوربية المشتركة في مجال الزراعة والصيد البحري ، فهي أي جبل طارق ،سبتة، مليلة تتمتع بنظام استثنائي بالنسبة للنظام المطبق في المجموعة الاقتصادية الأوربية، وأن تشابه حالة جبل طارق مع سبتة ومليلة بالنسبة للسوق الأوربية المشتركة يمنع إسبانيا من إبداء أي اعتراض من جهة ،وعلى المغرب من جهة أخرى لطابعها المنتمي للمجموعة الاقتصادية الأوربية ، كما أن المجموعة الأوربية تعترف ضمنيا بأن سبتة ومليلة تعتبران من بين الموانيء التي تشحن فيها المنتجات ، ذات المصدر المغربي في اتجاه أوربا حسب اتفاقيات التعاون الموقعة مع المغرب في سنة 1979 وبنفس الصفة بالنسبة للموانـيء المغربية الأخرى[2].

الجغرافيا عنيدة إذ لا يمكن تحريكها ، إنها عنصر حاسم في العلاقات الدولية كما تنبأ الجغرافيون الأوائل في القرن التاسع عشر ، وأن تداخلات السياسة والاقتصاد والثقافة تقترن بمعطياتها الجغرافية .

إن المغرب وإسبانيا تلتقيان حول مضيق جبل طارق ، الذي يفصلهما ، ويشتركان مع فرنسا في خاصية امتلاك شاطئين بحريين على الأطلسي وعلى المتوسط ، وأن مركز مصالحها على المستوى الدولي يمكن أن يقودها إلى المساهمة بشكل حيوي في خلق تعاون جهوي حول المتوسط المغربي[3] .

---

1) المعزوزي، المرجع السابق، ص 242

2) بوغالب العطار ، المرجع السابق ، ص ص، 398 -399.

3) نفسه ، ص –ص، 400 -401.

المبحث الثالث : بقية الأقاليم المستعمرة من طرف الإسبان.

يمثل هذا المبحث تكملة وتوضيح لهذه الدراسة حول مدينتي سبتة ومليلة ، لكونه يتطرق بالدراسة إلى بقية الأقاليم المستعمرة من طرف الإسبان والمتعلقة بالأراضي المغربية ، فيه ملخص الاحتلال للجزر التالية : جزر ملوية وجزيرة النكور ، جزيرة التورة ، جزيرة بادس ، وجزيرة البوران ، وكذلك النزاع الإسباني الإنجليزي حول جبل طارق لنقارن بذلك وضعية الاحتلال الإسباني لسبتة ومليلة ، والاحتلال الإنجليزي لجبل طارق ، وتاريخ هذا النزاع القائم .

1- **جزر ملوية:**

بالإضافة إلى احتلال الإسبان لمدينتي سبتة ومليلة ، البالغ مساحتهما 32 كم^2 تقريبا، فإن إسبانيا تحتل كذلك مجموعة من الجزر الواقعة بالشواطئ المغربية ما بين المدينتين سبتة ومليلة ، ومساحتهما الإجمالية تقرب من السبعين هكتارا ، ولها مكانتها الإستراتيجية [1] .

تقع جزر ملوية أو الجعفريات الثلاث على بعد أربع كيلومترات من الشاطئ المغربي أمام مصب نهر ملوية بقبيلة كبداله بالريف ، وتبعد عن مدينة مليلة بـ 28ميلا بحريا ، وهي ثلاث جزر مصطفة من الغرب إلى الشرق ، بمساحة 60.7 هكتار ويمتد الأرخبيل هذا بمسافة كيلومترين ونصف ، فاحتل الإسبانيون هذه الجزر يوم 6 يناير 1846 ، بأربع بواخر بحرية ، بعدما شعروا بان الفرنسيين يتهيئون للنزول بها لقرب موقعها من الجزائر ، وبمجرد شروع الاسبان في البناء بها احتج المغرب آنذاك وطالب بالجلاء عنها .كما كان عدد سكان هذه الجزر يقدر سنة 1950 بـ 270 نسمة ، أما الآن فالذي يوجد بها هو كتيبة مكونة عادة من مئة جندي ، كما يوجد بها سجن يسع 80 سجينا [2].

2- **جزيرة النكور:**

توجد في عرض الحسيمة ثلاث جزر ، مساحة الأولى هكتار وثلاثون آر ، والثانية هكتار وأربعة وثلاثون آر، والثالثة ثمانية وثمانون آر ، وهذه الأخيرة هي التي احتلها الإسبان يوم 29 أوت 1673، وأطلقوا عليها اسم "ألوسياس" التي اشتقت منها كلمة الحسيمة وطولها 170م ، وعرضها 80م [3] .

1- المعزوزي ، المرجع السابق ، ص 180
2- نفسه ، ص ص،181- 185.
3- نفسه ، ص 187

وتبعد هذه الجزيرة ، عن مدينة سبتة بـ 155 كلم ، وعن اليابسة بـ 600م ، وحسب آخر الإحصائيات فإن عدد السكان بها يبلغ 70 نسمة أغلبهم من الجنود الإسبان ، ويمر بها الخط التلغرافي الرابط بين سبتة ومليلة [1] .

3- جزيرة بادس:

توجد هذه الجزيرة وجزيرة أخرى بجانبها تسمى "سان أنطونيو" وسط الطريق الرابط بين سبتة ومليلة ، وتوجد على مسافة 120 كلم من جبل طارق و160 كلم من مالقة ، وكانت محل صراع بين قراصنة عثمانيين وقراصنة إسبان للاستيلاء عليها ، لما لها من مكانة حيوية . وقد احتلها الإسبان سنة 914 هـ الموافق لـ 23 جويلية 1508م في عهد الملك "فرناندو الكاثوليكي"، على يد" بيدرو دي نافارو" ، ثم استرجعها المغاربة سنة 1522م،في عهد السلطان محمد البرتغالي آخر السلاطين المرينيين ، وفي سنة 1525م قامت إسبانيا بمحاولة أخرى فاشلة لاحتلال هذه الجزيرة ، وبعد هذه الفترة تخلى عنها المغاربة للعثمانيين وأصبحت مركزا هاما لأسطولهم ، ثم أعيد احتلالها في عهد فيليب الثاني ، في أوائل شهر سبتمبر 1564، بعدما هوجمت بجيش يضم 13000 جندي ومائة وثلاثة وخمسون سفينة حربية ، بمشاركة كل من البرتغال وصقلية ومالطة وجنوة وفلورنسا، كما شاركت ألمانيا بثلاثة ألاف جندي [2] .

ويبلغ طول هذه الجزيرة 400م وعرضها 100م وارتفاعها 77م ومساحتها 3.9 هكتار ، وحسب آخر الإحصائيات فان عدد سكانها يصل إلى ثمانين نسمة [3] .

4- جزيرة البوران :

توجد على بعد 55 كيلومتر من رأس المذاري الثلاث ، قرب مدينة مليلة ، في اتجاه الشاطئ الإسباني ، الذي يبعد عنها بـ 85 كيلومتر [4] .

1- المعزوزي،المرجع السابق ، 187
2- نفسه ، ص 191
3- نفسه ، ص191
4- نفسه ، ص195.

وهي جزيرة صخرية مثلثة الشكل ، يقدر محيطها بميلين ، احتلها الإسبان في أوائل سنة 1968، وبها منارة وقلعة عسكرية ويربطها بمدينة مليلة خط تلغرافي ، وتكتسي الجزيرة أهمية بالغة ، فهي قاعدة لتأمين مدينة مليلة من جهة والجزر الجعفرية من جهة أخرى ، وتجدر الإشارة أن هذه الجزيرة لم تحتل إلا بعد استقلال المغرب ، وتوجد داخل المياه الإقليمية المغربية [1] .

5- **جزيرة المعدنوس أو التورة أو " ليلى "**

من ناحية الشمال بأسفل جبل موسى ، المعروف بجبل القرود ، صخر منيع رمادي اللون ، كثير الجفاف واليبوسة ، تلك هي جزيرة التورة أو المعدنوس ، وتسمى بالإسبانية " اسلادل بريخل" Isladel Peregil

مساحة الصخرة تصل إلى 13 هكتار ونصف ، وطولها 300مترا ، وتفترق عن شمال المملكة المغربية بممر مائي على شكل قناة ، تمر منه القوارب الصغيرة ، وتبعد بنحو كيلومترين عن الشواطئ المغربية المجاورة لغرب مدينة سبتة ، وبأربعين كيلومتر شرق طنجة ، فالصخرة خالية من السكان ، وغير صالحة للزراعة ، وبالتالي ليس لها أهمية تذكر من الناحية الاقتصادية ، عكس ما عليه بالنسبة للأهمية الإستراتيجية ، حيث تفترق على مدخل البحر الأبيض المتوسط وتسمح بمراقبة الشواطئ المغربية [2].

إن انجلترا الراغبة منذ القدم في السيطرة على مضيق جبل طارق ، لم تغفل عن هذه الجزيرة ، ولم تنسى أهميتها ، وموقعها الحساس ، وهكذا حاولت مرتين الاستيلاء عليها ، فالمحاولة الأولى ، كانت في بداية القرن التاسع عشر ، وبالضبط يوم 25 أبريل 1808 ، حيث أتت بمائة من جنودها ومهندسين تحت حراسة ثلاثة بوارج حربية ، واستولت فعلا على الجزيرة ، غير أن احتلالها للصخرة لم يدم طويلا ،نظرا للاحتجاج الصارم الذي قدمه سلطان المغرب لانجلترا ، بواسطة القائم بأعمال السفارة الفرنسية بالمغرب ، مهددا باسترجاعها بالقوة إذ اقتضى الحال ، وهكذا وخوفا من نشوب حرب بينها وبين المغرب تخلت انجلترا عن الجزيرة، وأرجعت قواتها إلى جبل طارق [3] .

1- المعزوزي، المرجع السابق، ص 195
2- نفسه ، ص 198
3- نفسه ، ص 198

وفي سنة 1848 اغتنمت انجلترا الخلاف القائم آنذاك بين إسبانيا والمغرب ، وحاولت مرة أخرى السيطرة على الصخرة دون جدوى ، حيث أن إسبانيا وقفت في وجهها ، وحالت دون احتلالها للجزيرة . وفي سنة 1887 قامت إسبانيا بتشييد منارة على سطح الجزيرة ، وأرسلت بعض المهندسين لرفع رايتهم هناك ، وعندما وصل الخبر لباشا مدينة طنجة أرسل هذا الأخير ، بعثة لإزالة العلم الإسباني ، وترك بالجزيرة 25 من الجنود على رأسهم قائد لحراستها [1].

ورغم أن جزيرة المعدنوس ، لم تكن أبدا موضوع نزاع بين المغرب وإسبانيا ، فإن هذه الأخيرة استغلت عدم الوجود الفعلي للمغرب في الجزيرة المذكورة ، وتقدمت بمشروع قانون جديد خاص بمدينة سبتة نشر بالجريدة الرسمية للكورطيس ، بتاريخ 26فبراير1986، ومما جاء في القانون المذكور في بنده الثاني ما يلي:

إن تراب مدينة سبتة مع جزيرة بادس ، وجزيرة المعدنوس ، يكون مجموع التراب الذي يوجد داخل الحدود الحالية للبلدية [2] .

1) المعزوزي، المرجع السابق ، ص 200
2) نفسه ، ص 200

6- النزاع الإسباني الإنجليزي حول جبل طارق:

بلغ عدد سكان جبل طارق 30000 نسمة ، موزعين على مساحة تقدر بـ 6.5 كلم² وله مكانة إستراتيجية خاصة ، فقد احتلته انجلترا سنة 1704 ، لحماية مرور سفنها التجارية ، ولربط الصلة بمستعمراتها العديدة ، وقد لعب جبل طارق دورا هاما أثناء الحرب العالمية الأخيرة ، حيث سهل عملية النزول بأوربا في نوفمبر 1942.

ويعود النزاع بين الإنجليز والإسبان على هذه الصخرة إلى ثلاثة قرون مضت ، وبالضبط إلى معاهدة "أولتريخت"الموقعة يوم 13 يوليو 1713 ، وذلك بعد احتلال الصخرة من طرف الأميرال "السيرجيورج رووك" في 4 أوت 1704، وقد نصت هذه المعاهدة على أن يتنازل الملك الإسباني للتاج الإنجليزي عن الحصن المسمى جبل طارق [1] .

غير أن المشاكل بدأت مباشرة بعد احتلال الإنجليز للصخرة ومحاصرة الإسبان لها في مارس 1705 ، ثم قيامهم بحصار عسكري آخر دام حتى 1713، وآخر في 1726، ثم من 1779 إلى 1783 ، ثم قاموا بمحاولات أخرى لاسترجاع الجبل لكن بدون جدوى .وقد وقعت أحداث دامية نتيجة لعملية الحصار ولتجنب تكرارها، تم إقامة منطقة مجردة من السلاح في سنة 1728، بين الأسوار الشمالية لجبل طارق والتحصينات الإسبانية في الجهة الأخرى من البرزخ ،أين شيدت إسبانيا مدينة لالينيا La Linea[2].

وابتداء من سنة 1954، عرف النزاع الإسباني الإنجليزي منعطفا آخر ، حيث قامت الملكة "إليزابيت الثانية "في نفس السنة بزيارة رسمية إلى الصخرة ، دفعت إسبانيا إلى اتخاذ إجراءات مضادة منها : إغلاق القنصلية الإسبانية بجبل طارق ، وتشديد المراقبة على الحدود البرية ، ووضع شروط معقدة للدخول إلى الصخرة ، كما رفعت القضية إلى الأمم المتحدة ، حيث تم تسجيل جبل طارق في قائمة الأقاليم غير المستقلة وأصبح مشكل استعماري من اختصاص اللجنة الخاصة المكلفة بتطبيق تصريح منح الاستقلال للدول والشعوب المستعمرة [3] .

1- المعزوزي، المرجع السابق ، ص 243
2- نفسه ، ص 243
3- نفسه ، ص 245

لقد تناولت لجنة "24" مسألة جبل طارق في 1965 وأصدرت توصية تحمل رقم 2070 المصادق عليها في16 ديسمبر 1965 من طرف الجمعية العامة للأمم المتحدة تدعو كل من إسبانيا وانجلترا إلى الدخول في حوار من أجل حل المشكل عن طريق التفاوض .وقد قام الإنجليز في 10 سبتمبر 1967 ، بتنظيم استفتاء في الصخرة ، كانت نتيجته لصالح الحفاظ على العلاقة مع انجلترا ، غير أن نتيجة هذا الاستفتاء رفضت من طرف الجمعية العامة للأمم المتحدة بتاريخ 19 ديسمبر 1967، واعتبرته مخالفا لما ورد في التوصيات السابقة ، كما استعدت الحكومتان إلى فتح مفاوضات من جديد لحماية مصالح السكان [1]

إلا أن المفاوضات التي جرت بين الحكومتين كانت سلبية ، وأدت إلى وضع إجراءات جديدة ومعقدة أدت إلى إغلاق الحدود في التاسع من شهر يونيو 1969 ومنع أي تعامل مع جبل طارق [2] .

والتخفيف من حدة التوتر تواصلت المباحثات بين إسبانيا وإنجلترا ، وفتحت الحدود من جديد ، بالرغم من بعض التحفظات البريطانية بخصوص ضرورة إحترام رغبات السكان هناك ، والسماح بتنقل الأشخاص والسيارات والسلع بين جبل طارق وإسبانيا ، وكذا تسهيل الملاحة الجوية ، وفي سنة 1985، وقع الطرفان على اتفاق لفتح المفاوضات في جنيف بخصوص مستقبل جبل طارق[3] .

لتبقى هذه القضايا شائكة ، قد لا تجد حلا لها في المستقبل أو يكون حالها الزوال.

1) المعزوزي، المرجع السابق ، ص 245
2) نفسه ، ص 245
3) نفسه ، ص 246

الخاتمة

الخاتــمة

عبر القيام بجولة عميقة خلال الأربعة فصول المقدمة لهذه الدراسة،تتضح مدى الأهمية التي تتسم بها هاتين المدينتين سبتة ومليلة ،عبر تاريخهما القديم والحديث والمعاصر.

و يتضح كذلك الفارق في الأهمية بين المدينتين، فمدينة سبتة تعتبر الأعرق والأهم من مدينة مليلة منذ العهد الفينيقي المتواجد بغرب إفريقيا منذ تأسيس قرطاجة سنة 880ق م، والذي يعود الفضل إليهم في تأسيسها وأعطوها اسم أبيلا،وظلت المدينة عبر تاريخها القديم الروماني و البزنطي و الوندالي محل اهتمام ملوك تلك الإمبراطوريات القديمة لما لها من أهمية تجارية و بحرية ، بإطلالتها الساحرة على البحر المتوسط و موقعها الممتاز على شبه الجزيرة الطنجية قبالة جبل طارق، ذا المضيق الضيق بين أوربا و إفريقيا.

أما عن تاريخ سبتة الإسلامي ، فهو زاخر بالأحداث عبر الدويلات التي قامت على تراب المغرب الأقصى ، فهي معقل الملك "جوليان" الذي حكمها ،عند الفتح الإسلامي ، والذي تحالف مع موسى بن نصير في فتح الأندلس، و بقيت ذات أهمية لدي أمراء الأندلس و المغرب بعد خضوع الأندلس للمسلمين، وعاشت ثورات الخوارج بالمغرب و الأندلس و عهد الدولة الإدريسية، وكذلك المد الشيعي لعبيد الشيعي مرورا بالعهد الحمودي الإدريسي ، فالمرابطين، فالحمودي إلي العهد المريني، أخر فترة في العهد الإسلامي، قبل دخول البرتغال إليهاسنة 1415م، وفي كل تلك المرحلة الإسلامية ،كانت سبتة المدينة الأهم ،على السواحل المغربية.

أما الحديث عن مدينة مليلة، فتاريخها يقل أهمية بكثير عن سابقتها سبتة لكن لها تاريخ معتبر ، في العهد القديم والإسلامي و خلال الاحتلال الإسباني ، فكان أولى الإهتمام بها في التاريخ القديم ، مع قدوم الفينيقين ، الذين أعطوا لها اسم روسادير ، وبقي هذا الإهتمام بها خلال العهد الروماني والوندالي و البزنطي على السواء ،نظرا لموقعها المطل على البحر المتوسط، و كذلك طبيعة الصخرة المشكلة لها ، أما

تاريخها الإسلامي فهو فقير جدا ،ولم تظهر هذه المدينة إلا في القرن الرابع ، مع بداية التنافس الفاطمي الأموي على بلاد المغرب ،وتغيب الأحداث بها أيام الدولة المرابطية ، والموحدية ، وعاشت بعدها في أيام الدولة المرينية ، مرحلة من التهميش، بسبب بناء مدينة غساسة المجاورة ، وأصبحت غساسة المرفأ المضل لبني مرين، حتى دخول المدينة تحت الاحتلال الإسباني سنة 1597م.

أما تاريخ المدينتين مع الاحتلال الإسباني فيمتد قرابة أربعة قرون و نصف أي من سنة 1497م إلي سنة 1956م ، و هي فترة طويلة نسبيا تتطلب جهدا معتبرا لدراستها و التمعن أكثر للإجابة عن التساؤلات المطروحة لكون المدينتين ما تزالان إلى حد الساعة تحت الاحتلال الإسباني ، وماذا كانت مجريات الأحداث طوال أربعة قرون ونصف من الاحتلال ، وسط قيام عدة دول وسقوطها في هذه الفترة .

بالعودة إلي الإجابة عن التساؤل الأول حول حادثة الاحتلال التي كانت في العصر الحديث ترجع أسبابها إلي ضعف الدولة الوطاسية و الدولة المرينية في ذلك الحين ، ومحاولة كل من البرتغال والإسبان التوسع عبر سواحل المغرب الكبير ،بعد انتعاش القوتين إثر الكشوفات الجغرافية .

فمدينة سبتة ، كانت الأولى من بين المدينتين التي تقع تحت الاحتلال البرتغالي سنة 1415م ،ظلت تحت التاج البرتغالي حتى سنة 1640م ، حيث تنازل عنها الملك البرتغالي جون الرابع للتاج الإسباني و الملك فيليب الرابع مقابل الانفصال عن إسبانيا، أما مدينة مليلة فلقد احتلها الإسبان في مرحلة ضعف الدولة الوطاسية التي كانت تعيش مرحلة انهيار إضافة إلى ذالك الصراع القائم بينها و بين الدولة الزيانية ، وكانت حادثة الاحتلال لهذه المدينة سنة 1497م في عهد الملك محمد الشيخ الوطاسي، وكان هدف الإسبان الرئيسي هو الاستفادة من المكانة الحيوية التي تتربع عليها كلا المدينتين .

أما التساؤل حول وجود أو عدم وجود مقاومة رسمية أو شعبية للاحتلال فيمكن القول، أن حادثة احتلال المدينتين كانت علي غفلة، ودراسة مسبقة من العدويين البرتغالي والإسباني في حل ضعف الدول الحاكمة، دولة بني مرين ودولة بني وطاس بالمغرب الأقصى بعدها جاءت يقظة الأهالي المجاورين للمدينتين من قبائل الريف بالجهة الغربية والشرقية ،والذين أصبحوا العنصر الأهم في المقاومة الشعبية ،إضافة إلى دور الحكام في المساهمة في اغتنام الفرص قصد تحرير المدينتين ، سواء في العهد الوطاسي أو في العهد العلوي ، حيث كان هناك عدة حملات قادها الملوك أنفسهم قصد تحرير المدينة ، كحملة المولى إسماعيل ضد مليلة ، إضافة إلى وجود القرصنة البحرية التي قادها المغاربة ضد الإسبان .

وبالعودة إلى العلاقات الاسبانية المغربية في هذه المرحلة، فقد ظهرت المعاهدات السلمية بين الطرفين ، في أيام الملك العلوي محمد بن عبد الله ، الذي تولى الحكم سنة 1757م ، والذي شهد عهده انفتاح المغرب الأقصى على أوروبا ، وبداية التقارب المغربي الإنجليزي، هذا الأخير الذي أصبح طرفا مهما في التعاون والتفاوض مع الجانب الإسباني و المغربي .

أما عن العلاقة بين السلطة المغربية و الحركة الوطنية بعد عقد اتفاقيات السلم مع الطرف الإسباني ، فقد أثارت جدلا وخلاف بين شيوخ القبائل والسلطان نفسه ، وأدى إلى الضغط على بعض الحكام ووضعهم ما بين خيار المحافظة على تلك المعاهدات أو التصدي لتلك المعارضة الداخلية القائمة ضدها ، مما اضطر السلطان إلى معاقبة الأهالي في بعض الأحيان ، وكان أشدها في عهد المولى سليمان ، الذي قام بحملة ما بين 1803- 1804م لقمع القبائل بناحية مليلة ، لكن عقلية الحكام المغاربة لم تكن على حد سواء ، فمنهم من لبى رغبة القبائل الثائرة لتحرير المدينتين المحتلتين رغم وجود تلك المعاهدات ، مثلما قام به المولى يزيد سنة 1791م الذي حاصر مدينة سبتة دون جدوى .

وفي أواخر القرن 19م ، دخل المغرب الأقصى في حالة من الضعف والتقهقر بسبب التدخلات الأجنبية في شؤونه الداخلية ، وكثرة المعاهدات المبرمة بينه وبين الدول الأوروبية ، بما عرف بالحماية القنصلية ، التي أثرت على اقتصاد المغرب وبنيته الاجتماعية ، الشيء الذي ساعد الإسبان في تقوية نفوذهم في سبتة و مليلة والتوسع خارجهما ، خاصة خلال حرب تطوان سنة 1860م ، واحتلال مدينة تطوان ، وتغريم المغرب بعدها فاتورة الحرب تلك ، التي أفرغت الخزينة المغربية و فقدان القطع الذهبية القديمة عن بكرة أبيها ، إضافة إلى التوسعات في الصحراء المغربية في منطقة وادى الذهب ، الذي بدأ سنة 1884م .

ومع وقوع المغرب تحت الحماية الفرنسية سنة 1912م ، وفقدانه سيادته الوطنية ، بدأ عهد جديد مظلم ، يتساءل بعدها أي أحد عن وجود مقاومة قصد تحرير المدينتين الأسيرتين في هذه الفترة حيث تبرز أروع مقاومة في المغرب الأقصى بناحية مليلة وتكون المدينة على وشك التحرير قبل أي وقت آخر سنة 1921م، صنع أحداثها الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي والأميرعبد المالك الجزائري و قبائل الريف الشرقي ، ليتخلى عنها في آخر وقت وسط معارضة أصحابه ، كما كانت مقاومة أحمد الريسوني بناحية سبتة في نفس الفترة ، لتصبح المقاومتين عائقا قويا دون توسع الإسبان عبر قبائل الريف في عهد الحماية .

أما عن الحركة الوطنية السياسية في المغرب في عهد الحماية والتي ظهرت في أقطار عدة مستعمرة في العالم العربي ، فقد انسجم المغاربة في خضمها و برزت عدة شخصيات أمثال :عبد السلام بنونة ، وعلال الفاسي في مجال المطالبة باستقلال المغرب و أقاليمه المستعمرة ، كما نشطت الصحافة المغربية وساهمت في نشر الأفكار الوطنية و حرية الرأي ، إضافة إلى جمعيات ومنتديات فكرية ، لتكون عاملا يقضا لتوعية الشباب المغربي .

أما حالة المغاربة هناك، فقد كانوا يعانون التمييز العنصري، والطرد الجماعي ، لكنهم يحضون بالحرية في بناء مساجدهم والحفاظ على شخصيتهم الوطنية رغم الإكراه الإسباني .

وبعد حصول المغرب على استقلاله سنة 1956م وبقاء سبتة ومليلة والجزر الجعفرية تحت الاحتلال ، فما مدى السعي المبذول لتحريريهما ؟.

لقد لجأ المغرب الأقصى بعد الاستقلال إلى هيئة الأمم المتحدة للمطالبة باسترجاع أقاليمه المتبقية ، عبر إرسال عدة مذكرات ، وساعدت مواقف بعض الدول والمنظمات الأفرو أسيوية في دعم موقف المغرب ، إضافة بموقف الصحافة العربية والدولية التي ساهمت في نشر القضية المغربية عبر جرائدها في العالم .

ومن جهتها قامت إسبانيا بمحاولة لتسوية وضعية المدينتين بشكل قانوني عبر إعطائها الحكم الذاتي سنة 1995م وسط رفض المغاربة ، خوفا من تمكن الجالية الإسبانية بهما ، كما تم دمج المدينتين بالسوق الأوروبية المشتركة ،وأخذ خصوصيات و المميزات الخاصة بهما في التعامل مع المدينتين .

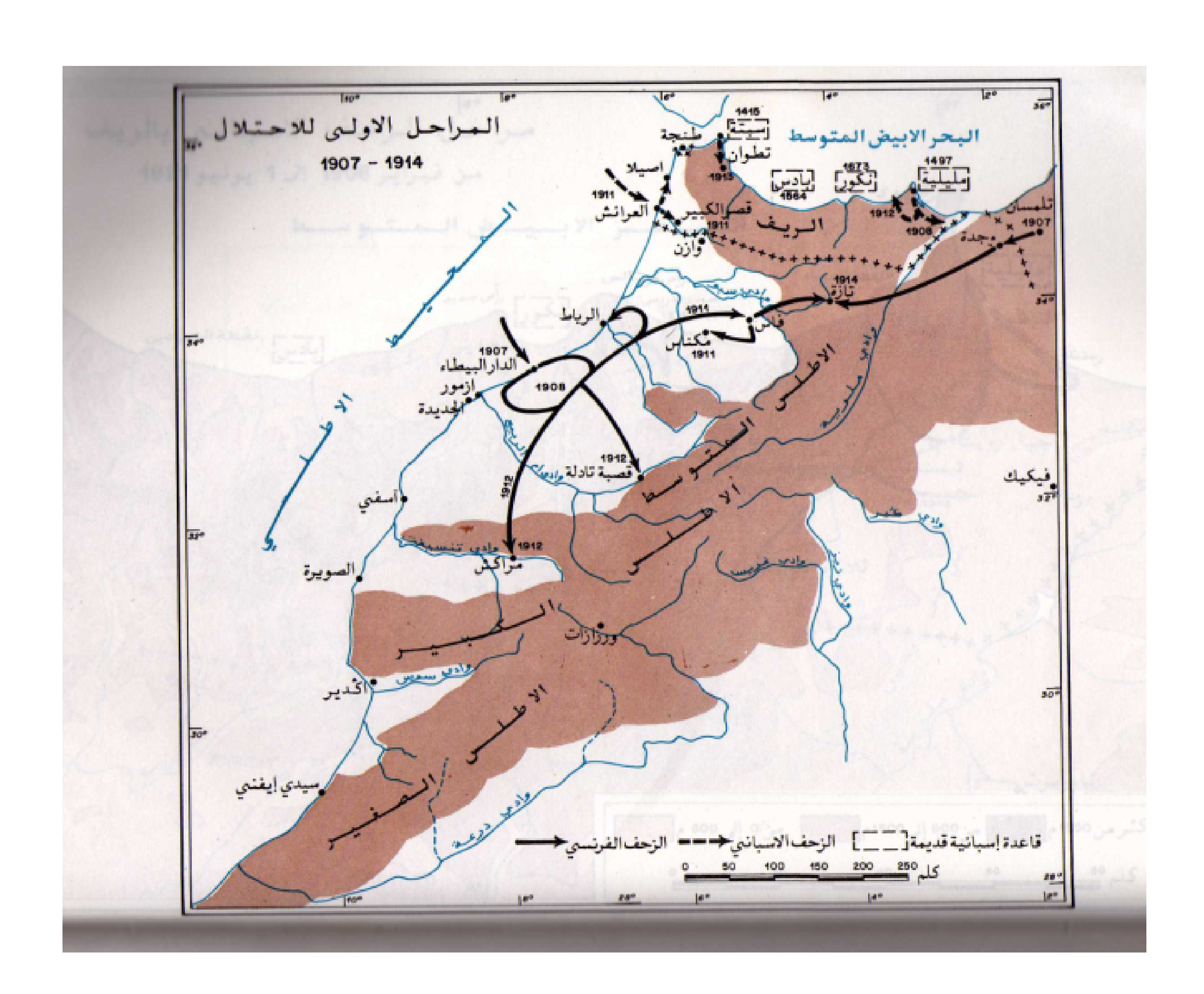
أما عن العلاقات المغربية الإسبانية ما بعد الاستقلال فقد تميزت بالتعاون في شتى المجالات ، رغم الخلاف القائم بينهما حول السيادة على سبتة و مليلة، وشمل التعاون العسكري والتجاري و تبادل الزيارات .وكأن الأمر لا يعني المغرب بسبب ضعفه .

إضافة إلى احتلال الإسبان سبتة ومليلة ، فتوجد خمس جزر أخرى خاضعة للاحتلال الإسباني هي: جزر ملوية، جزيرة النكور ، وجزيرة بادس ، جزيرة البوران، وجزيرة المعدنوس .

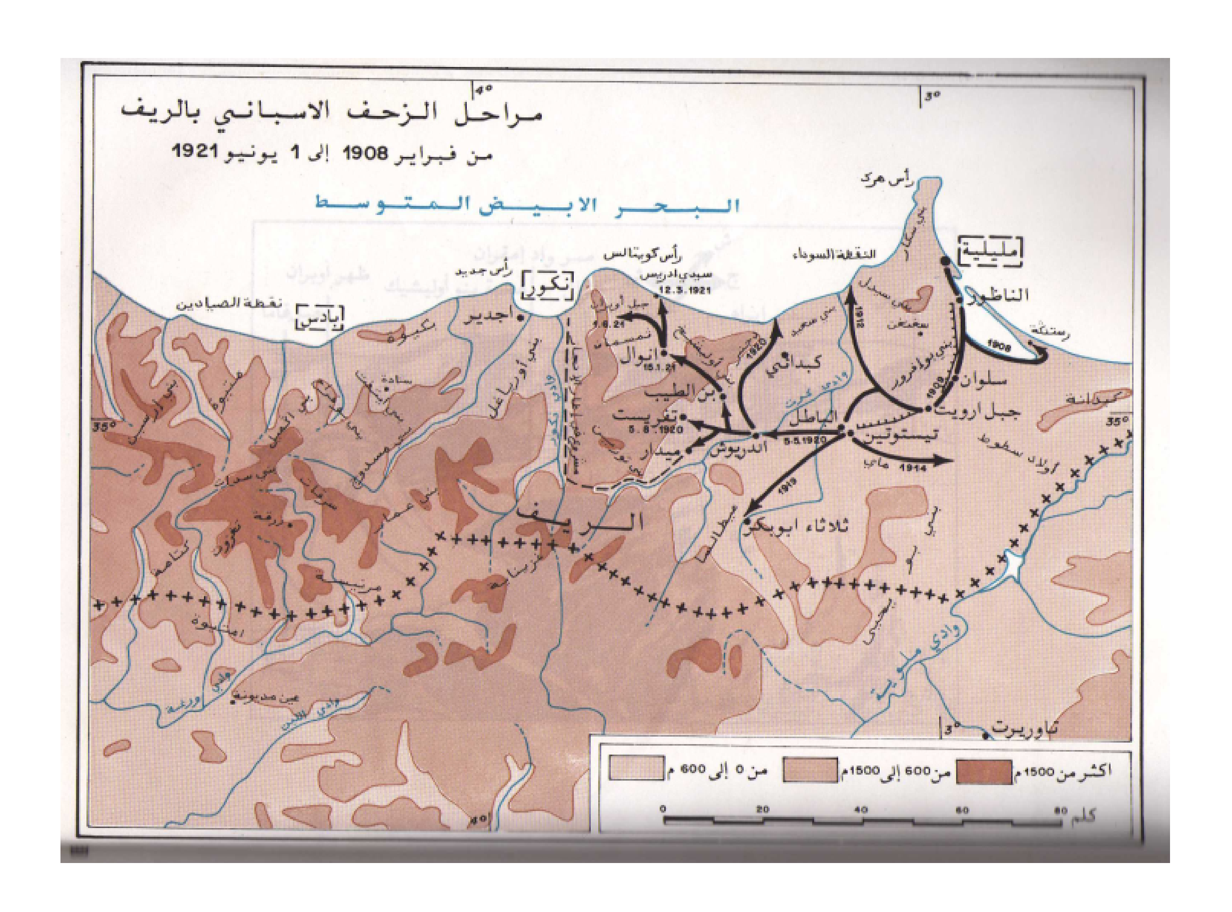
كما لم يفتنا التطرق إلى جبل طارق و دراسة النزاع المغربي الإسباني ، والنزاع الإسباني الإنجليزي حوله ، و إعطاء في الأخير جدول الأقاليم المستعمرة حاليا في العالم ، لتكملة النظرة حول هذه الدراسة .

ورغم أن سبتة و مليلة قطعة من الأرض المغربية لا تتجاوز مساحتهما 32 كيلومتر مربع تقريباً ، فإنهما لا تزالان تمثلان حجر عثرة في العلاقات المغربية الإسبانية ، وكل جانب متمسك برأيه حولهما إلى حد الساعة ، دون وجود أي جديد .

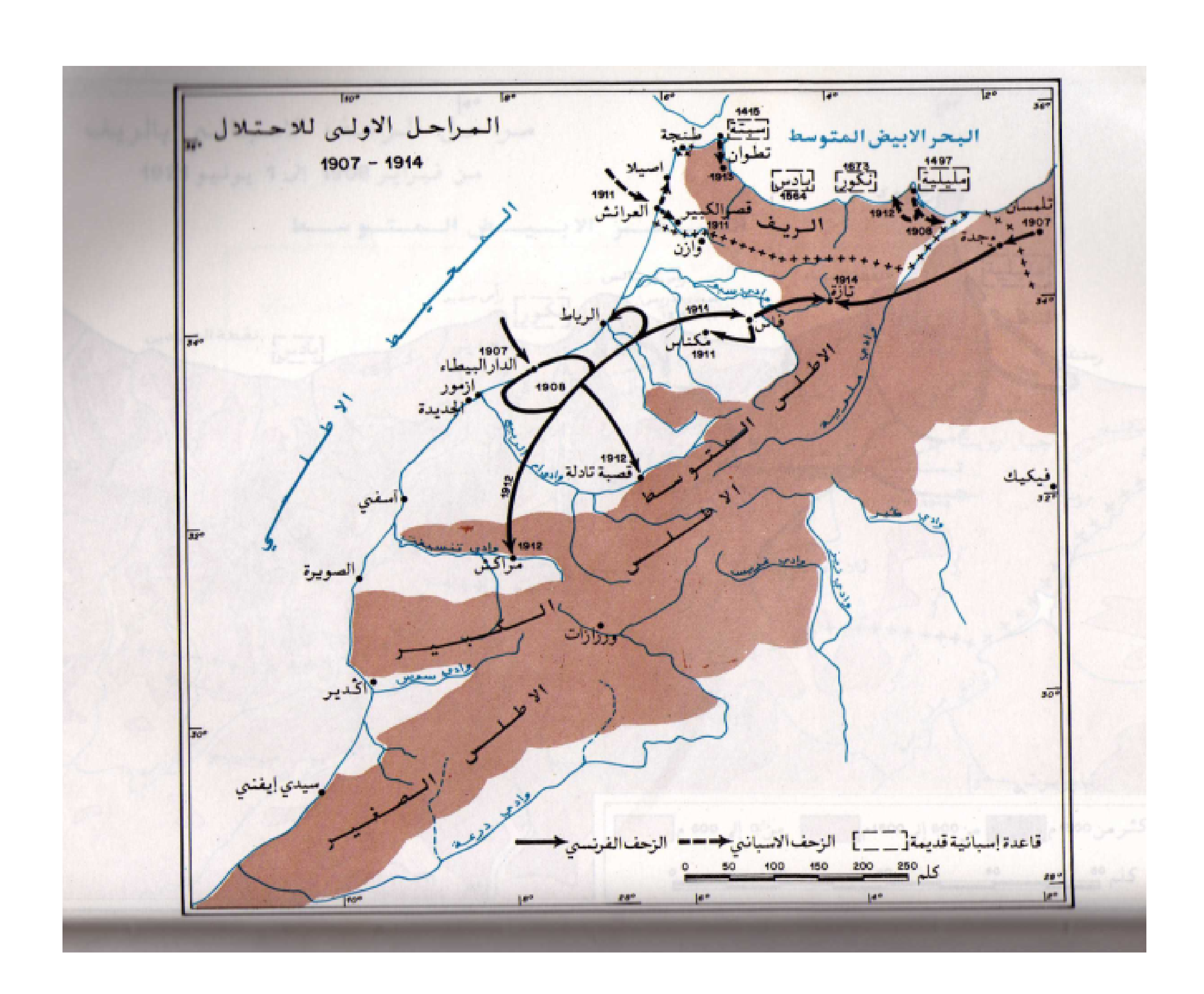
الملاحق



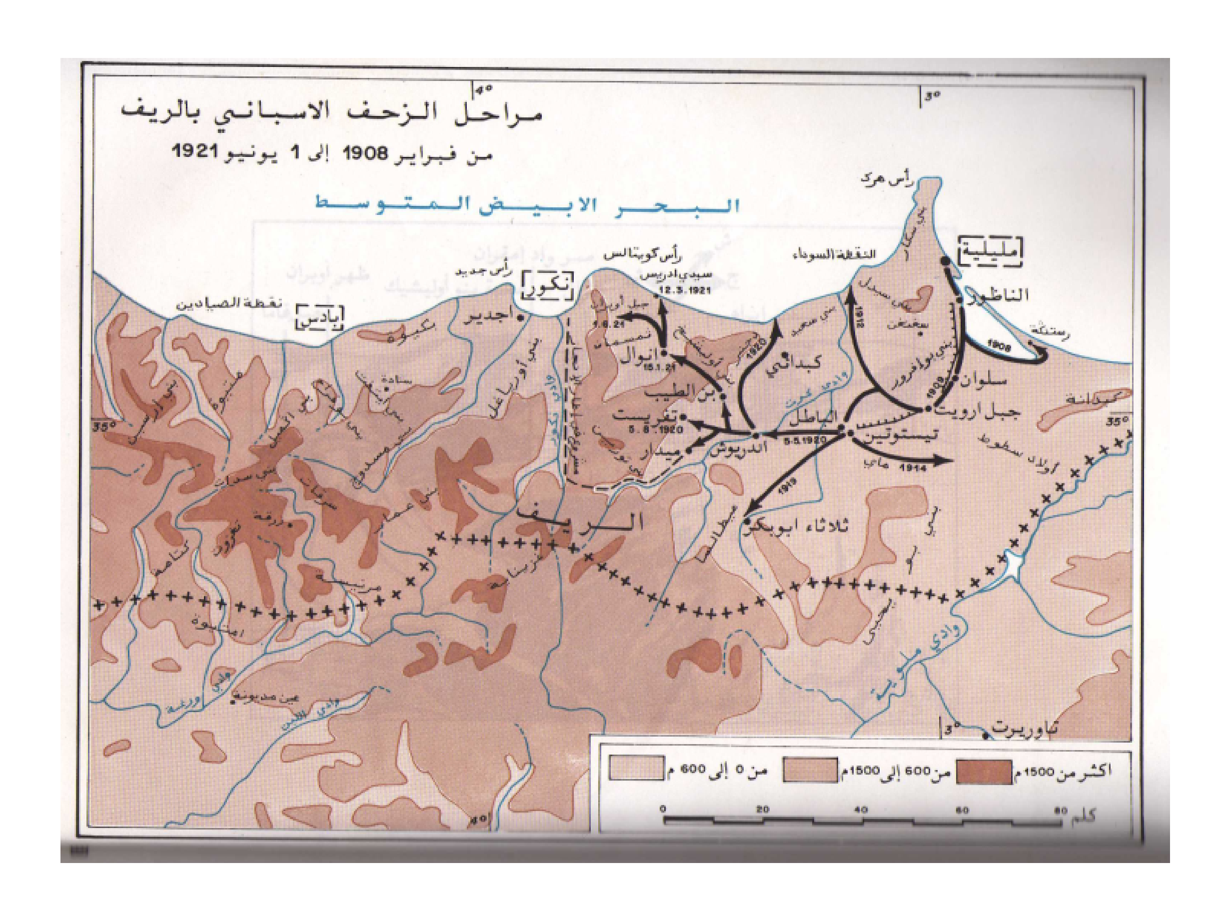
- جرمان عياش ،اصول حرب الريف،ص371.



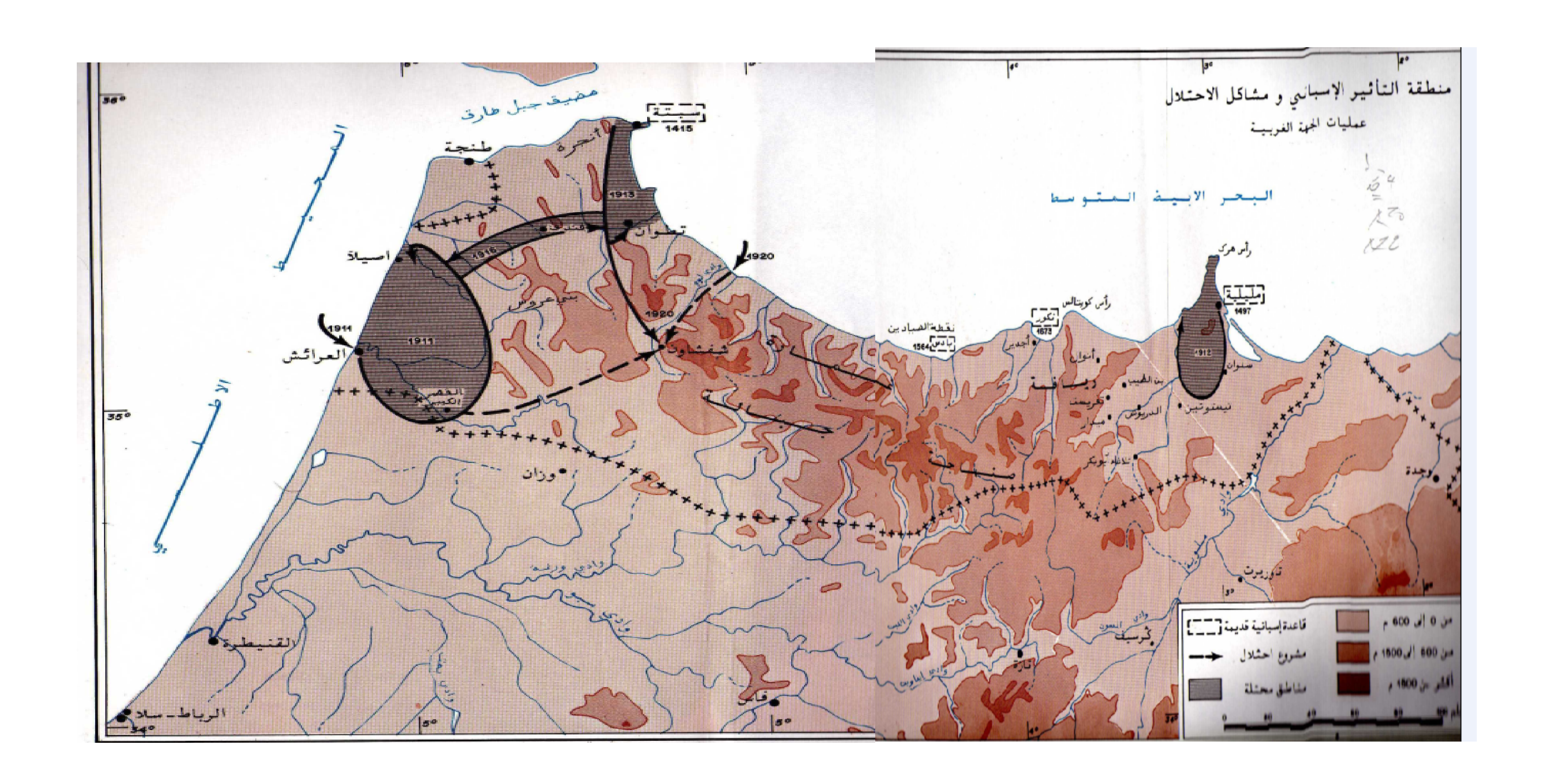
- جرمان عياش،المرجع السابق،ص372.



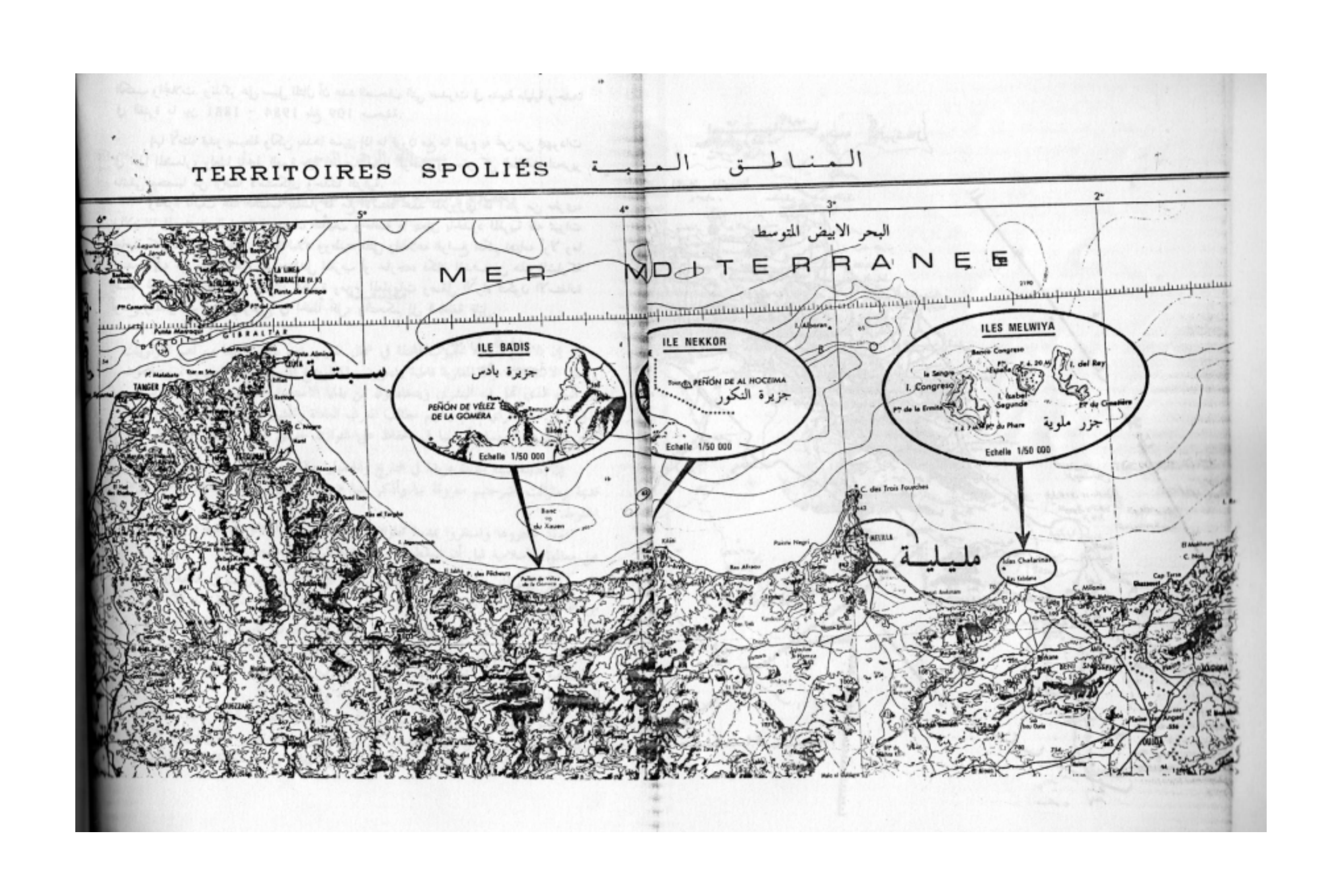
- جرمان عياش ،اصول حرب الريف،ص371.



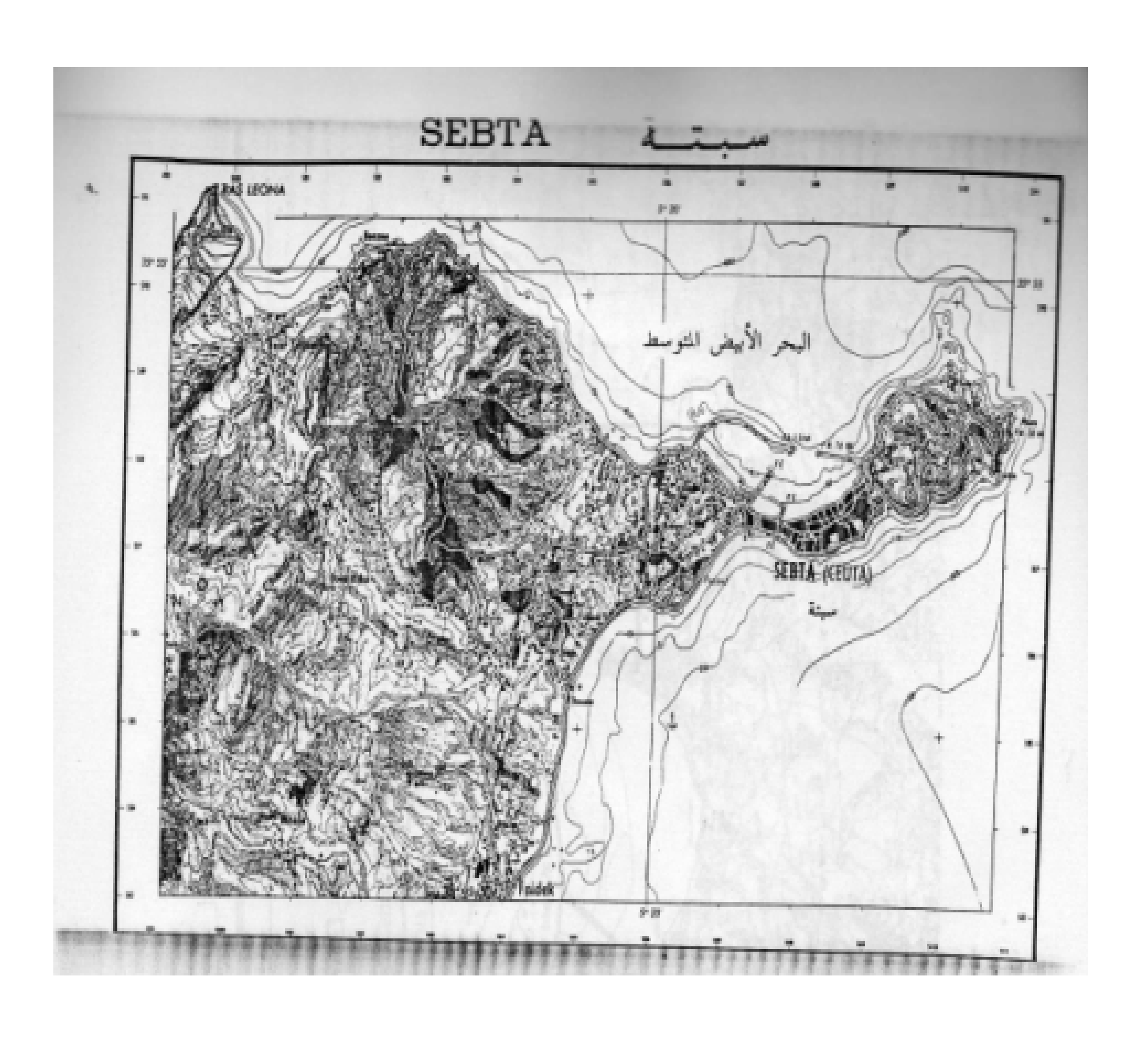
- جرمان عياش،المرجع السابق،ص372.



جرمان عياش ، **أصول حرب الريف ، ص** 378



محمد المعزوزي و جعفر بنعجيبة ، **سبتة ومليلة حتى لا ننسى** ،ص 14


SEBTA سبتة
RAS LEONA
البحر الأبيض المتوسط
SEBTA (CEUTA)
سبتة

قائمه الاقاليم المستعمرة

المستعمرات وموقعها	الدولة المستعمرة (بكسر الميم)	المعلومات
بيطكيرن PITCAIRN بجنوب المحيط الهادي	أنجلترا	مساحتها 5 كلم² وعدد سكانها 60 نسمة من أصل بريطاني
جبل طارق بجنوب اسبانيا	أنجلترا	مساحته 6 كلم² وعدد سكانه 31.000 نسمة
برمودا Bermudos ببحر الأطلنطيك	أنجلترا	تتكون من 150 جزيرة ومساحتها 53 كلم²، وعدد سكانها 60.000 نسمة، قاعدة مهمة تستعمل من طرف أنجلترا وكندا وأمريكا. يعين الحاكم من طرف انجلترا، بها أكثر من خمسة آلاف شركة جلها خاصة بالتأمين
MONTSERRAT بالقرب من كوادالوبي	أنجلترا	مساحتها 103 كلم²، عدد سكانها 12.000 نسمة، من المحتمل أن تحصل على استقلالها في وقت قريب وتصبح العضو 160 في هيئة الأمم المتحدة
الجزر العذراء الانجليزية Iles vierges britaniques توجد شرق بورطوريكو	أنجلترا	تتكون من 40 جزيرة مساحتها 153 كلم²، عدد سكانها يقارب 13.000 نسمة

- نقلا عن محمد المعزوزي وجعفر بن عجيبة،سبتة ومليلة حتى لا ننسى، ص،251.

المستعمرات وموقعها	الدولة المستعمرة (بكسر الميم)	المعلـومـات
جزر كايمان Iles Calmanes بجنوب كوبا	أنجلترا	تتكون من 3 جزر، مساحتها 260 كلم² وعدد سكانها 18.000 نسمة، بها أكثر من 400 بنك و15 ألف شركة معفية من الضرائب
Saint - Hélène سانط إيلين بين البرازيل وأنكولا بجنوب المحيط الأطلسي		تقدر مساحتها بـ 412 كلم² وعدد سكانها 6000 نسمة، مركز لربط الاتصالات مع الاقمار الصناعية وملتقى الاسلاك البحرية ولها موقع استراتيجي هام
تورك وكايكوس Turques et caiques	أنجلترا	مساحتها 500 كلم مربع وعدد سكانها 8.000 نسمة
جزر المالوين Iles Malouines توجد جنوب المحيط الأطلسي	أنجلترا	مساحتها 11.961 كلم مربع، وعدد سكانها 1.800 نسمة
ساموا Samoa بالمحيط الهادي	الولايات المتحدة الامريكية	تتكون من 7 جزر، مساحتها 197 كلم مربع، عدد سكانها 32.000 (50 ألف نسمة هاجروا الى هواي) واستعمرت منذ 85 سنة من طرف أمريكا
الجزر العذراء الامريكية Iles vierges Americaines بالقرب من الجزر العذراء الانجليزية	الولايات المتحدة الامريكية	مساحتها 343 كلم²، عدد سكانها 120.000 نسمة وبها قاعدة للغواصات

-- نقلا عن محمد المعزوزي وجعفر بن عجيبة،المرجع السابق، ص،252.

المستعمرات وموقعها	الدولة المستعمرة (بكسر الميم)	المعلومات
كوام GUAM بالبحر الهادىء	الولايات المتحدة الامريكية	مساحتها 1.401 كلم مربع وعدد سكانها 109.000 نسمة، قاعدة هامة بالنسبة للدفاع الأمريكي وبها أكثر من 22.000 عسكري
ميكرو نيزي Micronesie بالقرب من الفلبين	الولايات المتحدة الامريكية	مساحتها الترابية 1.854 كلم مربع وعدد سكانها 133.000 نسمة وتوجد هذه الجزر البالغ عددها 2.000 جزيرة منتشرة على مساحة تقدر بـ 7،8 مليون كلم^2 وأهم هذه الجزر هي مارشال، كارولين، وماريان، ومنذ سنة 1982 أصبحت مرتبطة بأمريكا بواسطة معاهدة سميت «الاتحاد الحر» حيث تتكلف أمريكا بالأمن والدفاع، والسكان الاصليون يتكلفون بشؤونهم الداخلية وقد قرر مجلس الوصاية التابع لهيئة الامم المتحدة في أواخر ماي 1986 جعل حد لوصاية أمريكا على هذه الجزر ومنحها شبه استقلال، وهكذا ففي 30 من شهر شتنبر 1986 ستحصل على شبه استقلال كلا من بالو وماريان الشمالية وجزر مارشال وفدرالية جزر ميكرونيزيا (2)
ناميبيا Namibie غرب جنوب افريقيا	جنوب افريقيا	احتلت منذ سنة 1920 ووضعت تحت حماية افريقيا الجنوبية منذ سنة 1920 بايعاز من عصبة الأمم، وفي سنة 1966 ألغيت هذه الحماية بقرار من هيأة الأمم المتحدة غير أن بريطوريا لم تنفذ هذا القرار.
Tokeleau توجد في جنوب المحيط الهادي	زيلاندا الجديدة Nouvelle Zelande	عبارة عن 3 جزر، مساحتها تقدر بـ 10 كلم مربع وعدد سكانها 1600 نسمة
Saint - Kitts - Nécris-Anguilla ببحر الكاريبي	انجلترا	مساحتها 96 كلم^2 عدد سكانها 6700 نسمة

- نقلا عن محمد المعزوزي وجعفر بن عجيبة،المرجع السابق، ص،253.

رســالــة أهــل سبتــة

الى السلطان عبد الحــق المريني

وجد بمجموع خطي (138) محفوظ بالخزانة الحسنية بالرباط تحت عدد 4485 ما يلي :

الحمد لله

هذه رسالة أهل رباط سبتة التي اختطها سبت بن سام بن نوح عليه السلام على يد كبيرهم محمد بن سعيد العزفي لما دخل الصبانيول رباط سبتة سنة حيظ (139) لبس سكانها مسوح العهن والوبر والشعر ، وقلبوا القلانــس البوالـــي والنغال السود وهم اول من لبسها لهذا السبب ، وتوجوا نساءهم بشمارير (140) اللبد وسعف الدوم مع قبائل الهبط ، ثم ورد الكل على عبد الحق المريني رجالا ونسوانا وبنـــات وولدان الى ان وردوا عليه فاس على هذه الهيأة التي تذيب الجلاميد ، وتزبر الحديد ، مستصرخين له وبه لدفع هـــذه المعرة القاذفة بهم في خصرم المضرة فأ   هم بحبوحة

138) يشتمل المجموع على عدد من الرسائل السعدية والدلائية والعلوية وغيرها ، فرغ من نسخه في 9 ذي الحجة عام 1119 هـ على عهد السلطان مولاي اسماعيل وهو مكتوب بخط رديء وتصحيف كبير ، وقد عاثت الأرضة والرطوبة فسادا في أوراقه وكلماته مما يجعل الاستفادة منه عسيرة ، وقد فضلنا أن ننقل منه هذه الرسالة على علاتها ريثما تكشف الأيام عن نصحها الصحيح .

139) هي سنة 818 بحساب الجمل ، الحاء ثمانية ، والياء عشرة ، والظاء ثمانمئة .

140) جمع شمرير : القبعة في العامية المغربية ، وهي محرفة عن الاسبانية .

محمد ابن القاسم الأنصاري السبتي ، **اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار** ، ص ص 76-80

ح الم ين ، فحيث أعجزه الدهر ، وقعد بـــه
القهر ، عن قدرة استنقاذهم وعزم على ردهم على
فره ً للفحص قرب بلادهم ، امر مدن الغرب على التمادي في
لبس هذا اللباس (I4I) وقال لهم اح واجمرة ان
يجود الدهر بمحي عنكم كمد الباس ، وفي عقب مسطور
هذه الأبيات :

يامالكا قد صان بيضة مغـرب
بضوارم وصوارم وجنـــــــود
هتـك النصارى علينا حرمة سبتة
غـــدرا بنقض مواثق وعهـــود
غدرونا فجـــر عـروبـة بصنادق
حطت صناديـد صرعة كقـرود
ألفــان في ألفيــن من أبطالهـــم
عظمــاء أجسـام طـوال قــدود
فقصدنــا بابـك ضارعين لبوسنا
أخمـار من شعر ونعـل ســـود
فعساك تجبر صدع قـوم خانهـم
دهر كســا للكـل ثـوب يهـــود
اذ ذاك ثغـرك تختشـي من عاره
بيـن الولاة مسطـرا بشهــــود

I4I) بقيت النساء يلبسن النعال السود (الريحية) الى السنين الأخيرة .

ثم أذن لنديمه عبد الرحمان بن عبد العزيز البجائـــــي فأجابهم نظما بما يصل عليه نثرا ، وهو هذا :

فلقد عجزت عن الدفاع كمن مضى
من غر آبـاء وأسمـا جـــدود
هل صلت صولة من تأخر في المدا
كالسابق السامي لأنهـي جدود
اذ لولا سر الباري في أحكامــه
سـاوت ضبـاع مقابـر لأسـود
ان هدنـا الأنام او نفـذ القضا
لـم يغن تدبيـر وأبحر جـــود
لكنكـم لا تخلعـوا حـال الاسا
واستمطروا غيثـا من أغنى رعود
وتـزودوا الصبـر الجميل فانــه
أزكـــى ..... وأحـــلا ورود
لأمر ..... وال هز برموحــه
باهــي البزوغ ينسى فجـر سعود
يحيـى رسوم الغرب بعد دروسها
.... حـرب النـار بعد خمـود
ويفـك أسـر ثغـوره ونجـوده
من غـل أنكـاد و ..... ى قيود

ففي القيام برجل نعل حـــالك

وغطا الشمارير عن رؤوس الخود

مهما طوى الفلك الثلاثة فابشـروا

بمقامكـم فيها مقـــام خلـــود

للبونى وابن الحاج في جفريهمـا

نص الى الأجـل الجلـي المعدود

راقبه بعد الألـف يابن آوانـــه

تظفر لديـه بغايـة المقصـــود

هـــذا الذي أفتت به آباؤنـــا

وروته اسلاف عن اتقى جـــدود

لكـن علم الغيب في حكم الـــذي

ينفي العيان وياتـي بالمفقـــود

فلم تزل مدن المغرب ترتدي المسوح والنعال الســود ونسوان الهبط تتوج بكل شمرير ممسود ، يرتجون من المغيث سبحانه نكبة في الكفار تصيبهم بكل حقود حسود ، فعسى الله ان يأتي بالفتح أو أمر من عنده بواسطة سلطان سعيد عليهم وعلى الرعايا وجنوده تخفق على فحصها برياح النصر رايته بعد نبـذه .

واما سكان سبتة فقد تبددوا في الأقطار ، وجاء جيـل بعد جيل نسوا ما رغب فيه الآباء والأجداد من قضاء اولئـك الأوطار ، ولم تبق الا الأحفاد ، التي لم تذق حلاوة ولا زقـوم البلاد ، ومن اعتقـد منهم او غيرهم ان الله مقيـل العثار ، لم

تزل يرتقب منه ـ وان طال المدى ـ نظم الشمل بعد الانتثار ، في اخذهم من عدونا وعدوهم أخذ الثار ، وهو سبحانه وتعالى ادرى وأعلم بصلاح وفلاح كل قوم ، اذ لا تأخذه سنة ولا نوم ، ولم يزل ثغر سبتة في يد الصبانيين أسيرا عسيرا غريبـــا يتربص الخلاص على يد خليفة المجيب القريب .

— 96 —

سبتة في معاهدة صلح تطوان

المبرمة بين المغرب واسبانيا في 4 شوال عام 1276 هـ — 26 ابريل 1860 م

المادة الأولى :

اقامة سلم دائم وحسن صداقة بين جلالة ملكة اسبانيا وجلالة ملك المغرب وكذا بين رعايا كل منهما ·

المادة الثانية :

ورغبة في زوال جميع الأسباب التي كانت العلة في قيام الحرب التي وضعت اليوم أوزارها — لحسن الحظ — ، فـان جلالة ملك المغرب — تحدوه رغبة خالصة في اثبات السلم — يصادق على توسيع ايالة مدينة سبتة الاسبانية وحدها الى ما يناسب مـن الجهات لضمان السلامة والأمـن لحاميتها ، وذلك طبقما تحدده المادة الآتية :

المادة الثالثة :

ولتنفيذ ما تنص عليه المادة السالفة ، فـان جلالة ملك المغرب يتنازل لجلالة ملكة اسبانيا ، ليكون ملكا لها وتحت سيادتها التامة ، عن كل الاقليم المنحصر بين البحر ومرتفعات سلسلة بليونش والممتد الى خندق أنجرة ·

وبناء على ذلك ، فان جلالة ملك المغرب يسلم لجلالة ملكة اسبانيا ، لبسط سيادتها المطلقة عليه ، جميع الاقـليم الذي

محمد ابن القاسم الأنصاري السبتي ، المرجع السابق ، ص 96 99

يحصره البحر من جهة والذي يمتد من الوادي أو الجدول الذي ينتهي بالقرب من الرأس الشرقي لخليج خندق رحمة (168) على الساحل الشمالي لمدينة سبتة ثم يرتفع نحو الجزء الشرقي منه حيث يمتد جبل رينيگاضو، ومن ثمة يسير في اتجاه الساحل ثم ينعــرج كثيراً الى أن يصل الى منحدر حاد الأطــراف من احجار كلسية ، ثم ينحدر محاذيا الشاطىء ابتداء من الممر الضيق الموجود هناك ، وذلك بسفح جبال بليونش حيث توجد بقممها الرئيسية قلعة ايسابيل الثانية (169) وقلعة فرنسيسكو دي آسيس (170) وقلعة تيسنيروس (171) وقلعة الأميــــر ألفونسو (172) الى ان يصل الى البحر مكونا في مجموعه قوسا ينتهي بخليج الأمير ألفونسو (وادي أويات) بالساحل الجنوبي لمدينة سبتة المذكورة ، وذلــك بناء على ما عينتــه وحددته اللجنة المشكلة من اسبان ومغاربة ، واثبت في المحضر الموقع عليه من طرف اللجنة المذكورة بتاريخ 4 ابريل من السنة الجارية (12 رمضان 1276) ·

ورغبة في صيانة تلك الحدود ، تعين ارض تمتد مما يواجهها من منحدرات الوادي الى قمم الجبال ، وينتهي كلا طرفيها بالبحر ، وذلك بناء على ما ينص عليه المحضر المشار اليه بهذه المادة :

---

168) هذا المكان يحاذيه من الشرق مباشرة مرسى بنزو Benzu الداخل اليوم في الأرض التي تسيطر عليها اسبانيا .

169) يسمى المكان الذي توجد فيه هذه القلعة بالعربية جامع برباش .

170) يسمى المكان الذي اقيمت فيه هذه القلعة برج سيدي ابراهيم .

171) كدية ظهر الزنايدية بالعربية .

172) برج وادي أويات بالعربية .

المادة الرابعة :

تعين على اثر ذلك لجنة مكونة من مهندسين اسبان ومغاربة لتقوم بوضع أوتاد واشارات تربط بواسطتها المرتفعات المبينة في المادة الثالثة متبعة في ذلك الحدود المتفق عليها ، على ان تباشر هذه العملية في اقرب وقت ممكن ، غير انه لا يتوقف على اتمامها بسط السلطات الاسبانية لحكمها على تلك البقاع باسم جلالة الملكة الكاثوليكية ، بل ستعتبر هي وغيرها من الجهات التي سيتنازل عنها جلالة ملك المغرب بموجب هذه المعاهدة لجلالة ملكة اسبانيا ، ابتداء من توقيع هذه المعاهدة .

المادة الخامسة :

يصادق جلالة ملك المغرب في أقصى أجل ، على الاتفاقية التي وقع عليها كل من المفوضين الاسبان والمغربيين بتطوان في 24 غشت من سنة 1859 الفارطة .

ويقر جلالة ملك المغرب ابتداء من اليوم ، تسليم الأراضي التي أعطيت لاسبانيا بموجب الاتفاق الدولي ، وكذا الضمانات والامتيازات ورجال الحراسة المغربيين الممنوحة للبنيون (173) والحسيمات (174) وفق ما تنص عليه المادة السادسة من الاتفاقية المذكورة والمتعلقة بحدود مليلية .

---

173) المقصود بالبنيون جزيرة بادس .

174) المراد جزيرة نكور الواقعة امام ميناء الحسيمة .

المادة السادسة :

يقوم جلالة ملك المغرب بحمل رعاياه على احترام الأراضي التي اصبحت تحت سيادة جلالة ملكة اسبانيا بموجب هذه المعاهدة ·

على انه في امكان جلالة الملكة الكاثوليكية اتخاذ جميع التدابير التي تراها صالحة لضمان سلامة تلك الجهات ، وذلك باقامة ما تراه مناسبا من حصون ومراكز للدفاع بها ، ولـن يكون ابدأ من حق السلطات المغربية الممانعة في ذلك ·

المصادر بالعربية:

1ـ ابن أبي زرع الفاسي علي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس ، ج:1،: دار المنصور، الرباط ، 1973.

2ـ ابن بسام الشنتريني أبو الحسن علي ، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تحقيق إحسان عباس، مج:02 ،ق:02،الدار العربية للكتاب ،بيروت، 1972.

3ـ ابن حيان ابن مروان، المقتبس ج: 05 ، تحقيق:شالميطا، كلية الآداب، الرباط ، 1979.

4ـ ابن خلدون عبد الرحمن، العبر وديوان المبتدأ والخبر، مج:06،01. دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1966.

5ـابن زيدان عبد الرحمن ،اتحاف أعلام الناس ،ط:02، ج: 03 ، مكتبة ايديال، الدار البيضاء ، 1992.

6ـابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في ذكر أخبار الأندلس والمغرب ، الجزء الثاني ،الطبعة الاولى، تحقيق: ليفي بروفنسال: دار الثقافة، بيروت، 1980،

7ـ ادغارفور، مذكرات الحماية السرية لايكس ليبان ، ترجمة: محمد الغفراني منشورات دفاتر وجهة نظر ،الرباط: ، 2002.

8ـ الأنصاري السبتي محمد بن القاسم ، اختصار الأخبار عما كان بثغر سبتة من سني الآثار، ط02. تحقيق: عبد الوهاب بن منصور ،المطبعة الملكية الرباط،.1983 .

9ـ البكري أبو عبيد الله ، المسالك والممالك،ط: 01، تحقيق: علي عبد الرحمن الحجي، دار الإرشاد للطباعة والنشر والتوزيع بيروت ، 1968 .

10ـ العميري محمد بن عبد المنعم، الروض المعطار في خبر الأقطار ،الطبعة الثانية ، تحقيق: إحسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت: ، 1984.

11ـ القادري أبو بكر، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية ،ط : 01،ج 3، القسم الثاني ، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، 2003.

12- المقري أحمد، نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، الجزء الأول. تحقيق: إحسان عباس، دار صادر ، بيروت: ، 1968.

13- الناصري أحمد،الاستقصاء لأخبار المغرب الأقصى، الجزء الثاني ،تحقيق: جعفر الناصري ومحمد الناصري، دار كتاب، الدار البيضاء، 1954.

14- التهامي الوزاني، المقاومة المسلحة والحركة الوطنية في شمال المغرب ، تحقيق وتعليق: محمد بن عزوز حكيم ، مطبعة الساحل، الرباط ، 1980.

15- التهامي الوزاني، تاريخ المغرب ، الجزء الثالث، مطبعة كريماديس، تطوان، 1940.

16- ب.ج ، روجرز، تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية حتى عام **1900**، ط1 ،ترجمة وتحقيق: يوناف لبيب رزق ، دار الثقافة ،الدار البيضاء ، 1981.

17- جرمان عياش ، أصول حرب الريف ، ترجمة: محمد الأمين البزاز، وعبد العزيز النمسماني خلوق ، الرباط: الشركة العربية المتحدة ، 1992.

18- جرمان عياش، جوانب من الازمة المالية بالمغرب بعد الغزو الاسباني سنة **1860**، مطبوعات معهد الدروس العليا المغربية ، الرباط، 1972.

19- روبرت فورنو، عبد الكريم الخطابي" أسد الريف"، ترجمة : فؤاد أيوب، دار دمشق ، دمشق ، 1968.

20- روبرت كونز ورولف دبينز مولر، حرب الغازات السامة بالمغرب ، ترجمة: عبد العالي الامراني ، منشورات فيدياك ، الرباط ، 1992.

21- صفي الدين محمد ، إفريقيا بين الدول الأوربية ط1، دار مصر للطباعة مصر ،مارس 1959.

22- ليفي بروفنسال ، نخبة تاريخية جامعة لأخبار المغرب الأقصى ، مطبوعات لاروز ، باريس ، 1948.

23- ماريا روسادي مادرياكا ، مغاربة في خدمة فرانكو ، ترجمة: كنزة الغالي، منشورات الزمن ، الرباط ، 2006.

24- مالك بن نبي ، **مذكرات شاهد القرن** ، ج1، منشورات دار الفكر، دمشق،1969.

25- مجهول، **كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر** أمرائها رحمهم الله **والحروب الواقعة بها** ، تحقيق وتعليق: إسماعيل العربي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1989.

26- مايكل مارتين ، **الاستعمار الاسباني في المغرب (1860-1956)** ، ترجمة: عبد العزيز الوديي ، منشورات التل ، الرباط ، 1988.

المراجع بالعربية :

1- بن تاويت محمد ، **تاريخ سبتة** ،ط:01، دارالثقافة ، الدار البيضاء: ،1982.

2- ابن منصورعبد الرحمن، **مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب،** المطبعة الملكية ، الرباط، 1977.

3- احمد خليفة إدريس،**التاريخ المغربي لمدينة سبتة** ، مطبعة ومكتبة الامنية، المغرب ،1988.

4- الإدريسي علي، **عبد الكريم الخطابي والتاريخ المعاصر**، تقديم :العقيد الهاشمي الطود،ط:02، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء 2010.

5- البوعياش أحمد ، **الريف بعد الفتح الاسلامي**، معهد مولاي الحسن تطوان، 1954.

6- البوعياشي أحمد، **حرب الريف التحريرية ومراحل النضال**، ج 2. ط 1، مطبعة دار أمل ، طنجة ، 1975.

7- الريسوني علي ، **أبطال صنعوا التاريخ**، ط 1، مطبعة ديسيريس تطوان 1975.

8- الشرياسي أحمد ، **شكيب ارسلان داعية العروبة والاسلام**، دار الغرب الإسلامي بيروت، 1978.

9- الشريف محمد، **سبتة الاسلامية** "دراسات في تاريخها الاجتماعي والاقتصادي في عصر الموحدين والمرينيين " الطبعة الثانية ، تقديم: أحمد بن عبود، منشورات أسمير الرباط،2006.

10- العربي محمد، **الساقية الحمراء ووادي الذهب** ،الجزء الأول ، دار الكتاب، الدار البيضاء، 1982.

11- العلوي مصطفى ، **المناورات الأجنبية ضد السيادة المغربية**، ج1.ط1، المطبعة الملكية، الرباط ، 1986.

12- الفكيكي حسن ، **المقاومة المغربية للوجود الاسباني بمليلة(1697-1859)** ط1. مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، 1997.

13- الفكيكي حسن ، **سيدي محمد بن عبد الله وقضية مليلة المحتلة** ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء، 1996.

14- المعزوزي محمد وبنعجيبة جعفر ، **سبتة ومليلة حتى لا ننسى**،ط 1،شركة الهلال العمومية للطباعة والنشر، الرباط، 1986.

15- بنهاشم محمد، **العلاقات المغربية الأمريكية** " دراسة في التمثيل الدبلوماسي بالمغرب (1786-1912)"ط1 ، دار أبي رقراق، الرباط، 2009.

16- بوغالب العطار، **سبتة ومليلة مغاربة تحت الاحتلال** ،ط1 ، مطبعة دار النشر المغربية ، الرباط 1996.

17- داود محمد ، **تاريخ تطوان** ، الجزء الرابع والخامس ، والسابع، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، 1965.

18- جلال يحيى ، **المغرب الكبير**، منشأة المعارف ،الإسكندرية ، 1976.

19- سلام امزيان محمد ، **عبد الكريم الخطابي وحرب الريف** ، مطبعة المدني ، القاهرة ،1971.

20- كنون عبد ، **مدخل إلى تاريخ المغرب** ط3، مطبعة كريماديس، تطوان ، 1955.

21- مؤنس حسن ، **تاريخ المغرب وحضارته من قبيل الفتح الإسلامي إلى الغزو الفرنسي** ، ط1،ج1،2،3، مج2،العصر الحديث للنشر والتوزيع ، بيروت،1992 .

22- مناصرية يوسف ، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب ، (1832-1847)**، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1990.

الجرائد والمجلات

1- الفاسي علال، "شكيب أرسلان بين القومية العربية والجامعة الإسلامية" مجلة دعوة الحق، العدد 01 ، أكتوبر 1959 ، ص 19.

2- الفكيكي حسن ، "مسألة الثغور المغربية المحتلة في منتصف القرن الثامن عشر"، دار النيابة 11، نوفمبر 1986 ، ص 23.

3- بوغالب العطار ، "المغاربة يعارضون الحكم الذاتي لأسباب ذاتية وموضوعية"، صحيفة الاتحاد الاشتراكي ، 11 افريل 1994، ص (288-289)

4- عجلان الحارثي تركي ، "قضية اليهود بالمغرب الأقصى في القرن التاسع عشر وموقف الحكومة المغربية منها" ، دراسات تاريخية ، العدد 45 46، 1993، ص 193.

المصادر الاجنبية:

1-Goulven. j, Préface de général Nogues, La France au maroc , Vingt cinq ans protectorat (1912-1937), Publications de comite de l ̄afrique française : Paris, 1937

2-General Berenguer, Campana en el RIF y yebala (1921-1922), Notas y documentas de midiorio de opérations : Madrid, 1973

3-Lyautey Pierre, Lyautey l ̄ africain, Edition Franciscane, Paris, 1953, VOL: 01

4-Miege jean louis, le maroc et l ̄ Europe de (1830-1894), Editions PUF: Paris, 1963, VOL: 03

المراجع الاجنبية:

1-Figuera Garcia, del Marruecas feudel, Madrid : E studios y ensayos, 1970

2-Herrera Hernandez et Figueras Garcia, accido de España en Marruecos, Madrid : Estudios y ensayos, 1990, VOL : 01

3-Lualla Hall, the united stetes and Marocca (1776-1956) the scarecrow Press: Metuchen, N. Y, 1971

4-Lugan Bernard, Histoir du Maroc, Editions Griterions, Paris, 1978

5-Moha Edouard, Les relations Hispano- marocaines, Maroc : Editions EDDIF, MAI 1994.

الجرائد والمجلات:

1-Figueras Garcia, "Mulay Ahmed ben Sidi Mohamed", Revista Hispana- Africana, oct- nov 1945

فهرس الأعلام

فهرس الأعلام

ب:

ع:

هـ:

و:

ي:

فهرس الأماكن

فهرس الأماكـــــــــــــــــــن

جزيرة المعدنوس: 102،101،99

جزيرة النكور: 99

جزيرة بادس: 102،100،99

جزر كبدالة:45

جزيرة بريجيل:45

جزيرة سان أنتونيو:100

جزيرة لارينيو:62

جنوة:98،13

جيان الأندلسية:14

ح:

حجر باس:56

د:

دمشق:07،06

ر:

رأس الرجاء الصالح:26

رأس المذاري الثلاث :100

روسادير:19،04

س:

سانتاكروز:50

سبتة:02،03،04،05،06،07،08،09،10،11،12،13،14،15،16،17،19،20، 21،24،25،28،29،37،38،39،40،41،42،43،44،45،46،47،49،50،51، 52،53،54،56،59،64،68،70،72،74،75،76،77،80،81،82،85،86،86، 87،88،89،90،91،92،93،94،95،96،97،98،99،100،101،102

سلا:12

سلا الجديدة:12

ق:

قرطاجة:19،04

قرطبة:14،12،11،10،09،06

قشتالة،15،14،13

قصر مصمودة:16

قلعة تازوطا:32،31،21

قلعة حجر النسر:08

قلعية:34،33،22

قيصرية:05

ل:

لشبونة:24،13

ليكسوس:04

لندن:77

ليبيا:90،89

م:

مازاغان:38،29

مالقا :100،10

مدريد:94،92،88،87،86،80،76

مدشر اللوزيين:72

مدغشقر:61

مدينة لالينيا:103

مراكش:33،14،13،12

مصر:79،62،59،19،08،06

مكناس:60،36

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات